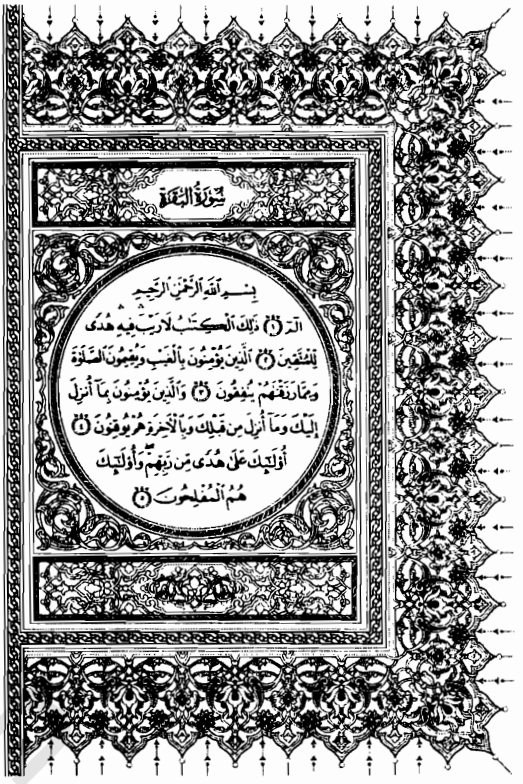


**سورة البقرة**

**معانى الكلمات :**

**ذلك الكتاب** : القرآن العظيم .

**لا ريب فيه** : لا شك فى أنه حق من عند الله . **هُدًى** : هادٍ من الضلالة .

**للمتقين** : الذين تجنبوا المعاصى ، وأدّوا الفرائض فوَقَوْا أنفسهم العذاب .

**على هُدًى** : على رشاد ونور ويقين .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على مقومات الإيمان التى تمثل صفة المؤمنين إطلاقاً .

٢ ـ أن نعلم صفات المتقين كما وردت .

٣ ـ أن نعرف أن اليقين بالآخرة هو الذى يشعر الإنسان أنه لم يخلق عبثاً ، ولن يترك سدى.

**المحتوى التربوى :**

تبدأ السورة بهذه الأحرف الثلاثة المقطعة ﴿ الٓمٓ ﴾ يليها الحديث عن كتاب الله ، ومثل هذه الأحرف تجىء فى مقدمة بعض السور القرآنية ، وقد ورد فى تفسيرها وجوه كثيرة . نختار منها وجها . إنها إشارة للتنبيه إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف ، وهى فى متناول المخاطبين به من العرب . ولكنهم ـ مع هذا ـ لا يملكون أن يصوغوا من تلك الحروف مثله .

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ :ومن أين يكون ريب أو شك، ودلالة الصدق واليقين كامنة فى هذا المطلع ،ظاهرة فى عجزهم عن صياغة مثله، ولكن لمن يكون ذلك الكتاب هدى ونوراً ودليلاً ناصحاً مبيناً ؟ للمتقين، فالتقوى فى القلب هى التى تؤهله للانتفاع بهذا الكتاب .

لابد لمن يريد الهدى أن يجده فى القرآن .

أى يجىء إليه بقلب سليم ، يخشى ويتوقى ، ويحذر أن يكون على ضلالة ، أو أن تستهويه ضلالة وعندئذ يتفتح القرآن عن أسراره وأنواره ، ويسكبها فى هذا القلب الذى جاء إليه متقياً ، خائفاً ، حساساً ، ومهيأ للتلقى .

ورد أن عمر بن الخطاب ﷺ ـ سأل أبى بن كعب عن التقوى فقال له : أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟ قال : بلى! قال : فما عملتَ ؟ قال : شمرتُ واجتهدتُ . قال : فذلك التقوى .

وللتقوى حساسية فى الضمير ، وشفافية فى الشعور ، وخشية مستمرة ، وحذر دائم ، وتوقى الأشواك طريق الحياة ، الذى تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات ، وأشواك المطامح ، وأشواك المخاوف والهواجس ، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لا يملك إجابة رجاء ، والخوف الكاذب ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً . وعشرات غيرها من الأشواك .

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ : إن السمة الأولى للمتقين هى الوحدة الشعورية الإيجابية الفعالة . الوحدة التى تجمع فى نفوسهم بين الإيمان بالغيب ، والقيام بالفرائض ، والإيمان بالرسل كافة ، واليقين بعد ذلك بالآخرة ، هذا التكامل الذى تمتاز به العقيدة الإسلامية ، وتمتاز به النفس المؤمنة بهذه العقيدة ، والجدير بأن تكون مكية العقيدة الأخيرة التى جاءت ؛ ليلتقى عليها الناس جميعاً ؛ ولتهيمن على البشرية جميعاً ؛ وليعيش الناس فى ظلالها بمشاعرهم وبمنهج حياتهم حياة متكاملة ، شاملة للشعور والعمل، والإيمان والنظام .

**يقول صاحب الظلال** : « والإيمان بالغيب هو العتبة التى يجتازها الإنسان ، فيتجاوز مرتبة الحيوان الذى لا يدرك إلا ما تدركه حواسه ، إلى مرتبة الإنسان الذى يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذى تدركه الحواس ـ وهى نقلة بعيدة الأثر فى تصور الإنسان لحقيقة الوجود كله ، ولحقيقة وجوده الذاتى ، ولحقيقة القوى المنطلقة فى كيان هذا الوجود ، وفى إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير ، كما أنها بعيدة الأثر فى حياته على الأرض ، فليس من يعيش فى الحيز الصغير الذى تدركه حواسه كمن يعيش فى الكون الكبير الذى تدركه بدهيته وبصيرته ؛ ويتلقى أصداءه وإيحاءاته فى أطوائه وأعماقه ، ويشعر أن مداه أوسع فى الزمان والمكان من كل ما يدركه وعيه فى عمره القصير المحدود ، وأن وراء الكون ظاهرة خافية ، حقيقة أكبر من الكون ،هى التى صدر عنها، واستمد من وجودها وجوده ، حقيقة الذات الإلهية التى لا تدركها الأبصار ، ولا تحيط بها العقول » .

﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ : فيتجهون بالعبادة لله وحده ، ويرتفع بهذا عن عبادة العباد ، وعبادة الأشياء ، والقلب الذى يسجد لله حقاً ، ويتصل به على مدار الليل والنهار ، يستشعر أنه موصول السبب بواجب الوجود، ويجد لحياته غاية أعلى من أن يستغرق فى الأرض وحاجات الأرض ، ويحس أنه أقوى من المخاليق ؛ لأنه موصول بخالق المخاليق ، وهذا كله مصدر قوة للضمير، وعامل هام من عوامل تربية الشخصية ، وجعلها ربانية التصور والشعور والسلوك .

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ : فهم يعترفون ابتداء بأن المال الذى فى أيديهم هو من رزق الله لهم ، لا من خلق أنفسهم ، ومن هذا الاعتراف بنعمة الرزق ينبثق البر بضعاف الخلق ، والتضامن بين عيال الخالق ، والشعور بالآصرة الإنسانية ، وبالأخوة بالبشرية .

وقيمتها أنها ترد للحياة مجال تعاون لا معترك تطاحن ، وأنها تؤمن العاجز والضعيف والقاصر ، وتشعرهم أنهم يعيشون بين قلوب ، ووجوه ونفوس ، لا بين أظفار مخالب ونيوب !

والإنفاق يشمل الزكاة والصدقة ، وسائر ما ينفق فى وجوه البر ، وقد شرع الإنفاق قبل أن تشرع الزكاة ؛ لأنه الأصل الشامل الذى تخصصه نصوص الزكاة ولا تستوعبه .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ : وهى الصفة اللاثقة بالأمة المسلمة وارثة العقائد السماوية ، ووارثة النبوات منذ فجر التاريخ ، وحادية موكب الإيمان فى الأرض إلى آخر الزمان ، وقيمة هذه الصفة هى الشعور بوحدة البشرية ، ووحدة دينها ، ووحدة رسلها ، ووحدة معبودها ، قيمتها هى الاطمئنان إلى رعاية الله للبشرية على تطاول أجيالها وأحقابها ، هذه الرعاية البادية فى توالى الرسل والرسالات بدين واحد وهدى واحد .

﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ : وهذه خاتمة السمات . التى تربط الدنيا بالآخرة ، والمبدأ بالمصير ، والعمل بالجزاء ، والتى تشعر الإنسان أنه ليس مهملاً ، وأنه لم يخلق عبثاً ، ولن يترك سدى ؛ وأن العدالة المطلقة فى انتظاره ؛ ليطمئن قلبه ، وتستقر بلابله ، ويفىء إلى العمل الصالح ، وإلى عدل الله ورحمته فى نهاية المطاف .

واليقين بالآخرة هو مفرق الطريق بين من يعيش بين جدران الحس المغلقة ، ومن يعيش فى الوجود المديد الرحيب ، بين من يشعر أن حياته على الأرض هى كل ما له فى هذا الوجود ، ومن يشعر أن حياته على الأرض ابتلاء يمهد للجزاء ، وأن الحياة الحقيقية إنما هى هنالك ، وراء هذا الحيز الصغير المحدود .

والآيات رسمت صورة الجماعة المسلمة التى قامت فى المدينة يوم ذاك ، مؤلفة من المهاجرين والأنصار وكانت هذه الجماعة بهذه الصفات شيئاً عظيماً حقاً بتمثل هذه الحقيقة الإيمانية فيها ، ومن ثم صنع الله بهذه الجماعة أشياء عظيمة فى الأرض ؛ وفى حياة البشر جميعاً ومن ثم كان هذا التقرير : ﴿ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ ، وكذلك اهتدوا ، وكذلك أفلحوا . والطريق للهدى والفلاح هو هذا الطريق المرسوم .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ لابد لمن يريد الهدى أن يجىء الله بقلب سليم يخشى ويتوقى ، ويحذر أن يكون على ضلالة.

٢ ـ التقوى تجعل صاحبها فى حذر دائم وتوقٍ لأشواك الحياة وملذات الدنيا .

٣ ـ الإيمان بالغيب مبعث الطمأنينة فى قلب المؤمن .

٤ ـ بإقامة الصلاة يصبح المخلوق موصول السبب بواجب الوجود وهو الله .

٥ ـ الإنفاق فى سبيل الله يطهر النفس من الشح ، ويزكيها بالبر .

الجزء الأول — سورة البقرة

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ
أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

٣

## معانى الكلمات :

**كفروا** : الكفر لُغة : التغطية والجحود ، وشرعاً : التكذيب بالله وبما جاءت به رسلُه عنه كلا أو بعضاً .

**سواء** : بمعنى مُسْتَوٍ إنذارهم وعدمه إذ لا فائدة منه لحكم الله بعدم هدايتهم . **ختم الله** : طبع الله . **غشاوة** : الغطاء يغشى به ما يراد منع وصول شىء إليه . **يخادعون**: يعملون عمل المخادع بإظهارهم الإيمان وإخفائهم الكفر . **مرض** : شك ونفاق أو تكذيب وجحود . **السفهاء** : السفيه هو الجاهل ضعيف الرأى . **يمدهم** : يزيدهم أو يمهلهم . **طغيانهم** : مجاوزتهم الحد وغلوهم فى الكفر . **يعمهون** : يعمون عن الرشد والصواب أو يتحيرون . **اشتروا الضلالة بالهدى** : استبدلوا الكفر بالإيمان .

## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على الكافرين ومقومات الكافرين فى كل أرض .

٢ ـ أن نعلم المنافقين ونطلع على صفاتهم .

٣ ـ أن نؤمن بأن الله عز وجل يتولى المعركة التى يراد بها المؤمنون .

## المحتوى التربوى :

تتحدث الآيات عن الصورة الثانية وهى صورة الكافرين ومقومات الكفر فى كل أرض وفى كل حين، فإذا كان الكتاب بذاته هدى للمتقين، فإن الإنذار وعدمه سواء بالقياس إلى الكافرين، فالنوافذ المفتوحة فى أرواح المتقين ، والوشائج التى تربطهم بالوجود وخالق الوجود مغلقة عند الكافرين ، ومقطوعة هناك ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ فلا نور يصل لها ولا هدى !

obeikandl.com

وطبع الله على قلوبهم وسمعهم وغشى على أبصارهم جزاء وفاقاً على استهتارهم بإنذارات الله .

وينتقل السياق ليرسم صورة واقعة فى المدينة هذه الصورة تتلوى فى الحس ، وتروغ من البصر ، وتخفى وتبين ، إنها صورة المنافقين ، وهى صورة مكررة فى أجيال البشرية جميعاً ،صورة المنافقين الذين لا يجدون فى أنفسهم الشجاعة ؛ ليواجهوا الحق بالإيمان الصريح ، ويدَّعون الإيمان ، وهم فى الحقيقة ليسوا مؤمنين ، ويظنون فى أنفسهم الذكاء والدهاء والقدرة على خداع البسطاء ، ولكن الله يخادعهم ، ويتفضل على عباده المؤمنين ويضمهم إلى صفه ، ويتولى هو خداع الكافرين ، فمعركتهم ليست مع المؤمنين وحدهم وإنما هى مع الله القوى الجبار القهار ، وإنهم إنما يحاربون الله حين يحاربون أولياءه ، وإنما يتصدون لنقمة الله حين يحاولون هذه المحاولة اللئيمة .

والمرض الذى فى قلوبهم ينشئ مرضاً ، وتنفرج زاوية الانحراف فى كل خطوة وتزداد ، سنة لا تتخلف فى الأشياء والأوضاع ، فهم صائرون إذن إلى مصير معلوم ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾.

وأصحاب هذه النفوس المريضة مردوا على النفاق والخداع والإفساد ، ويقولون إنهم مصلحون لأن الموازين مختلة فى أيديهم ، ومتى اختل ميزان الإخلاص والتجرد فى النفس اختلت سائر الموازين والقيم ؛ لأنه يتأرجح فى نفوسهم مع الأهواء الذاتية ، ولا يثوب إلى قاعدة ربانية ، ليس هذا فحسب ، بل يتطاولون على بسطاء الناس ؛ ليكسبوا لأنفسهم مقاماً زائفاً فى أعين الناس : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾.

وواضح أن الدعوة التى كانت موجهة إليهم فى المدينة هى أن يؤمنوا الإيمان الخالص المستقيم المتجرد من الأهواء ، إيمان المخلصين الذين دخلوا فى السلم كافة ، وأسلموا وجوههم لله ، وفتحوا صدورهم لرسول الله ﷺ يوجههم فيستجيبون بكليتهم مخلصين متجردين ، هؤلاء هم الناس الذين كانوا المنافقون يدعون ليؤمنوا مثلهم .

والواضح أن المنافقين كانوا يأنفون من هذا الاستسلام للرسول ﷺ ويرونه خاصاً بالفقراء غير لائق بالعلية ذوى المقام ، ومن ثم قالوا قولتهم هذه : ﴿ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ ومن ثم جاءهم الرد الحاسم ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ ومتى علم السفيه أنه سفيه، ومتى استشعر المنحرف أنه بعيد عن المسلك القويم .

ثم تجىء السمة الأخيرة التى تكشف مدى ارتباطهم باليهود ، ولا يقف المنافقون عند حد الكذب والخداع والسفه والادعاء ، وإنما يضيفون إليها اللؤم والتآمر فى الظلام : ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ ، وبعض الناس يحسب اللؤم قوة ، والمكر السيئ براعة ، وهو فى حقيقته ضعف وخسة ، فالقوى ليس لئيما ولا خبيثاً ، ولا خادعاً ولا متآمرا ، ولا غمازا فى الخفاء . وما يكاد القرآن يحكى فعلتهم هذه وقولتهم ، حتى يصب عليهم من التهديد ما يهد الرواسى : ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

فيدعهم يتخبطون على غير هدى فى طريق لا يعرفون غايته ، واليد الجبارة تتلقفهم فى نهايته ، كالفئران الهزيلة تتواثب فى الفخ ، غافلة عن المقبض المكين ، وهذا هو الاستهزاء الرعيب ، لا كاستهزائهم الهزيل الصغير .

**يقول صاحب الظلال** : « وهنا .. تبدو تلك الحقيقة .. حقيقة تولى الله ـ سبحانه ـ للمعركة التى يراد بها المؤمنون ، وما وراء هذا التولى من طمأنينة كاملة لأولياء الله ، ومصير رعيب بشع لأعداء الله الغافلين ، المروكين فى عماهم يخبطون ، المخدوعين بهد الله لهم فى طغيانهم ، وإمهالهم بعض الوقت عدوانهم ، والمصير الرعيب ينتظرهم هنالك وهم غافلون يعمهون » .

والكلمة الأخيرة التى تصور حقيقة حالهم ومدى خسرانهم : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ قلب الكافر مطبوع عليه ، فلا يصل نور الحق إليه ، إلا إذا تاب ورجع إلى ربه .

٢ ـ المنافقون أشد الناس خطراً على الإسلام والمسلمين ؛ لأنهم يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر .

٣ ـ الإصلاح فى الأرض يكون بالعمل بطاعة الله ورسوله ، والإفساد فيها يكون بمعصية الله ورسوله ﷺ .

٤ ـ سلعة الله غالية ، والمتاجر بدين الله خاسر ، وباذل الهدى بالضلال تجارته فاسدة وعاقبتها الخسران المبين .

٥ ـ الذى يدير المعركة مع اليهود والمنافقين هو الله وليس المؤمنون ، والله عز وجل ناصر دينه ، ومعز أولياءه .

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ
وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ
تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟
ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

**معانى الكلمات :**

**استوقد ناراً** : أوقد ناراً . **الصيب** : المطر .

**الظلمات** : ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر .

**الرعد** : الصوت القاصف يُسمع حال تراكم السحاب ونزول المطر . **البرق** : نار تنزل من السماء أثناء قصف الرعد .

**الأرض فراشاً** : وطاء للجلوس عليها والنوم فوقها والاستقرار عليها . **السماء بناء** : سقفاً مرفوعة أو كالقبة المضروبة .

**أنداداً** : أمثالاً وشركاء من الأوثان تعبدونها . **الريب** : الشك مع اضطراب النفس وقلقها . **شهداءكم** : أنصاركم ، وآلهتكم التى تدعون أنها تشهد لكم عند الله وتشفع .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم حالة التيه والاضطراب والقلق والأرجحة التى يعيش فيها المنافقون .

٢ ـ أن نؤمن بوحدة الخالق لكل الخلائق ، وأنه يجب إخلاص التوحيد له .

٣ ـ أن نتعرف على التحدى الإلهى للناس ، والتهديد المخيف للعاجز الذى لا يؤمن .

## المحتوى التربوى :

لخطورة الدور الذى يمكن أن يقوم به المنافقون فى كل وقت داخل الصف المسلم، ومدى الحاجة للكشف عن ألاعيبهم يمضى السياق يضرب الأمثال لهذه الطائفة،ويكشف عن طبيعتها، وتقلباتها وتأرجحها ليزيد هذه الطبيعة جلاء وإيضاحاً ، فيقول : إنهم لم يعرضوا عن الهدى ابتداء ، ولم يصموا آذانهم عن السماع ، وعيونهم عن الرؤية وقلوبهم عن الإدراك ، كما صنع الذين كفروا ، ولكنهم استحبوا العمى على الهدى بعدما استوضحوا الأمر وتبينوه ، لقد استوقدوا النار وطلبوا الهداية ، فلما أضاء لهم نورها لم ينتفعوا بها وهم طالبوها عندئذ ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ الذى طلبوه ثم تركوه:﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ جزاء إعراضهم عن النور !

وصور الله حالهم المضطربة عندما يظهر لهم الحق تارة ويشكون فيه تارة أخرى ، فشبه الله دين الاسلام فى المثل بالصيب أى : بالمطر ؛لأن القلوب تحيا به ، حياة الأرض بالمطر ، والشبهات

والشكوك فى قلب هذا الضرب من المنافقين شبهها بالظلمات ، والوعيد الموجود فى دين الله سواء كان الوعيد بالفضيحة أو بالعذاب الأخروى ، أو بانتصار المؤمنين بالرعد ، وبقايا الفطرة فى قلوب هؤلاء بالبرق ، وما يصيبهم من الأفزاع والبلايا بالصواعق .

ومثل المنافقين كمثل أصحاب مطر نزل من السماء فيحال ظلمات ، وهى الشكوك والشبهات، ورعد ، وهو ما يزعج القلوب من الخوف ، وبرق وهو ما يلمع فى قلوب ذلك الضرب من المنافقين فى بعض الأحيان من نور الإيمان ، فهم يسدون آذانهم ، فلا يرغبون فى أن يسمعوا التهديد والوعيد وأخبار أيام الله ، ولكن ذلك لا يجديهم فإن سد الأذن لا يغنى من الصاعقة شيئاً ، ومع شدة لمعان البرق فينقدح فى قلوبهم نور إضافى ، فإنهم لا يستفيدون منه إلا قليلاً ، لما يعقبه من ظلام ، فهؤلاء إذا ظهر لهم شىء من الإيمان استأنسوا به واتبعوه ، ثم تَعْرض لهم الشكوك فتُظلم قلوبهم ، فيقفون حائرين ، وقد حذر الله المنافقين بأسه وسطوته ، وأخبرهم أنه بهم محيط وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير .

ويتحول السياق لنداء الناس كافة ، وأمر البشرية جمعاء ، أن تختار الصورة الكريمة المستقيمة. الصورة النقية الخالصة . صورة المتقين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . إنه النداء إلى الناس كلهم لعبادة ربهم الذى خلقهم والذين من قبلهم ، ربهم الذى تفرد بالخلق ، فوجب أن يتفرد بالعبادة ، وللعبادة هدف لعلهم ينتهون إليه ويحققوه : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ لعلكم تصيرون إلى تلك الصورة المختارة من صور البشرية صورة العابدين لله . المتقين لله ، الذين أدوا حق الربوبية الخالقة ، فعبدوا الخالق وحده ، رب الحاضرين والغابرين، وخالق الناس أجمعين ، ورازقهم كذلك من الأرض والسماء بلا ند ولا شريك .

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا ﴾ : وهو تعبير يشى باليسر فى حياة البشر على هذه الأرض ، وفى إعدادها لهم لتكون لهم سكناً مريحاً . ولكن الناس ينسون هذا الفراش لطول ما ألفوه . ينسون هذا التوافق الذى جعله الله فى الأرض ؛ لتكون مهداً ، وما سخره من وسائل الراحة والمتعة ، ولولا هذا التوافق ما قامت حياتهم على هذا الكوكب فى مثل هذا اليسر والطمأنينة .

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾ : والسماء ذات علاقة وثيقة بحياة الناس فى الأرض ، وبسهولة هذه الحياة ، فلا عجب أن نذكر فى معرض تذكير الناس بقدرة الخالق وهى بتناسقها وأجرامها وشموسها تمهد الحياة على الأرض وتعين عليها . ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ : ما يفتأ يتردد هذا فى مواضع شتى من القرآن فى معرض التذكير بقدرة الله ، والتذكير بنعمته كذلك ، والماء النازل من السماء هو مادة الحياة الرئيسية للأحياء فى الأرض جميعاً ، وهو أمر لا يقبل المماحكة ، فتحكى الإشارة إليه ، والتذكير به ، فى معرض الدعوة إلى عبادة الخالق الرازق الوهاب .﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ : فالشرك به بعد العلم به تصرف لا يليق ، والأنداد المنهى عنها قد لا تكون آلهة تعبد مع الله على النحو الساذج الذى كان يزاوله المشركون ،

فقد تكون فى تعليق الرجاء بغير الله فى أى صورة ، أو فى الخوف من غير الله ، وفى الاعتقاد بنفع أو ضر فى غير الله .

عن ابن عباس قال : « الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صخرة سوداء فى ظلمة الليل » ، وهو أن يقول : والله ، وحياتك يا فلان ، وحياتى ، ويقول : لولا كلبة فلان لأتانا اللصوص البارحة ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ! وقول الرجل : لولا الله وفلان، هذا كله به شرك » .

وفى الحديث أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ ما شاء الله وشئت . قال : « أجعلتنى لله نداً »؟!

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ : يبدأ هذا التحدى بوصف الرسول بالعبودية كتشريف له ، وتقريب بإضافة عبوديته لله تعالى ، ودلالة على أن مقام العبودية لله هو أسمى مقام يدعى إليه بشر ، ويدعى به كذلك . أما التحدى فمنظور فيه إلى مطلع السورة بقوله : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ وهذا التحدى ظل قائماً فى حياة الرسول ﷺ وبعدها ، وسيظل كذلك أبداً . لقول الله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ والتحدى هنا عجيب ، والجزم بعدم إمكانه أعجب ، ولو كان فى الطاقة تكذيبه ما توانوا عنه لحظة ، فالقرآن معجزة لا سبيل إلى المماراة فيها . ولقد كان المجال أمامهم مفتوحاً : فلو أنهم جاؤوا بما ينقض هذا التقرير القاطع لانهارت حجية القرآن .

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾: ولم الجمع بين الناس والحجارة ؟ لقد أعدت هذه النار للكافرين الذين سبق فى أول السورة وصفهم بأنهم ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ والذين يتحداهم القرآن هنا فيعجزون ، ثم لا يستجيبون ، فهم إذن حجارة من الحجارة ! وإن تبدوا فى صورة آدمية من الوجهة الشكلية ، فهذا الجمع بين الحجارة من الحجر ، والحجارة من الناس هو الأمر المنتظر !

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعنى للأذهان .

٢ ـ النفوس تحيا بالقرآن كما تحيا الأرض بماء المطر .

٣ ـ وجوب عبادة الله تعالى ، إذ هى غاية الحياة كلها .

٤ ـ وجوب معرفة الله بأسمائه وصفاته .

٥ ـ الحذر من الشرك صغيره وكبيره ظاهره وخفيه .

٦ ـ النار تتقى بالإيمان والعمل الصالح ففى الحديث الصحيح : « اتقوا النار ولو بشق تمرة ».

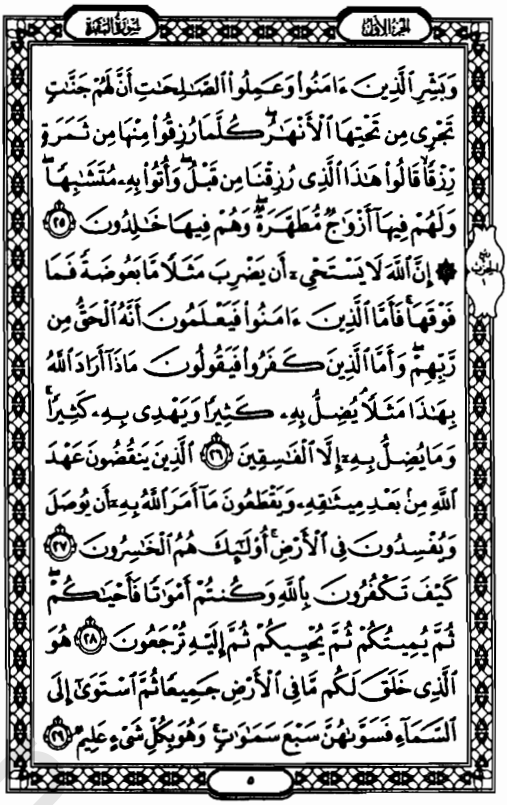
وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ
رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ
وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾
۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا
فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ
وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ۚ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾
كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ
ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى
ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

**معانى الكلمات :**

**بشر** : التبشير : الإخبار السَّار وذلك بالمحبوب للنفس . **أتوا به متشابهاً** : أعطوا الثمار ، وقدم لهم يشبه بعضه بعضاً فى اللون ولكنه مختلف فى الطعم . **مطهرة**: من دم الحيض والنفاس وسائر المعايب والنقائص . **لا يستحيى** : لا يمنعه الحياء من ضرب الأمثال وإن صغرت كالبعوض . **الفاسقون** : الفسق : الخروج عن الطاعة ، والفاسقون : هم التاركون لأمر الله تعالى . **ينقضون** : النقض الحلّ بعد الإبرام : أى : يخالفون ما عاهدوا الله عليه . **عهد الله** : ما عهد به إلى الناس من الإيمان والطاعة له ولرسوله . **يقطعون ما أمر الله به أن يوصل** : من إدامة الإيمان والتوحيد والطاعة وصلة الأرحام .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على النعيم الذى ينتظر المؤمنين .

٢ ـ أن نعلم حكمة الله تعالى من وراء ضرب الأمثال .

٣ ـ أن نؤمن بقدرة الله تعالى القادرة .

## المحتوى التربوى :

فى مقابل المشهد المفزع السابق ، يأتى مشهد النعيم الذى ينتظر المؤمنين ، وهى ألوان من النعيم تستوقف النظر ، تشابه الأكل الظاهرى ، ملمح الدعابة الحلوة ، والرضا السابغ ، والتفكر الجميل ، بتقديم المفأجاة بعد المفأجاة ، وفى كل مرة ينكشف التشابه الظاهرى عن شىء جديد ! وهذا التشابه فى الشكل ، والتنوع فى المزية ، سمة واضحة فى صنعة البارئ تعالى ، تجعل الوجود أكبر فى حقيقته من مظهره ، فمن ذا الذى لا يعبد الله وحده ، وهذه آثار صنعته ، وآيات قدرته ؟ ومن ذا الذى يجعل لله أنداداً ، ويد الإعجاز واضحة الآثار ، فيما تراه الأبصار ، وفيما لا تدركه الأبصار ؟

وهذه الآيات تشى بأن المنافقين ـ وربما كان اليهود والمشركون ـ قد وجدوا فى هذه المناسبة منفذاً للتشكيك فى صدق الوحى بهذا القرآن ؛ بحجة أن ضرب الأمثال بما فيها من تصغير لهم وسخرية منهم لا تصدر عن الله ، وأن الله لا يذكر هذه الأشياء الصغيرة كالذباب والعنكبوت فى كلامه !. وكان هذا طرفاً من حملة التشكيك والبلبلة التى يقوم بها المنافقون واليهود فى المدينة، كما كان يقوم بها المشركون فى مكة، فجاءت دفعاً لهذا الدس ، وبياناً لحكم الله فى ضرب الأمثال. فالله رب الصغير والكبير ، وخالق البعوضة والفيل ، والمعجزة فى البعوضة هى ذاتها المعجزة فى الفيل ، إنها معجزة الحياة . معجزة السر المغلق الذى لا يعلمه إلا الله ، على أن ضرب الأمثال الله ـ جلت حكمته ـ يريد بها اختبار القلوب ، وامتحان النفوس . فأما الذين آمنوا فيتلقون بإيمانهم كل ما يصدر عن الله بما يليق من جلاله ، وبما يعرفون من حكمته ، والذين كفروا يطرحون سؤال المحجوب عن نور الله وحكمته ماذا أراد الله بهذا مثلاً ؟ لأنهم مقطعوا الصلة عن سنة الله وتدبيره وهو سؤال من لا يرجو لله وقاراً ، ولا يتأدب معه الأدب اللائق بالعبد أمام تصرفات الرب .

ويأتى الجواب فى صورة التهديد والتحذير بما وراء هذا المثل من تقدير وتدبير : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ فالله سبحانه يطلق الابتلاءات تمضى فى طريقها ، ويتلقاها عباده ، كل وفق طبيعته واستعداده ، فالابتلاء واحد ولكن آثاره فى النفوس تختلف ، فأما المؤمن الواثق بالله وحكمته ورحمته فتزيده التجاء إلى الله وتضرعاً وخشية ، وأما الفاسق أو المنافق فتزلزله وتزيده من الله بُعداً.

ويمضى السياق يفصّل صفات هؤلاء الفاسقين ، فيصفهم بأنهم يقطعون عهد الله من بعد ميثاقه ، وعهد الله المعقود مع البشر يتمثل فى عهود كثيرة ، إنه عهد الفطرة المركوز فى طبيعة كل حى،أن يعرف خالقه، وأن يتجه إليه بالعبادة ، وما تزال فى الفطرة هذه الحاجة المُلحة للاعتقاد بالله ، ولكنها تضل وتنحرف فتتخذ من دون الله أنداداً وشركاء ، وهو عهد الاستخلاف فى الأرض الذى أخذه الله على آدم ـ كما سيجىء .

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ ، وهو عهوده الكثيرة فى الرسالات، لكل قوم أن يعبدوا الله وحده ، وأن يحكموا فى حياتهم منهجه وشريعته ، وهذه العهود كلها هى التى ينقضها الفاسقون . وإذا نقض عهد الله من بعد ميثاقه ، فكل عهد دون الله منقوض . فالذى يجرؤ على نقض عهد لله لا يحترم بعده عهداً من العهود .

﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ : والله أمر بصلات كثيرة كصلة الرحم والقربى ، وأمر قبل هذا كله بالعقيدة والأخوة الإيمانية ، التى لا تقوم صلة ولا وشيجة إلا معها ، وإذا قطع ما

أمر الله به أن يوصل ، فقد تفككت العرى ، وانحلت الروابط ، ووقع الفساد فى الأرض وعمت الفوضى .

﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ : والفساد فى الأرض ألوان شتى ، تنبع كلها من الفسوق عن كلمة الله ، ونقض عهد الله ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ورأس الفساد فى الأرض هو الحيدة عن منهجه الذى اختاره ليحكم حياة البشر ويصرفها ، هذا مفرق الطريق الذى ينتهى إلى الفساد حتما ، وإذا انقطعت العروة بين الناس وربهم على هذا النحو ، فهو الفساد الشامل للنفوس والأحوال ، والفساد حصيلة الفسوق عن طريق الله ، ومن ثم يستحق أهله أن يضلهم الله بما يهدى به عباده المؤمنين .

والكفر بالله فى مواجهة آلائه كفر قبيح بشع ، والقرآن يواجه البشر بما لابد لهم من مواجهته ، والاعتراف به ، والتسليم بمقتضياته يواجههم بموكب حياتهم وأطوار وجودهم ، لقد كانوا أمواتاً فأحياهم ، فمن الذى أنشأ لهم هذه الحياة ؟ وهكذا تتوالى الآيات بين فتح سجل الحياة وطيها ، وتعرض فى ومضة صورة البشرية فى قبضة البارئ : ينشرها من همود الموت أول مرة ، ثم يقبضها بيد الموت فى الأولى ، ثم يحييها كرة أخرى ، وإليه مرجعها فى الآخرة ، كما كانت منه نشأتها فى الأولى .

ويمتن الله عز وجل بنعمة الإنعام عليهم بما فى الأرض جميعاً ، ليس هذا فحسب ، بل وسيادتهم على ما فيها ، وأجزل العطاء ، فاستخلفهم ، فأضاف إلى الانتفاع نعمة الملك ، وبعد خلق الأرض عمد تعالى إلى خلق السموات فسواهن ، وعدل خلقهن وتقويمها ، وإخلائها من العوج والفطور أو إتمام خلقهن ، ومن فعل هذا كله كان علمه محيطاً، وهذا حافز من حوافز الإيمان به وحده ، وإفراد الرازق المنعم بالعبادة اعترافاً بالجميل . وهكذا تنتهى هذه الآيات مركزة على الإيمان ، داعية إلى اختيار موكب المؤمنين المتقين.

**ما ترشد نا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ الحياء لا ينبغى أن يمنع من فعل المعروف وقوله والأمر به .

٢ ـ يستحسن ضرب الأمثلة لتقريب المعانى إلى الأذهان .

٣ ـ رأس الفساد الحيدة عن منهج الله الذى اختاره ليحكم البشر .

٤ ـ الذى يجرؤ على نقض عهد الله لا يحترم بعده عهداً من العهود .

٥ ـ يقع البلاء لتحقيق الإيمان وبيان المؤمن من الفاسق .

٦ ـ إذا قطع الإنسان علاقته بربه انفصمت كل علاقاته وتفككت كل العرى وعم الفساد.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ
قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ
نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا ۖ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾
٦

**معانى الكلمات :**

**الملائكة** : جمع ملئك ويخفف فيقال : مَلَك، وهم خلق من عالم الغيب ، خلقهم الله من نور. **الخليفة** : من يخلف غيره ، والمراد هنا آدم عليه السلام . **يفسد فيها** : الإفساد فى الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصى . **يسفك** : يسيل الدماء بالقتل والحرب .

**نسبح بحمدك** : نقول : سبحان الله وبحمده ، والتسبيح : التنزيه عما لا يليق بالله تعالى . **الأسماء** : أسماء الأجناس كلها كالماء والنبات والحيوان واللغات ...إلخ . **غيب السموات** : ما غاب عن الأنظار والإدراك فى السموات والأرض .

**الحكيم** : الذى يضع الشىء فى موضعه . **أبى** : رفض وامتنع عن السجود لآدم .

**استكبر** : تعاظم فى نفسه فمنعه الاستكبار والحسد من الطاعة بالسجود لآدم . **رغداً** : العيش الهنىء الواسع . **فأزلهما** : أوقعهما فى الزلل ، وهو مخالفتهما لنهى الله تعالى لهما عن الأكل من الشجرة . **كلمات** : هى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم حكمة ذكر قصص الأنبياء فى القرآن من عرض قصة الدعوة إلى الله ، وعرض طبيعة الإيمان فى نفوس الأنبياء .

٢ ـ أن نتعرف على قصة الاستخلاف لآدم عليه السلام .

٣ ـ أن نعلم قيمة الإنسان فى الأرض والمعركة القائمة بين إبليس وآدم وذريته .

**المحتوى التربوى :**

قصص الأنبياء فى القرآن يمثل موكب الإيمان فى طريقه الممتد الواصل الطويل . ويعرض قصة الدعوة إلى الله ، واستجابة البشرية لها جيلاً بعد جيل ؛ كما يعرض طبيعة الإيمان فى نفوس

هذه النخبة المختارة من البشر ، وطبيعة تصورهم للعلاقة بينهم وبين ربهم الذى خصصهم بهذا الفضل العظيم .

والآيات تحكى قصة موكب الوجود كله ، وقرار الله باستخلاف آدم فى الأرض ، وإعطائه المعرفة التى يعالج بها هذه الخلافة . ومنحه مقاليدها ، على عهد من الله وشرط، وحكمة الله ومشيئته فى خلق آدم تخفى على الملائكة ، فلا يعلمون ما الحكمة فى بناء هذه الأرض وعمارتها ، وفى تنمية الحياة وتنويعها ، وفى تحقيق إرادة الخالق وناموس الوجود فى تطويرها وترقيها وتعديلها على يد خليفة الله فى أرضه هذا الذى قد يفسد أحيانا ، وقد يسفك الدماء أحيانا ليتم من وراء هذا الشرط الجزئى الظاهر خير أكبر وأشمل ، خير النمو الدائم والرقى الدائم ، خير المحاولة التى لا تكلف ، والتطلع الذى لا يقف والتعبير والتطوير فى هذا الملك الكبير . عندئذ جاءهم القرار من العليم بكل شىء ، والخبير بمصائر الأمور : ﴿ قَالَ إِنِّيَ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

يعرض الله للملائكة صورًا من السر الإلهى العظيم الذى أودعه هذا الكائن البشرى ، وهو يسلمه مقاليد الخلافة ، سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات. إنه التكريم فى أعلى صوره ، لهذا المخلوق الذي يفسد فى الأرض ويسفك الدماء ، وهى قيمة كبرى فى الحياة ، حين يحتاج كل فرد لكى يتفاهم مع الآخرين على شىء أن يستحضر هذا الشىء بذاته أمامهم ليتفاهموا بشأنه ! الشأن شأن نخلة فلا سبيل إلى التفاهم عليها إلا باستحضار جسم النخلة ! الشأن شأن الجبل فلا سبيل إلى التفاهم عليه إلا بالذهاب إليه ! إنها مشقة هائلة لا تتصور معها حياة إن الحياة ما كانت لتمضى فى طريقها لو لم يودع الله هذا الكائن القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات وتصورها فى الذهن وهى غائبة وحاضرة .

ثم يكرمه تكريماً فى أعلى صوره ، بوهبه الأسرار ما يرفعه على الملائكة ، لقد وهبه سر المعرفة ، كما وهبه سر الإرادة المستقلة التى تختار الطريق وأمر بعد ذلك الملائكة بالسجود ، فسجدوا امتثالاً للأمر العلوى الجليل إلا إبليس أبى استكبارا عن معرفة الفضل لأهله ، بالعزة بالإثم ، والاستغلاق عن الفهم ، وانكشف ميدان المعركة الخالدة بين خليفة الشر فى إبليس ، وخليفة الله فى الأرض ، المعركة التى ينتصر فيها الخير بمقدار ما يستعصم الإنسان بإرادته وعهده مع ربه ، وينتصر فيها الشر بمقدار ما يستسلم الإنسان لشهوته ويبعد عن ربه .

وزاد العطاء وسكن آدم وزوجه الجنة ومع العطاء كان البلاء ، لتتم التجربة ويدخل آدم طور الامتحان ، فأبيحت لهما كل ثمار الجنة إلا شجرة ـ شجرة واحدة ـ ربما كانت ترمز للمحظور الذى لابد منه فى حياة الأرض ، فبغير محظور لا تنبت الإرادة ، ولا يتميز الإنسان المريد من

الحيوان المسوق ، ولا يمتحن صبر الإنسان على الوفاء بالعهد والتقيد بالشرط ، فالإرادة هى مفرق الطريق ، والذين يستمتعون بلا إرادة هم من عالم البهيمة ، ولو بدوا فى شكل الآدميين !

ولكن عدوهما لم يتركهما بل أزلهما فأخرجهما مما كانا فيه ، وعندئذ تمت التجربة : نسى آدم عهده ، وضعف أمام الغواية ، وعندئذ حقت كلمة الله وصرح قضاؤه : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ وكان هذا إنذاراً بانطلاق المعركة الخالدة فى مكانها المقدر لها بين الشيطان والإنسان إلى آخر الزمان .

ونهض آدم من عثرته ، بما ركب فى فطرته ، وأدركته رحمة ربه التى تدركه دائماً عندما يثوب إليها ، ويلوذ بها ، ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ وتمت كلمة الله الأخيرة ، وعهده الدائم مع آدم وذريته ، عهد الاستخلاف فى هذه الأرض ، وشرط الفلاح فيها أو البوار . وانتقلت المعركة الخالدة إلى ميدانها الأصيل ، وانطلقت من عقالها ما تهدأ لحظة وما تفتر ، وعرف الإنسان فى فجر البشرية كيف ينتصر إذا شاء الانتصار ، وكيف ينكسر إذا اختار لنفسه الخسار .

وهكذا مرت التجربة التى كانت تربية لهذا الخليفة وإعداداً ، كانت إيقاظاً للقوى المذخورة فى كيانه ، فكانت تدريباً له على تلقى الغواية ، وتذوق العقبة ، وتجرع الندامة ، ومعرفة العدو والالتجاء بعد ذلك إلى الملاذ الأمين .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ الإنسان سيد هذه الأرض ، ومن أجله خلق كل شىء ، فلا يجوز أن يستعبد أو يستذل لشىء مادى فيها .

٢ ـ دور الإنسان فى الأرض أن يكون قائداً لا مقودًا ومتبوعاً لا تابعاً ، وعابداً لله ليس لغيره.

٣ ـ بغير المحظور لا تنبت الإرادة ، ولا يتميز الإنسان المريد من الإنسان المسوق .

٤ ـ الحسد والكبر من صفات إبليس ـ لعنه الله ـ فلا يجوز أن يتخلق بهما مؤمن بالله ورسوله .

٥ ـ التوبة طريق الخلاص من الخطيئة ، والله يقبل التوبة إذا ندم العبد وأقلع عن ذنوبه .

٦ ـ عقد الاستخلاف قائم على تلقى الهدى من الله ، والتقيد بمنهجه فى الحياة ، فإما الله أو الشيطان ، وإما الهدى أو الضلال ؛ وإما الفلاح أو الخسران .

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ
وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ
﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٨﴾

**معانى الكلمات :**

**اتبع هداى** : أخذ بشرعى فلم يخالفه ولم يحد عنه .**إسرائيل**: هو يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم وبنوه هم اليهود . **ارهبون** : اخشونى ولا تخشوا غيرى . **ثمناً قليلاً** : متاع الحياة الدنيا.**لا تلبسوا الحق بالباطل**: وذلك قولهم : محمد نبىّ ولكنه مبعوث إلى العرب لا إلى بنى إسرائيل . **البر** : لفظ جامع لكل خير والمراد هنا : الإيمان بالله ورسوله ﷺ والدخول فى الإسلام . **الصبر**: حبس النفس على ما تكره وتغليب باعث الدين على باعث الهوى . **يظنون** : يوقنون [ ابن جرير فى تفسيره ] . **ملاقوا ربهم** : بالموت ، راجعون إليه يوم القيامة . **لا تجزى نفس** : لا تغنى نفس عن نفس أخرى أى غنى ما دامت كافرة . **ولا يؤخذ منها عدل**: على فرض أنها تقدمت بعدل وهو الفداء، فإنه لا يؤخذ منها . **ولاهم ينصرون** : بدفع العذاب عنهم .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعرف كيف ينصر من شاء الانتصار ، وكيف ينكسر من اختار لنفسه الخسار .

٢ ـ أن نتعرف على حقيقة اليهود ودوافعهم فى الكيد للإسلام والمسلمين .

٣ ـ أن نذكر النعم بشكر الله عز وجل علينا .

## المحتوى التربوى :

يمضى السياق فيقرر القاعدة الكلية التى سيكون عليها مدار فعل الله جل جلاله بهم ، وهى : إنه فى أى وقت وزمان جاءكم منى ـ يا معشر الثقلين ـ هدى ، أى رسول وكتاب يهديكم لما يقربكم منى ويدنيكم من رضائى ، فمن تبع هداى منكم ، بأن آمن برسلى وكتبى واهتدى بهم ، وذلك بتصديق جميع أخبار الرسل والكتب ، والامتثال للأمر ، والاجتناب للنهى ، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة ، ولاهم يحزنون على ما فاتهم من أمر الدنيا ، والذين كفروا وجحدوا الهدى ، وكذبوا أهله مع مجيئهم بالآيات ، هؤلاء أهل النار ومستحقوها وهم مخلدون فيها لا محيد لهم عنها ولا محيص ، وإن المستعرض لتاريخ بنى إسرائيل ليأخذه العجب من فيض

الآلاء التى أفاضها الله عليهم ، ومن الجحود المنكر المتكرر الذى قابلوا به هذا الفيض المدرار ، وهنا يذكرهم بنعمته التى أنعمها عليهم إجمالاً، ليدعوهم إلى الوفاء بعهدهم معه ـ سبحانه ـ كى يُتم عليهم النعمة ويمد لهم فى الآلاء ، والعهد المشار إليه هو العهد الكونى السابق المعقود بين فطرة الإنسان وبارئه : أن يعرفه ويعبده وحده لا شريك له ، وكذلك العهد الذى قطعه الله لإبراهيم جد إسرائيل فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وهو العهد الخاص الذى قطعه الله عليهم وقد رفع فوقهم الطور وأمرهم أن يأخذوا ما فيه بقوة ، وهذه العهود جميعاً إن هى إلا عهد واحد فى صميمها . إنه العهد بين البارئ وعباده أن يضعوا قلوبهم إليه ، وأن يسلموا أنفسهم كلها له ، وهذا هو الدين الواحد ، وهذا هو الإسلام الذى جاء به الرسل جميعاً ، وسار موكب الإيمان يحمله شعاراً له على مدار القرون .

ووفاء بهذا العهد كذلك يدعو بنى إسرائيل أن يخافوه وأن يفردوه بالخشية، ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴾

وكذلك يدعو بنى إسرائيل أن يؤمنوا بما أنزله على رسوله ، مصدقاً لما معهم فما الإسلام الذى جاء به محمد ﷺ إلا الدين الواحد الخالد ، جاء به فى صورته الأخيرة ، وهو امتداد لرسالة الله ، ولعهد الله منذ البشرية الأولى ، يضم جناحيه على ما مضى ، ويأخذ بيد البشرية فيما سيأتى ، وينهى بنى إسرائيل أن يكون كفرهم بما أنزله مصدقاً لما معهم ، شراء للدنيا بالآخرة .

ويمضى السياق ويحذرهم الله ما كانوا يزاولونه من تلبيس الحق بالباطل ، وكتمان الحق وهم يعلمون ، بقصد بلبلة الأفكار فى المجتمع المسلم ، ثم يدعوهم إلى الاندماج فى موكب الإيمان ، والدخول فى الصف ، وأداء عباداته المفروضة ، وترك هذه العزلة والتعصب الذميم ، وهو ما عرفت به يهود من قديم : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ .

وهنا ينكر الله عليهم ـ وبخاصة أحبارهم ـ أن يكونوا من الدعاة إلى الإيمان بحكم أنهم أهل كتاب بين مشركين وهم فى الوقت ذاته يصدون قومهم عن الإيمان بدين الله ، وهنا تظهر آفة رجال الدين ، حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حارة دافعة ، إنهم يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، يأمرون بالخير ولا يفعلونه ، ويدعون إلى البر ويهملونه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه ، والدعوة إلى البر والمخالفة عنه فى سلوك الداعين إليه ، هى الآفة التى تصيب النفوس بلا شك لا فى الدعاة وحدهم ، ولكن فى الدعوات ذاتها . لذا فإن المطابقة بين القول والفعل ، وبين العقيدة والسلوك ، ليست أمراً هيناً ولا طريقاً مُعبداً . إنها بحاجة إلى رياضة وجهد ومحاولة ، وإلى صلة بالله ، واستمداد منه ، واستعانة بهديه .

ومن ثم يوجه القرآن اليهود الذين كان يواجههم أولاً ، ويوجه الناس كلهم إلى الاستعانة بالصبر والصلاة ، فهما الزاد الذى لابد منه لمواجهة كل مشقة والنزول عن القيادة والرياسة والنفع والكسب ، احتراماً للحق وإيثاراً له ، واعترافاً بالحقيقة وخضوعاً لها . فالصلاة صلة ولقاء بين العبد والرب ، صلة يستمد منها القلب قوة ، وتحس فيها الروح صلة وتجد فيها النفس زاداً أنفس من أعراض الحياة الدنيا ، ولقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى

الصلاة ، وهو الوثيق الصلة بربه الموصول الروح بالوحى والإلهام وما يزال هذا الينبوع الدافق فى متناول كل مؤمن يريد زاداً للطريق ، ورياً فى الهجير . ومددًا حين ينقطع المدد .

وهنا يوضح الله عز وجل لهم مناط الصبر والاحتمال ، وهو اليقين بالرجعة إليه وحده فى كل الأمور ، فهو مناط التقوى والحساسية ، والوزن الصحيح لقيم الدنيا والآخرة ، فتبدو الدنيا كلها عرضاً زائلاً هزيلاً فى مقابل الآخرة التى هى سلعة الله الغالية والتى لا يتردد عاقل فى اختيارها وإيثارها. ومن ثم عودة إلى نداء بنى إسرائيل ، وتذكيرهم بنعمة الله عليهم ، وتخويفهم ذلك اليوم المخيف ،ويذكرهم بتفضيلهم على العالمين ،وهو تفضيل موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم، فأما بعدما عتوا عن أمر ربهم ، وعصوا أنبياءهم ، وجحدوا نعمة الله عليهم ، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم ، فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة وقضى عليهم بالتشديد ، وحق عليهم الوعيد .

وتذكيرهم بتفضيلهم على العالمين ، هو تذكير لهم بما كان لهم من فضل الله وعهده ، وإطماع لهم ؛ لينتهزوا الفرصة المتاحة على يدى الدعوة الإسلامية ، فيعودوا إلى موكب الإيمان . وإلى عهد الله ، شكراً على تفضيله لآياتهم ، ورغبة فى العودة إلى مقام التكريم الذى يناله المؤمنون ويحذرهم من ذلك اليوم الذى تكون كل نفس مسؤولة عن نفسها ، ولا تغنى نفس عن نفس شيئاً ، وهذا هو المبدأ الإسلامى العظيم ، مبدأ التبعة الفردية القائمة على الإرادة والتمييز من الإنسان ، وعلى العدل المطلق من الله ، وهو أقوم المبادئ التى تشعر الإنسان بكرامته ، والتى تستجيش اليقظة الدائمة فى ضميره ، وكلاهما عامل من عوامل التربية ، فى هذا اليوم لا تنفع شفاعة من لم يُقدم إيماناً وعملاً صالحاً ؛ ولا فدية تؤخذ منه للتجاوز عن كفره ومعصيته ، ولا ناصر يعصُمهم من الله ، وينجيهم من عذابه .. وقد عبر بالجمع باعتبار مجموع النفوس التى لا تجزى نفس منها عن نفس ، ولا يصل منها شفاعة ، ولا يؤخذ منها عدل ، ولأن هذا مبدأ كلى ينال المخاطبين وغير المخاطبين من الناس

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ التأكيد على أهمية الصلاة ، وفضلها على سائر العبادات .

٢ ـ على الدعاة إلى الله أن يعملوا بما يقولون ؛ ليكونوا قدوة بالعمل والسلوك .

٣ ـ ليس لليهود عهد ولا ميثاق ، وعداؤهم للمسلمين أبدىٌّ لا يزول .

٤ ـ وجوب اتقاء عذاب يوم القيامة بالإيمان والعمل الصالح بعد ترك الشرك والمعاصى .

٥ ـ تقرير أن الشفاعة لا تكون لنفس كافرة . وأن الفداء يوم القيامة لا يقبل أبداً .

٦ ـ التقوى أن تعمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله ، وأن تترك معصية الله خوفا من عقابه .

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾
٨

**معانى الكلمات :**

**يسومونكم سوء العذاب** : يبغونكم سوء العذاب وهو أشده وأفظعه.

**يستحيون نساءكم** : يتركون ذبح البنات ليكبرن للخدمة ، ويذبحون الأولاد خوفاً منهم إذا كبروا . **فرقنا بكم البحر** : صيرناه فرقتين. **اتخذتم العجل**:هو عجل من ذهب صاغه لهم السامرى ، ودعاهم لعبادته فعبده أكثرهم. **فاقتلوا أنفسكم**:أمرهم أن يقتل من لم يعبد العجل من عبده منهم وجعل ذلك توبتهم .

**الصاعقة** : نار محرقة كالتى تكون مع السحب والأمطار والرعود . **الغمام** : سحاب رقيق أبيض . **المن والسلوى**:المنّ : مادة لزجة حلوة كالعسل ، والسلوى : طائر يقال له : السُّمانى .**الطيبات** : الحلال .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم نعم الله على بنى إسرائيل ، وكفرهم بهذه النعم .

٢ ـ أن نؤمن بأن الابتلاء سنة من سنن الله الكونية .

٣ ـ أن نعرف أن الله تعالى ـ عظيم المغفرة واسع التوبة ، يقبل من أناب إليه .

**المحتوى التربوى :**

فى هذه الآيات يعيد الله عز وجل على خيالهم ، ويستحيى فى مشاعرهم صورة الكرب الذى كانوا فيه ، ويرسم أمامهم مشهد النجاة كما رسم أمامهم مشاهد العذاب ، ويذكرهم بعد ذكر النجاة أن التعذيب كان فيه بلاء من ربهم عظيم ، ليُلقى فى حسهم ـ وحس كل من يصادف شدة ـ يفيد من الشدة ، ويعتبر من البلاء ، ويكسب من ورائهما حين ينتبه ، والألم لا يذهب ضياعاً إذا عاش صاحبه بهذا التصور والألم يهون حين يلمح فجر الأجر باحتسابها عند الله ،

وبالتضرع لله وبانتظار الفرج من عنده وعدم اليأس من رحمته،ويذكرهم بمشهد النجاة؛ ليتأثروا بهذا التصور ، فتذكروا نعمة الله عليكم حين نصركم على عدوكم مناً وفضلاً .

**يقول صاحب زهرة التفاسير** : « نجا بنو إسرائيل ، وظهرت آيتان :

**إحداهما** : أن موسى عليه السلام ضرب البحر بعصاه ، فانشق وانفلق ، وكان كل فرق من أقسامه ، كأنه الجبل العظيم من الماء .

**والثانية** : أن هذا كان على قدر مسير بنى إسرائيل بقيادة موسى عليه السلام ، وظن فرعون وآله أن الطريق مفتوح لهم ، كما فتحى لبنى إسرائيل ، فساروا وراءهم فانطبق البحر عليهم ، وكانوا مغرقين .

كانت هذه النجاة بمعجزة من الله تعالى كافية لإيمان الكافر حتى إن فرعون قال : آمنت بالذى آمن به بنو إسرائيل ، وإن كان لم ينفعه إيمانه » .

وفى هذه الآيات يمضى السياق قدماً مع رحلة بنى إسرائيل بعد خروجهم من مصر ناجين ، وقصة اتخاذ بنى إسرائيل للعجل ، وعبادته فى غيبة موسى عليه السلام عندما ذهب إلى ميقات ربه عند الجبل ، فصَّل هذه القصة فى سورة طه وهنا فقط يذكرهم بها ، يذكرهم بانحدارهم إلى عبادة العجل بمجرد غيبة نبيهم ، الذى أنقذهم منذ قليل باسم الله ، من آل فرعون الذين يسومونهم سوء العذاب .

ويصف حقيقة موقفهم الظالم حيث تركوا عبادة الله ووصية نبيهم، ليعبدوا عجلاً جسداً ، وقد أنقذهم ممن كانوا يقدسون العجل ! ورغم هذا العصيان المقيت والانحدار النكد فقد عفا عنهم ، وآتى نبيهم الكتاب ـ التوراة ـ فيه فرقان الحق والباطل عسى أن يهتدوا إلى الحق المبين بعد الضلال .

**ويقول صاحب الظلال** : « وتأتى التربية الإيمانية ، لتجتث المعصية من جذورها فلابد من التطهير القاسى ، فهذه الطبيعة المنهارة الخاوية لا تقّومها إلا كفارة صارمة ، وتربية عنيفة ، وتأديب حازم ، فليقتل الطائع منكم العاصى ؛ ليطهره ويطهر نفسه ، وإنه لتكليف مرهق شاق ، أن يقتل الأخ أخاه ، فكأنما يقتل نفسه برضاه ، وذلك تربية للنفوس الشاردة التى لا تتماسك عن شر ، ولا تتناهى عن منكر . ولو تناهوا عن المنكر فى غيبة نبيهم ، ما عبدوا العجل ، وإذا لم يتناهوا بالكلام فليتناهوا بالحسام ، ولتكون ضريبة فادحة تطهر النفوس ، وترضى البارئ ،

ليتوب عليهم بعد هذا العصيان المقيت ، وهنا تدركهم رحمة الله ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ .

تصور هذه الآيات طبيعة أخرى لهذه النفوس التى تعلوها كثافة الحس ، ومادية الفكر ، والاحتجاب عن مسارب الغيب ،فإسرائيل هى إسرائيل تظل تجادل وتماحل ولا تستجيب إلا تحت وقع العذاب والتنكيل، مما يوحى أن فترة الإذلال التى قضوها تحت حكم فرعون الطاغية، قد أفسدت فطرتهم إفساداً عميقاً ، وليس أشد فساداً ممن تردى عن الفطرة وتنشأ على الإذلال الذى ينشئه الطغيان الطويل ، فالذل يحطم فضائل النفس البشرية ، ويحلل مقوماتها ، ويغرس فيها المعروف من طباع العبيد : استخذاء تحت سوط الجلاد ، وتمرداً حين يُرفع عنها السوط ، وتبطرًا حين يُتاح لها شىء من النعمة والقوة . وهذه هى طبيعة بنى إسرائيل دائماً وأبداً .

يطلبون أن يروا الله جهرة فتأخذهم الصاعقة جزاء هذا التجديف ، ومرة أخرى تدركهم رحمة الله ، وتوهب لهم فرصة الحياة عسى أن يذكروا الله ويشكروه وتكلؤهم رعاية الله فى الصحراء الجرداء ، وييسر لهم طعاماً شهياً لا يجهدون فيه ولا يكدون ، ويقيهم هجير الصحراء ، وحر الشمس المحرق بتدبيره اللطيف ، فسخر لهم المن والسلوى وأحل لها الطيبات ، ولكن أتراهم شكروا واهتدوا ، إن التعقيب الأخير فى الآية يوحى بأنهم ظلموا وجحدوا ﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ ذكر النعم يحمل على شكرها ، والشكر هو الغاية من ذكر النعمة .

٢ ـ إن الله يبتلى عباده ، ليمحصهم فلا يجوز التبرم بالبلاء لأنه خط أصيل فى الدعوات ، وسنة من سنن الله .

٣ ـ الشرك ظلم عظيم ؛ لأنه وضع العبادة فى غير موضعها فلا معبود بحق يستحق العبادة إلا الله وحده ، لا شريك له .

٤ ـ إرسال الرسل ، وإنزال الكتب إنما يكون لهداية البشر لمعرفة ربهم ، وطريقه التقرب إليه: ليسعدوا فى الدنيا والآخرة .

٥ ـ مشروعية قتال المرتدين ، ففى الحديث : « من بدّل دينه فاقتلوه » ، ولكن بعد استتابته .

٦ ـ الغاية من الحياة كلها شكر المنعم عز وجل بعبادته وحده .

٧ ـ طبيعة اليهود الجحود ، والتمرد ، والعصيان ، وعلى هذا نشأت فطرتهم الخبيثة .

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ
وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا
غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ
السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا
وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ
اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

**معانى الكلمات :**

**القرية** : مدينة القدس . **رغداً** : عيشاً واسعاً هنيئاً . **سجداً** : ساجدين لله شكراً على خلاصكم من التيه . **قولوا حطة** : قولوا: مسألتنا ياربنا أن تحط عنا خطايانا.

**فبدل**: غيروا القول الذى قيل لهم ، فقالوا: حنطة وهو الشعير . **رجزاً** : عذاباً وبلاءً وقيل : هو ( الطاعون ) . **استسقى** : طلب لهم من الله تعالى السقيا أى : الماء للشرب وغيره . **فانفجرت**: انشقت وسالت بكثرة. **مشربهم** : موضع شربهم . **ولا تعثوا** : ولا تفسدوا ، والعَثَىّ والعِثِىّ : أكبر الفساد . **البقل** : وجمعه البقول سائر أنواع الخضر كالجزر والبطاطس ونحوها .

**القثاء** : الخيار ونحوه . **الفوم** : الحنطة ، وقيل : الثوم لذكر البصل بعده . **أدنى** : أقل صلاحاً ومنافع كاستبدال المن والسلوى بالفوم والبقل . **مصراً** : بلداً من البلاد وهم فى التيه ، وهى من البيت المقدس إلى قنسرين ، أو مصر فرعون . **ضربت عليهم الذلة** : أحاطت بهم ولازمتهم الذلة، وهى الصغار . **المسكنة** : فقر النفس وشحها . **باؤوا بغضب**: رجعوا بغضب الله وسخطه .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعرف أن صحائف التاريخ درس الحياة الكبير فى العظة والاعتبار .

٢ ـ أن نؤمن بأن الظلم سبب هلاك الأمم ودمارها .

٣ ـ أن نعلم كذب اليهود فى دعواهم بأنهم شعب الله المختار .

## المحتوى التربوى :

فى هذه الآيات يواجه القرآن بنى إسرائيل بما كان منهم من انحراف ومعصية وجحود فالله سبحانه وتعالى أمرهم أن يدخلوا بيت المقدس ، ويخرجوا منه العمالقة الذين كانوا يسكنونها ،

والتى نكس بنو إسرائيل عنها ، وقالوا : ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ ، ومردوا على العصيان وأبوا الدخول ، ومن ثم كتب الله عليهم التيه أربعين سنة ، حتى نشأ جيل جديد بقيادة يوشع بن نون، فتح المدينة ودخلها .

وفى هذه الآيات يذكرهم الله عز وجل بنعمه الوفيرة التى اختصهم بها ، ولم يؤت مثلها أحداً من العالمين ! الأمر الذى كان ـ بطبيعة الحال ـ يقتضى ؛ لأن يكونوا شاكرين لنعم الله عز وجل ، ولكنهم أتوا بما هو نقيض ذلك تماماً .

فمن جليل نعمه عليهم أن سخر لهم بلدة بيت المقدس تحت سيطرتهم ، وأمرهم أن يدخلوها خاضعين متواضعين لجنابه عز وجل ، ومستغفرين لذنوبهم ، فدخلوها ساخرين ، فجاءهم رجز من السماء بما كانوا يفسقون ، والرجز : العذاب جزاء خروجهم على أمر الله ، ومخالفتهم توجيه خالقهم عز وجل ، وكانت هذه واحدة من أفاعيل بنى إسرائيل !

**يقول صاحب الأساس** : « فى الآيتين إشعار بأن النعمة ينبغى أن يقابلها شكر ، والشكر قول وعمل ، وفيهما إشعار أن الأمر بالقول والفعل ينبغى أن يكون تنفيذه حرفيا لا تبديل ولا تتغير ، وأن المعصية لا تمر بلا عقوبة ، والملاحظ أن السياق كلما تقدم يوضح لنا طبيعة جديدة من طبائع يهود ، ليكون ذلك تأسيسا لفهم مواقفهم من الدعوة الجديدة ، ولتعتبر هذه الأمة فلا تقع فيما وقع به غيرها » .

تتحدث هذه الآيات عن نعم الله عز وجل أن تتنزل على بنى إسرائيل تترى وتقدير الله لبنى إسرائيل الطعام فى الصحراء ، والظل فى الهاجرة ، وأفاض عليهم الماء والرى بخارقة من الخوارق العديدة التى أجراها الله على يدى نبيه موسى عليه السلام .

والقرآن يذكرهم بنعمة الله عليهم فى هذا المقام، وكيف كان مسلكهم بعد الإفضال والإنعام .

فالله أنعم عليهم من الحجر باثنتى عشرة عينا تنبع ماء ، حجرٌ ينبع ماءً ، وسماء تنزل المنَّ والسلوى : عسلاً وطيرا ، ولكن البنية النفسية المنحرفة ، والجبلة المرتكسة فى حمئة الضلال والمتداعية نحو الكفر بالنعم وجحودها أبت على القوم أن يرتفعوا إلى مستوى الغاية التى من أجلها أخرجوا من مصر ، ومن أجلها ضربوا فى الصحراء .

قال صاحب الأساس : « قال تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ثم علل جل جلاله هذه العقوبة : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ فالكفر بالآيات وقتل الأنبياء والعصيان

والاعتداء ، هى سبب استحقاقهم للذلة والمسكنة والغضب من الله بعد سير تاريخى طويل ، وبعد إنعام كثير ، وبعد تفضيل الله إياهم على عالم زمانهم .

لقد قص الله أبناءهم ليهيئ أذهاننا لنصل إلى نتيجة ما استحقوه من عقاب مثل التيه والأسر البابلى وغير ذلك من العقوبات .

إن بذور الأخلاق الفاسدة الكبرى التى أدت إلى عقوبتهم كانت موجودة حتى فى العصر الأول عصر موسى ويوشع عليهما السلام .

لقد أخرجهم الله ـ على يدى نبيهم موسى عليه السلام من الذل والهوان ؛ ليورثهم الأرض المقدسة ، ويرفعهم من الذلة والمهانة ، وللحرية ثمن ، وللعزة تكاليف ، وللأمانة الكبرى التى ناطهم الله بها فدية ، ولكنهم ضنوا فلا أدَّوا الثمن ، ولا نهضوا بالتكاليف ولا بذلوا الفدية ، حتى هذه الحياة الهنية التى يسرها الله لهم تركوها كبراً وبطراً وعناداً، فأرادوا الأدنى واستبدلوا به الأفضل، بدعوى عدم الصبر على طعام واحد فردهم إلى حياتهم الدارجة المألوفة ، الخانعة الذليلة حيث يجدون العدس والبصل والثوم والقثاء ! آمراً إياهم بالهبوط الشامل من الأفضل إلى الأدنى من طريق الحرية والعزة ، والاستعلاء إلى المسكنة ، والذلة والغضب ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ وذلك نتيجة قسوتهم وجحودهم ، واعتدائهم على أنبياء الله ، وتنكرهم للهداة فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عدداً من أنبيائهم ـ وهى أشنع فعلة تصدر من أمة تجاه دعاة الحق المخلصين ، وهكذا كان دائماً بنو إسرائيل .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ ممارسة الحياة على أساس من الشكر والصبر والتواضع والقناعة ، معناه إصلاح الأرض وتعميرها .

٢ ـ على الدعاة إنكار المنكر دائماً ، وتذكير المجتمع بعاقبة الأخلاق السيئة من قصص السابقين للعظة والاعتبار .

٣ ـ ترك الجهاد سبب ذل الأمة ، وهوانها على الله .

٤ ـ حرمة تأويل النصوص الشرعية ؛ للخروج بها عن مراد الشارع منها .

٥ ـ الإحسان فى القول والعمل سبب المزيد فى النعم .

٦ ـ الطاعة سبب المغفرة ، والتواضع والسجود لله قمة الإحسان .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم
بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾
١٠

**معانى الكلمات :**

**الذين هادوا** : هم اليهود سُموا يهوداً لقولهم : إنا هدنا إليك أى تبنا ورجعنا . **النصارى** : سُموا نصارى ؛ إما لأنهم يناصرون ، أو لنزول مريم بولدها عيسى قرية الناصرة . **الصابئون** : عبدة الكواكب أو الملائكة . **الميثاق** : العهد المؤكد باليمين . **الطور** : الجبل الذى ناجى الله تعالى عليه موسى عليه السلام . **اعتدوا فى السبت** : تجاوزا الحدَّ فيه حيث حرمَّ عليهم الصيد فيه فصادوا . **نكالاً** : عقوبة شديدة تمنع من رآها أو علمها من فعل ما كانت سبباً فيه .

**الذبح** : قطع الودجين والمارن . **الهزؤ** : السخرية واللعب . **الفارض** : المسنة . **البكر** : الصغيرة التى لم تلد بعد. **العوان** : النَّصَفُ وسط بين المسنةوالصغيرة . **فاقع** : يقال : أصفر فاقع شديدة الصفرة كأحمر قانٍ وأبيض ناصع .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نؤمن أن العبرة بحقيقة العقيدة لا بعصبية جنس أو قوم .

٢ ـ أن نتعرف على موقف بنى إسرائيل ، وما أمروا به من أخذ ما فى الميثاق بقوة .

٣ ـ أن نتعرف على بنى إسرائيل ، ومظهر من مظاهر النكث والنكسة عندهم .

**المحتوى التربوى :**

تقرر هذه الآيات أن من آمن بالله واليوم الآخر من الذين آمنوا ومن اليهود والنصارى والصابئين وعمل صالحاً ، فإن لهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، فالعبرة بحقيقة الإيمان ، والعقيدة ، لا بعصبية جنس أو قوم ، وذلك طبعاً قبل البعثة المحمدية ، أما بعدها فقد تتحدد شكل الإيمان .

وتتحدث عن مشهد استحضار قوة دفع الصخرة فوق رؤوسهم وقوة أخذ العهد، وأمر الله لهم أن يأخذوا ما فيه بقوة، وأن يعزموا فيه عزيمة، فأمر التربية فى مجال العقيدة لا رخاوة فيه ولا تميع، ولا يقبل أنصاف الحلول؛ إنه عهد الله مع المؤمنين، وهو جد وحق وله تكاليف شاقة وهذه طبيعته، وليعلم صاحب هذا الأمر أنه إنما يودع حياة الدعة والرخاء والرفاهية، كما قال رسول الله ﷺ وقد نودى للتكليف: «مضى عهد النوم يا خديجة» وكما قال له ربه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ (المزمل: ٥) كما قال لبنى إسرائيل: ﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

إن الإيمان بالله يعنى أن المرء قد أخذ على نفسه عهداً بأن حياته ومماته ستمضى وفق منهاج الله عز وجل، إن هذا العهد خطير للغاية؛ حيث إنه يتم التعاقد فيه بين طرفين أحدهما العبد الذى هو فى منتهى الضعف والقصور والعجز، وأما الطرف الآخر فهو الله العزيز الذى يملك كل طاقات السماء والأرض.

وإن العبد إذا التزم فعلاً بكل مقتضيات هذا العهد وأحسن الوفاء به، فقد استحق عند الله نعيمًا خالدًا لا يزول، ولا يفنى أبدًا، وأما إذا أخلف عهده ذاك، ورفض الالتزام الفعلى بمقتضياته فقد عرض نفسه لمصير غاية فى الخطورة؛ وذلك أن يقذف به الله فى نار جهنم، ولا يجد إلى الخروج منها من سبيل.

إن المشاعر والكيفيات التى طرأت على قوم موسى عليه السلام، فى أثناء أخذهم الميثاق الإيمانى هى نفسها مطلوبة من كل عبد مؤمن، فينبغى لكل من يربط نفسه بالله برباط الإيمان أن يهتز كيانه وترتعد فرائصه، استشعاراً لمدى خطورة الأمر، وكأنه لئن همّ بنقض هذا العهد، فإن الأرض تنشق من تحته، والسموات يتفطرن من فوقه!!

وفى الآيات يواجههم الله مرة أخرى بمظاهر نكثهم بالعهد، وتحللهم منه، والعجز عن الاستمساك به، والضعف عن احتمال تكاليفه، فلقد أُمِرَ اليهود بأن يُخصّوا يوم السبت بالذكر والعبادة والصيام دون الصيد والعمل، ولكنهم لم يراعوا هذه الحرمة الإلهية حق رعايتها، حيث أخذوا يتشاغلون بأمورهم الدنيوية فى يوم السبت، ودَأَبُوا على اختلاق أنواع من التبريرات والتأويلات اللفظية لكى يخدعوا الناس بأن الذى يفعلونه ليس خلافاً للشريعة، بل هو عين ما أمر الله به إيّاهم.. فغضب الله عليهم لدرجة أنهم مُسخوا قردة خاسئين.

فليحذر الذين ينحرفون عن الشريعة الانحطاط إلى مستوى البهائم؛ لأنه فعلها فهى غير ملزمة بأى ضابط أو قانون أخلاقى: فليحذروا أن يأخذهم القانون الإلهى؛ فينزل بهم ذلك إلى

الدرك من الذل الحيوانى المهين الذى وقع فيه اليهود من قبل ؛ لما رواه أحمد بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ مخاطباً أمتنا : « لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » .

وقد بيَّن لنا ما مَّر من هذه الآيات خلقينِ جديدين من أخلاق اليهود وطبائعهم :

ـ إعراضهم عن الوحى المنزل إليهم مع كثرة المؤكدات ، وقوة الدواعى للإقبال .

ـ تحُيلهم على التخلص من الأوامر والنواهى بمراعاتها ظاهراً ومخالفتها باطناً ، والواجب المراعاة الظاهرة والباطنة .

**ويقول صاحب الظلال** : لقد حق عليهم جزاء النكول عن عهدهم مع الله ، والنكوص عن مقام الإنسان ذى الإرادة ، فانتكسوا بهذا إلى عالم الحيوان والبهيمة .. وليس من الضرورى أن يستحيلوا قردة بأجسامهم ، فقد استحالوا إليها بأرواحهم وأفكارهم ، وانطباعات الشعور والتفكير تعكس على الوجوه والملامح سمات تؤثر فى السحنة وتلقى ظلها العميق .

وهذه الآيات تختم الدرس بقصة البقرة ، تجيء مفصلة ، وفى صورة حكاية لترسم صورة اللجاجة والتعنت والتلكؤ فى الاستجابة لأوامر الله ، وتمحل المعاذير التى يقسم بها بنو إسرائيل ، وسماتهم تبدو واضحة فى قصة البقرة هذه : انقطاع الصلة بين قلوبهم وذلك النبع الشفيف الرقراق : نبع الإيمان بالغيب والثقة بالله ، والاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل ، ثم التلكؤ فى الاستجابة للتكاليف والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان ! ليس هذا فحسب، بل ضيقوا على أنفسهم دائرة الاختيار .

وكانوا من الأمر فى سعة ـ فأصبحوا مكلفين أن يبحثوا لا عن مجرد بقرة » بل عن بقرة متوسطة السن ، لا عجوز ولا صغيرة ، وهى بعد صفراء فاقع لونها ؛ وهى بعد هذا وذلك ليست هزيلة ولا شوهاء : ﴿ تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ ﴾.

**ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :**

١ ـ حرمة الاعتراض على الشارع ووجوب التسليم لأمره ونهيه ، ولو لم تعرف حكمة الأمر والنهى وعلتهما .

٢ ـ الندب إلى الأخذ بالمتيسر وكراهة التشدد فى الأمور .

٣ ـ إن أهل الإيمان والعمل الصالح لهم السعادة الأبدية ، ولا خوف عليهم فيما يستقبلون، ولاهم يحزنون على ما يتركونه ويخلفونه .

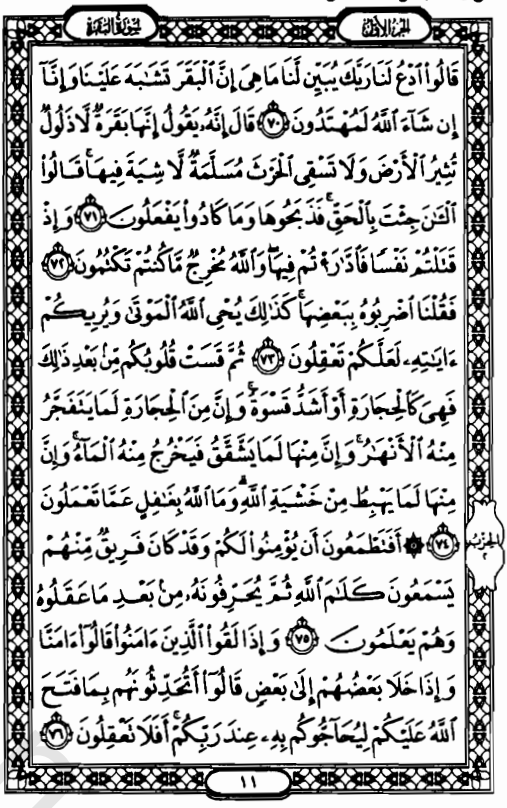
قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا
إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا
الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾
١١

**معانى الكلمات :**

**الذلول** : الرّيضّة التى زالت صعوبتها فأصبحت سهلة منقادة . **تثير الأرض** : تقلبها بالمحراث فيثور غبارها بمعنى أنها لم تستعمل فى الحرث ، ولا فى سقاية الزرع أى : لم يُسن عليها ، وذلك لصغرها .

**الحرث** : الزرع أو الأرض المُهيَّأة له . **مسلّمة** : أى سليمة من العيوب كالعور والعرج . **لا شية فيها** : الشية العلامة ، أى لايوجد فيها لون غير لونها من سوادٍ أو بياض . **ادارأتم** : تدافعتم أمر قتلها كل قبيل يتهم القبيل الآخر بقتلها .

**يحرفونه** : التحريف الميل بالكلام على وجه لا يدل على معناه .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على طبيعة بنى إسرائيل وجبلتهم الموروثة .

٢ ـ أن نعلم حقيقة البعث ، وأن الله ـ تعالى ـ قادر على إحياء الموتى .

٣ ـ أن نؤمن أن الدين يسر ، ومن شدد شدد الله عليه .

## المحتوى التربوى :

يسرد القرآن فى هذه الآيات مضاء بنى إسرائيل فى اللجاجة ، وتعقيد الأمور ، والتشديد على أنفسهم ، فشدد الله عليهم ، فزاد الأمر مشقة وعناءً ، وهكذا لم تعد بقرة متوسطة العمر ، صفراء فاقعاً لونها فارهة فحسب ، بل لم يعد بد من أن تكون ـ مع هذا ـ بقرة غير مذللة ، ولا مدربة على حرث الأرض أو سقى الزرع ! وأنها خالصة لا تشوبها علامة .

وبعد كل هذا التضاعف فى الشروط ، وضيق مجال الاختيار ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾

الآن ! كأنما كان كل ما مضى ليس حقا ، أو كأنهم لم يستيقنوا أن ما جاءهم به هو الحق إلا اللحظة ! ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ !!

وهنا فى هذه الآيات ـ وبعد تنفيذ الأمر والنهوض بالتكليف ـ كشف الله لهم الغاية منه : فلقد كشف الله لبنى إسرائيل عن الحكمة من ذبح البقرة ، فلقد كانوا قد قتلوا نفساً منهم ؛ ثم جعل كل فريق يدرأ عن نفسه التهمة ويلحقها بسواه ، ولم يكن ثمة شاهد ؛ فأراد الله أن يظهر الحق على لسان القتيل ذاته ، وكان ذبح البقرة وسيلة إلى إحيائه وبهذا الحادث أراد الله أن يكون وسيلة لتحطيم ذلك الاعتقاد المستقر فى أذهانهم عن قداسة البقرة ، ومن هنا فقد اتخذ من ذبح البقرة وسيلة لاطلاعهم على شخصية القاتل المتنازع فيها ، وكذلك إشعارهم بأن الحياة الثانية هى حياة ممكنة ؛ شأنها شأن الحياة الأولى ، وأن الله سيحيى كل إنسان بعد موته ، وسيبعثه ثانياً فى عالم جديد .

ويقول صاحب الظلال : إن المسافة بين طبيعة الموت وطبيعة الحياة مسافة هائلة تدير الرؤوس ، ولكنها فى حساب القدرة الإلهية أمر يسير ، كيف ؟ هذا ما لا أحد يدريه ، وما لا يمكن لأحد إدراكه ، إن إدراك الماهية والكيفية هنا سرمن أسرار الألوهية ، ولا سبيل إليه فى عالم الفانين ! وإن يكن فى طوق العقل البشرى إدراك دلالته والاتعاظ بها .

والمشهد الأخير من القصة كان من شأنه أن يستجيش فى قلوب بنى إسرائيل الحساسية والخشية والتقوى ، ولكن قست قلوبهم فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، وذلك لإثارتهم المناقشات اللفظية حول الحكم الإلهى ، واللجاجة فى الحق ، فأصيبوا بمرض الجمود وبلادة الإحساس ، فقست قلوبهم وتحجرت شيئاً فشيئا .

إن اسم الله هو اسم لذات أعظم وأسمى فى الوجود ، .. وإن المرء إذا كان فى داخله معمورًا بالإيمان الحى ، فإن فؤاده يرتجف عند ذكر الله ، ـ يجد نفسه أميل إلى الصمت والسكون، غير أن القلوب حين تُصاب بالجمود والبلادة الحسية ؟؟

وإن عملاً كعمل بنى إسرائيل لا يزيدهم إلا قسوة وتحجراً وبلادة إحساس ، حتى تصير قلوبهم وكأنها الحجارة أو أشد منها قسوة وصلابة ، وبالتالى فلا يعود ذكر الله واستحضاره يذيب قلوبهم ، ولا هو يُلهب مشاعرهم وأحاسيسهم .

وبعد أن استعرض القرآن بعضًا من صفات اليهود ، يخاطب الأمة الإسلامية مصححاً المفاهيم والتصورات أنه لا مطمع ولا رجاء فى أن يؤمن أمثال هؤلاء . فللإيمان طبيعة أخرى ، واستعداد آخر ، إن الطبيعة المؤمنة سمحة هينة لينة ، مفتحة المنافذ للأضواء ، مستعدة للاتصال بالنبع الأزلى الخالد بما فيه من نداوة الوحى ، وشفافية التقوى والخشية من الله ، هذه التقوى التى تمنع النفس المؤمنة أن تسمع كلام الله ثم تحرفه من بعد تعقله ؛ تحرفه عن علم وإصرار ، فالطبيعة المؤمنة مستقيمة ، تتحرج من هذا التحريف والالتواء بفعل الخشية والإيمان .

والمقصود هنا هم أعلم اليهود وأعرفهم بالحقيقة المنزلة عليهم فى كتابهم وهم الأحبار والربانيون ، فإذا كان هذا حالهم مع هدى موسى ! فمن باب أولى ينحرفون عن الحق الذى جاء به محمد ﷺ ، وإصرارهم على الباطل جدير أن يصرفهم عن الحق ، ورفض الإسلام والروغان من شريعته والافتراء عليه .

فالله يقول للمؤمنين : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾ ، وهم يضيفون إلى خراب الذمة وقسوة القلوب ، وكتمان الحق ، وتحريف الكلم عن مواضعه الرياء والنفاق والخداع والمراوغة .

فالله يبصر الأمة بأساليب الكيد والفتنة عند اليهود ؛ ويحذرهم كيدهم ومكرهم على ضوء تاريخهم وجبلتهم ، فلا تنخدع بأقوالهم ودعاويهم ، ووسائلهم الماكرة فى الفتنة والتضليل ، ويدل طول هذا الحديث كما يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ وتنوع أساليبه على ضخامة ما كانت تلقاه الجماعة المسلمة من الكيد المنصوب لها والمرصود لدينها من أولئك اليهود .

**ويقول صاحب الأساس فى التفسير:** ولأول مرة يتوجه الخطاب إلينا بشكل مباشر بقوله تعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ ﴾ وذلك بعد مجموعة من الدروس الماضية التى أخذتها الأمة فى سورة البقرة، وكأن الدروس الماضية كافية لإيجاد نضج خاص فى الذات العامة للأمة ، والخطاب فى هذه الفقرة هو فى حقيقته درس فى المواجهة بين هذه الأمة واليهود ، بعد أن اتضحت إلى حد كبير صورة اليهود ؛ لتضع الأمة قدمها حيث ينبغى أن تُوضع فى آرائها بالآخرين ، وفى مواقفها ،وفى معرفة أعدائها وتحليل مواقفهم .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ قبح إنكار الحق بعد معرفته .

٢ ـ بيان طبائع اليهود الذين هم أبعد الناس عن قبول الحق والإذعان له ، لتحذرهم الأمة وتنتبه لكيدهم ومكرهم .

٣ ـ اليهود من أقسى البشر قلوباً إلى اليوم وحتى يوم القيامة ، لإثارتهم الفتن ولجاجتهم فى الحق ، وتحريفهم كتاب الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .

٤ ـ من علامات الشقاء قساوة القلوب ، وفى الحديث : « من لا يرحم لا يُرحم »

٥ ـ ما كل من يقرأ الكتاب يفهم معانيه فضلاً عن معرفة حكمه وأسراره ، وواقع أكثر المسلمين اليوم شاهد على هذا ، فإن ممن حفظ القرآن من لا يعرف معانيه فضلاً عن غير الحافظين له .

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ
أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾
١٢

**معانى الكلمات :**

**فتح الله عليكم** : حكم به أو قَصَّهُ عليكم .

**أُمِيُّونَ** : جهلة بكتابهم « التوراة » .

**أمانىَّ** : أكاذيب تلقوها عن أحبارهم .

**فويلُ** : هَلَكَة أو حسرة ، أو شدَّة عذاب أو وادٍ عميق فى جهنم . **كسب سيئةً** : هى هُنا الكفر. **وأحاطت به** : أحدقت به واستولت عليه . **أياماً معدودة** :أربعين يوماً،وهذا من كذبهم وتضليلهم للعوام منهم، ليصرفوهم عن الإسلام . **الخلود** : البقاء الدائم الذى لا تحول معه ولا ارتحال . **الميثاق**: العهد المؤكد باليمين .**توليتم**: رجعتم عما التزمتم به مصممين على ألا تتوبوا.

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم قبح الجهل بالله وبصفاته العلا وأسمائه الحسنى .

٢ ـ أن نستعرض جدال اليهود مع المسلمين وأدلتهم الباطلة .

٣ ـ أن نعلم ما أخذه الله من العهد والميثاق على بنى إسرائيل

**المحتوى التربوى :**

تتحدث الآيات عن أمانى اليهود التى لا تستقيم مع عدل الله ، ولا تتفق مع نواميسه ، ولا تتفق مع التصور الصحيح للعمل والجزاء ، أن يحسبوا أنهم ناجون من العذاب مهما فعلوا ، وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودات يخرجون بعدها إلى النعيم ، ويعتمدون فى هذه الأمانى الكاذبة على الأميين الجهال وأكاذيب المحتالين من الأحبار يلجؤون إليها لجوء المنحرفين عن العقيدة الصحيحة حين يطول بهم الأمد ، وينقطع ما بينهم وبين حقيقة دينهم ، فلا يبقى إلا اسمه ورسمه ، دون موضوعه وحقيقته ، ويرد الله عز وجل بالحجة الدامغة الفاضحة للأمانى الكاذبة : ﴿ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴾ فأين هو هذا العهد ؟

openkandil.com

﴿ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وهذا هو الواقع ، فالاستفهام هنا للتقرير ، ويحمل كذلك معنى الإنكار والتوبيخ .

**ويعلق صاحب الأساس فيقول** : وعلينا أن ندرك هنا بعمق كيف أن تصور الإنسان عن اليوم الآخر يؤثر تأثيرًا كاملاً فى مواقفه ، فإذا كانت هذه المواقف اليهودية الفظيعة أثراً من آثار هذه العقيدة التى رأيناها ، وذلك شىء منصوص عليه فى سورة آل عمران : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ .

فكيف تكون مواقف الذين لا يؤمنون باليوم الآخر أصلاً ! فكيف تكون مواقف الذين يتصورون أن الله لا يعذبهم أبداً ! وللأسف فإن كثيرين من عامة المسلمين وعلمائهم يستشعرون الأمن من النار ومن عقاب الله ، وذلك أقل ما يقال فيه أنه من الكبائر كما نص عليه الفقهاء .

وهنا فى هذه الآيات يأتيهم الجواب القاطع والقول الفصل فى أمانيهم الكاذبة فى صورة كلية من كليات التصور الإسلامى : إن الجزاء من جنس العمل ، فالخطيئة كسب ، والحالة النفسية لهم عند اجتراح هذه الخطيئة ، والتلذذ بها يومئ بالرضا عنها ، ولو أنها كانت كريهة فى حسه ما اجترحها ، ولو كان يحس أنها خسارة ما أقدم عليها متحمساً ، لذا فإنها أحاطت به ولو كرهها ما اندفع لارتكابها ولاستغفر منها ، وعندما تغلق منافذ التوبة على النفس فى سجن الخطيئة ، وتحيط السيئة المكتسبة بصاحبها عندئذ يحق الجزاء العادل الحاسم : ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

**ويقول صاحب الأساس** : « ليس الأمر كما تمنيتم ولا كما تشتهون ، بل الأمر أنه من عمل سيئة وأحاطت به خطيئته ، وهو من وافى يوم القيامة وليست له حسنة ، بل جميع أعماله سيئات ، فهذا من أهل النار ، والخطيئة هنا الشرك كما هو المأثور عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات من العمل الموافق للشريعة ، فهم من أهل الجنة إذ إنهم آمنوا بما كفر به الآخرون ، وعملوا بما ترك الناس من دين الله .. »

**وقال النسفى** : بلى من كسب شركا ، وسدت عليه مسالك النجاة بأن مات على شركه ( أى: فهذا الذى أحاطت به خطيئته ) ، فأما إذا مات مؤمنا فأعظم الطاعات ، وهو الإيمان معه فلا يكون الذنب محيطا به ، وعلى كل حال فإن الخطايا وإن تكن كفراً ، فإنها بريد الكفر ، فإذا سار الإنسان فى طريق الخطايا ، فإنه بذلك يجنى على قلبه شيئاً فشيئا حتى يصل إلى الكفر عندما تحيط به الخطايا .

وفى المقابل يقول الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .

**ويقول صاحب الظلال** : « فمن مقتضيات الإيمان أن ينبثق من القلب فى صورة العمل الصالح ، وهذا ما يجب أن يدركه من يدعون الإيمان ، وما أحوجنا ـ نحن الذين نقول : إنا مسلمون ـ أن نستيقن أن الإيمان لا يكون حتى ينبثق منه العمل الصالح . فأما الذين يقولون : إنهم مسلمون ، ثم يفسدون فى الأرض ، ويحاربون إقرار منهج الله فى الأرض ، وشريعته فى الحياة ، فهؤلاء ليس لهم من الإيمان شىء ، وليس لهم من ثواب الله شىء ، وليس لهم من عذابه واق ولو تعلقوا بأمانىّ كأمانىّ اليهود ... » .

وتمضى الآيات تحدث الجماعة المسلمة عن حال اليهود ، ومواقفهم التى يتجلى فيها الالتواء والانحراف والنكوث عن العهد والميثاق ، وهذا الميثاق تضمن القواعد الثابتة لدين الله فتنكروا لها وأنكروها ، فأمرهم تعالى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وبهذا أمر جميع خلقه ، ولذلك خلقهم ، وهذا هو أعلى الحقوق ، وأعظمها ، ثم بعده حق المخلوقين وأكبرها وأولاها بذلك حق الوالدين ، والأقربين ، ثم اليتامى والمساكين ، أما كل الناس فلهم الكلمة الطيبة ولين الجانب ، قال الحسن البصرى : « فالحسن من القول يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحلم ويعفو ويصفح ، ويقول للناس حسناً » ثم أكد الأمر بعبادته والإحسان إلى الناس بالمتعين من ذلك وهو الصلاة والزكاة ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ولكنهم تولوا عن ذلك كله وتركوه وراء ظهورهم : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ التحذير الشديد من الفتاوى الباطلة التى تحرم ما أحل الله ، أو تحل ما حرم الله لغرض دنيوى .

٢ ـ إبطال الانتفاع بالنسب والانتساب ، والسعادة مصدرها الإيمان والعمل الصالح ، والشقاء سببه الشرك والمعاصى .

٣ ـ التنبيه إلى خطر الذنوب صغيرها وكبيرها . وإلى العمل على تكفيرها بالتوبة قبل الممات، والعياذ بالله .

٤ ـ مشروعية تذكير الناس ودعوتهم بما يكون سبباً لهدايتهم .

٥ ـ وجوب عبادة الله وتوحيده ، والإحسان للوالدين ولذوى القربى واليتامى والمساكين ، ولين الكلام مع الناس .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ
وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
١٣

**معانى الكلمات :**

**سفك الدماء** : إراقتها وصبها بالقتل والجراحات . **تظاهرون** : قرئ تظَّاهرون ، وتظاهرون بتاءٍ واحدة أى : تتعاونون .

**بالإثم والعدوان** : الإثم : الضار الموجب للعقوبة ، والعدوان الظلم . **أسارى** : جمع أسير : من أخذ فى الحرب . **تُفادوهم** : تخرجوهم من الأسر بإعطاء الفدية . **الخزى** : الذل والمهانة . **قفينا** : أرسلناهم يَقْفُو بعضهم بعضاً، أى واحدًا بعد واحد. **البينات**: المعجزات وآيات الله فى الإنجيل. **روح القدس** : جبريل عليه السلام . **غُلف** : عليها غلاف يمنعها من الفهم لما تدعونا إليه ، أو هى أوعية للعلم فلا نحتاج معها إلى أن نتعلم عنك .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ـ أن نؤمن بأن يهود اليوم هم يهود الأمس بكل ما فيهم .

٢ـ أن نعلم الحكمة من وراء ما جاء عن بنى إسرائيل وقصصهم .

٣ـ أن نعلم كفر من يتخير أحكام الشرع،فيعمل ما يوافق مصالحه،ويهمل ما لا يوافق هواه .

**المحتوى التربوى :**

تقول هذه الآيات إنه كانت هناك ثلاث قبائل من اليهود تقطن نواحى يثرب ( المدينة ) ، وهى : بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو قينقاع .. وكان هؤلاء جميعاً يؤمنون بالشريعة الموسوية ، غير أن التعصبات الجاهلية أدّت بهم إلى أن فرقوا دينهم فصاروا شيعاً وأحزاباً متناقضة ، وكونوا أحلافًا سياسية من أجل الحفاظ على مصالحهم . فانضموا إلى جيرانهم المشركين ـ قبيلتى الأوس والخزرج ـ بالمدينة إذ ذاك .

فانضوى بنو النضير وبنو قريظه تحت لواء الأوس ، أما بنو قينقاع فكانوا حلفاء الخزرج ، وجراء هذه الانقسامات كانت تقوم بينهم حروب دامية ، وكان اليهود ينقسمون جبهتين فى هذه الحروب ، بانحياز كل فريق منهم إلى حلفائهم من المشركين ، وبالتالى يقتتلون كأنباء عمومة واحدة ، ويخرجون أبناء عمومتهم من اليهود من ديارهم .

ثم إذا وضعت الحرب أوزارها يأخذون فى مناشدة إخوانهم من اليهود أن يفادوا أسراهم من القبائل الوثنية ، وهذا الانفصام النكد الذى كان يحياه اليهود والتعاطف الكاذب مع الذين صاروا ضحايا سياستهم العدوانية الظالمة ، لكى يزعموا أنهم متمسكون بدينهم . وذلك عملاً بحكم التوراة وقد جاء فيها : إنك لا تجد مملوكاً من بنى إسرائيل إلا أخذته فأعتقه .

هذا التناقض هو الذى يواجههم به القرآن ، ويسألهم فى استنكار : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ؟!

لقد أخذ الله على هذه الأمة ما أخذ على بنى إسرائيل فى وجوب إقامة أحكام القرآن ، فطبقت فى عصورها المتأخرة بعضاً وتركت بعضاً ؛ فابتلاها الله بما ابتلاها به من الذلة ، والهوان ولعذاب الآخرة أشد .

وها نحن الآن فى القرن الخامس عشر الهجرى نعانى من الذِّلة والهوان ، بأن سلط الله علينا أمم الكفر ، حتى سلط علينا اليهود أذلّ الخلق ، وتلك عقوبة نسيان جزء من كتاب الله، ولا خلاص لنا مما نحن فيه بالدنيا ، ولا نجاة لنا فى الآخرة ، إلا بالعودة الكاملة لكتاب الله ، بتطبيقه كله ، فى محيط الفرد والأسرة والدولة والأمة ، وإلا فإن الذِّلة مستمرة ، وكل محاولة للخروج منها من غير هذا الطريق محاولة فاشلة قال عمر ﷺ : « نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » .

**ويقول صاحب الأساس** : « وقد رأينا أن سبب التطبيق الجزئى هو استحباب الدنيا على الآخرة ، فبداية الدواء إذن أن نغرس فى قلب المسلم تفضيل الآخرة على الدنيا ، وأن نغرس فى قلبه حب الآخرة ، وطريق ذلك العلم بالكتاب والسَّنة ، والعمل ، ومجالسة الصالحين من عباد الله » .

وتتحدث الآيات عن صورة أخرى من صور عتو وعناد ومخالفة بنى إسرائيل واستكبارهم على الأنبياء ، واتباعهم لأهوائهم ، آتى الله موسى الكتاب فحرفوه وبدَّلوه ، وخالفوا أوامره ،

وأوّلوها ، وأرسل الرسل بعده يحكمون بشريعته فكانوا يعاملونهم أسوأ المعاملة ، من التكذيب إلى القتل ثم ختم الله أنبياء بنى إسرائيل بعيسى عليه السلام ، فجاء بمخالفة التوراة فى بعض الأحكام ، وأعطاه الله من المعجزات الكثير وأيده بجبريل ، فاشتد تكذيب بنى إسرائيل له ، وصدهم وعنادهم ، وكل هذه المواقف من الأنبياء سببه أن الأنبياء يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم وآرائهم .

**يقول صاحب الأساس** : وما أشبه حال الكثيرين من أبناء عصرنا بهذا الذى عليه اليهود : إذا حدثتهم عن الإسلام بما يوافق هواهم قبلوا وإلا كذبوا ، وإن كان لهم سلطان قتلوا ، وما أكثر من يجعل الإسلام تابعاً لأهواء الناس حتى صعب على أهل الإخلاص والعلم أن يبينوا الإسلام للناس كما هو لكثرة مسايرة الأهواء فأين هذا من حديث . « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » .

وعللوا ذلك بقولهم ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أى مخلوقة مغشَّاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد ﷺ ، ولا تفقهه، فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره، وقولهم هذا يدل على طبيعة متبجحة بالكفر، ومفتخرة بقسوة القلب ، وليس هذا موضع افتخار ﴿ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ﴾ وطردهم وأبعدهم بسبب كفرهم الذى اختاروه لأنفسهم ، وهذا ردٌ من الله عليهم أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك ؛ لأنها خلقت على الفطرة ، والتمكن من قبول الحق ، وإنما طردهم بكفرهم وزيغهم ﴿ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ . بسبب هذا العناد والتبجح والإصرار المقيت على الكفر واتباع الأهواء .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا .**

١ـ تعرض أمة الإسلام لخزى الدنيا وعذاب الآخرة بتطبيقها بعض أحكام الشريعة ، وإهمالها البعض الآخر .

٢ـ كفر من يتخير أحكام الشرع ، فيعمل ما يوافق مصالحه وهواه ، ويهمل ما لا يوافقها .

٣ـ كفر من لا يقيم دين الله إعراضاً عنه.

٤ـ حق النعمة الشكر ، وتكفير الذنب بالتوبة .

٥ـ قبح رد الحق لعدم موافقته لهوى النفس .

٦ـ سوء عاقبة التبجح بالعلم ، وادعاء عدم الحاجة إلى المزيد منه كبراً وصلفاً .

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾
١٤

**معانى الكلمات :**

**يستفتحون** : يستنصرون ببعثة النبى ﷺ .

**اشتروا به أنفسهم** : باعوا به أنفسهم .

**بغياً** : حسداً . **فباؤوا بغضب** : فرجعوا به مستحقين له . **اتخذتم العجل** : جَعلتُموهُ إلها معبوداً. **بما أنزل الله** : القرآن .

**بما أُنزل علينا** : التوراة . **وأشربوا فى قلوبهم العجل** : أى حب العجل الذى عبدوه بدعوة السامرى لهم بذلك .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ـ أن نعلم طبيعة الكنود والأثرة الضيقة لليهود .

٢ـ أن نعرف أن الواقع العملى هو الذى يمنح القول الشفوى دلالته .

٣ـ أن نعلم أن الله يصطفى من خلقه من يشاء ، وينزل الوحى على من يشاء ، ويتصرف فى ملكه كيف يشاء .

**المحتوى التربوى :**

تتحدث الآيات عن حلقة جديدة من حلقات التمادى المقيت والكفر البواح من اليهود لما جاءهم القرآن المصدق للتوراة ﴿ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أى على المشركين، ذكر ابن كثير عن ابن عباس : « أن اليهود كان يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون به ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور ، وداود بن سلمة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك ، وتخبروننا بأنه مبعوث ، وتصفونه بصفته ، فقال سلام بن مشكم أخو بنى النضير : ما جاءنا بشىء نعرفه ، وما هو بالذى كنا نذكر لكم ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ ، ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ .

وحملهم على ذلك الحسد لرسول الله ﷺ أن يختاره الله للرسالة التى انتظروها فيهم، وحقدهم لأن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، وكان هذا بغياً منهم وظلماً ؛ فعادوا من هذا

الظلم بغضب على غضب ؛ وهناك ينتظرهم عذاب مهين ، جزاء الاستكبار والحسد والبغى الذميم ، وذمهم الله : ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ ﴾ ..

**يقول صاحب الظلال** : لكأنما هذا الكفر هو الثمن المقابل لأنفسهم ! والإنسان يعادل نفسه بثمن ما ، يكثر أو يقل ، أما أن يعادلها بالكفر ، فتلك أبأس الصفقات وأخسرها ، ولكن هذا هو الواقع وإن بدا تمثيلاً وتصويراً ، لقد خسروا أنفسهم فى الدنيا فلم ينضموا إلى موكب الكريم العزيز ، ولقد خسروا أنفسهم فى الآخرة بما ينتظرهم من العذاب المهين ، وبماذا خرجوا فى النهاية؟ خرجوا بالكفر ، هو وحده الذى كسبوه وأخذوه ! ..

وهذه الطبيعة التى تبدو هنا فى يهود هى الطبيعة الكنود ، طبيعة الأثرة الضيقة التى تحيا فى نطاق من التعصب شديد ، ولا تحس أن كل خير يصيب سواها كأنما هو مقتطع منها ؛ ولا تشعر بالوشيجة الإنسانية الكبرى ، التى تربط البشرية جميعاً ، وهكذا عاش اليهود فى عزلة ما يحسون أنهم فرع مقطوع من شجرة الحياة ؛ ويتربصون بالبشرية الدوائر ؛ فيكونون للناس البغضاء ، ويعلنون عذاب الأحقاد والضغائن ، ويذيقون البشرية رجع هذه الأحقاد فتناً ، يوقدونها بين الشعوب وبعض ، وحروباً يثيرونها ليجنوا من ورائها المغانم ، ويروون بها أحقادهم التى لا تنطفى ، وهلاكا يسلطونه على الناس ، ويسلطه عليهم الناس ، وهذا الشر كله إنما نشأ من تلك الأثرة البغيضة .

ويأتى ردهم المقيت الذى يقولونه إذا دعوا إلى الإيمان بالقرآن وبالإسلام كانوا يقولون : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ ففيه الكفاية ، وهو وحده الحق ، ويكفرون بما وراءه . سواء ما جاءهم به عيسى عليه السلام ، وما جاءهم به محمد خاتم النبيين ، والقرآن يعجب من موقفهم ، ومن كفرهم بما وراء الذى معهم ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ .

ويلقن الله نبيه ﷺ أن يجابههم بحقيقة أخرى ، كشفاً لموقفهم وفضحاً لدعواهم : ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ وهؤلاء الأنبياء هم الذين جاؤوكم بما تدعون أنكم تؤمنون به ؟ ! ليس هذا فحسب ، بل إنهم كفروا بما جاء به موسى عليه السلام ، وهل اتخاذهم العجل من بعد ما جاءهم موسى بالبينات كان من وحى الإيمان ؟! وهل يتفق مع دعواهم أنهم آمنوا بما أنزل إليهم ؟!

ولم تكن هذه هى المرة الوحيدة ، بل كان هنالك الميثاق تحت الصخرة ، وكان هناك التمرد والعصيان ؛ فلقد قالوا بأفواههم : سمعنا وعصينا ، والواقع العملى هو الذى يمنح القول الشفوى دلالته ، وهذه الدلالة أقوى من القول المنطوق ، فلا قيمة لقول بلا عمل ، إن العمل هو المعتبر .

**ويقول صاحب الأساس** : هم يدَّعون الإيمان ، والإيمان يقتضى طاعة ، وهم يعصون ، هم يدَّعون الإيمان بالتوراة وليس فى التوراة عبادة عجل ، فأى إيمان هذا الذى يأمرهم بعبادة العجل وبمحبته ؟ فإذا كان هذا هو إيمانهم الذى سَوَّل لهم مثل هذه القبائح ، فإنه هو هو نفس الإيمان الذى يسوَّل لهم أفظع قبيح ، وهو عدم الإيمان بالقرآن ، ويتهكم عليهم المولى عز وجل ؛ لأن الأصل فى الإيمان ألا يأمر صاحبه بمثل هذا فقال تعالى : ﴿ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ .

وتوضح الآيات أن قضية اليهود ليست فى جوهرها قضية الولاء للحق ، والدليل على ذلك هو ما نجد فى تاريخهم أنفسهم أنهم قتلوا الأنبياء المبعوثين فى طائفتهم بالذات ؛ مثل يحيى عليه السلام ولم يكن ذلك إلا لأنه تناول حياتهم بالنقد والتوجيه .

يضاف إلى ذلك أن ما أظهره الله على يد موسى عليه السلام من المعجزات والخوارق لم يُبق أى مجال للشك والارتياب فى نبوته ، ولكن فى أثناء فترة إقامته بجبل الطور التى استغرقت أربعين يوماً ما لبثوا أن اتخذوا العجل معبوداً لهم ، إذ لم يعد نفوذه الشخصى ماثلاً أمامهم ، وقد رُفع فوق رؤوسهم الجبل ، ومع ذلك لم يُقروا بالعهد إلا إقراراً لسانياً مؤقتاً ، ولمجرد النجاة بأنفسهم من الهلاك ، وقد ظلت حياة أكثرهم بعد ذلك تسير على خط المعصية والفجور كما كانت تسير من قبل .

**يقول صاحب الظلال** : « والقرآن يعجب من موقفهم ، وكفرهم بالحق ، رغم أن هذا الحق مصدق لما معهم ، هم لا يشغلهم الحق . وما لهم وللحق ؛ وما لهم أن يكون مصدقا لما معهم ما داموا لم يستأثروا هم به ؛ إنهم يعبدون أنفسهم ، ويتعبدون لعصبيتهم ، لا بل إنهم يعبدون هواهم فلقد كفروا من قبل بما جاءهم أنبياؤهم به » .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ مشروعية توبيخ أهل الجرائم على جرائمهم إذا أظهروها .

٢ ـ وجوب أخذ أمور الشرع بالحزم والعزم والقوة .

٣ ـ الإيمان الحق لا يأمر صاحبه إلا بالمعروف ، والإيمان الباطل المزيف يأمر صاحبه بالمنكر .

٤ ـ ادعاء الإيمان وحده لا يكفى ، فلا قيمة لقول بلا عمل ، ومقتضى الإيمان هو الطاعة لله ولرسوله .

٥ ـ اليهود هم اليهود قتلوا الأنبياء وخانوا العهود .

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن
دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ
مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ
مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾
١٥

**معانى الكلمات :**

**لو يُعمَّرُ** : لو يطول عُمُرهُ . **الدار الآخرة** : المراد منها نعيمها وما أعد الله تعالى فيها لأوليائه .

**يودّ** : يحب .

**بمزحزحه** : بمبعده من العذاب .

**جبريل**: روح القدس الموكل بالوحى يتنزل به على رسول الله ﷺ . **مصدقاً لما بين يديه** : القرآن مصدقاً لما فى الكتب السابقة من نعت الرسول ﷺ والبشارة به ، ومن التوحيد ووجوب الإسلام لله تعالى .

**ميكال** : وميكائيل : ملك من أعاظم الملائكة ، وقيل معناه: عبيد الله .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم أن الإيمان بالحياة الآخرة نعمة فوق أنه إيمان بعدل الله المطلق .

٢ ـ أن نتعرف على عداوة اليهود لمحمد ﷺ ، التى بلغت مرتبة الحقد والغيظ.

٣ ـ أن نعلم أنه لا يكفر بهذه الآيات إلا الفاسقون المنحرفون .

**المحتوى التربوى :**

فى هذه الآيات يتحدى الله اليهود ويقول لهم : إن كنتم تعتقدون أن الدار الآخرة لكم دون الناس فتمنوا الموت ، إن كنتم صادقين فيما تقولون ، لأن من أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها، تخلصاً من الدار ذات الشوائب ، وهذه الآيات كما احتج الله سبحانه لنبيه ﷺ على اليهود ، فضح بها أحبارهم وعلماءهم ، وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺأن يدعوهم إلى قضية عادلة فيما كان بينه وبينهم من خلاف ، فقال لفريق اليهود : إن كنتم مُحقين فتمنوا الموت ، فامتنعت اليهود من ذلك؛ لعلمها أنها إذا تمنت الموت هلكت ، فذهبت دنياها ، وصارت إلى خزى الأبد فى آخرتها .

**قال ابن كثير** : فالمعنى : أى ادعوا على أى الفريقين أكذب فأبوا ذلك على رسول الله ﷺ : بل قيل لهم كلام نصَف: إن كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس، وأنكم أبناء الله وأحباؤه،

وأنكم من أهل الجنة، ومن عداكم من أهل النار، فباهلوا على ذلك، وادعوا على الكاذبين منكم، أو من غيركم لما يعلمون من كذبهم وافترائهم وكتمانهم الحق من صفة الرسول ﷺ ورسالته ، فعلم كل أحد باطلهم وضلالهم ، وسميت هذه المباهلة تمنياً ؛ لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل بالموت ؛لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة؛ لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت .

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ هذه تتمة الحجة عليهم فى أنهم أهل باطل ، ظهور هذا الحرص العظيم عندهم على الحياة ، فلو كان إيمانهم بالله واليوم الآخر سليماً ، واستقامتهم موجودة لما كانوا كذلك ، والتنكير فى لفظ ﴿ حَيَوٰةٍ﴾ يدل على أنهم يرغبون بالحياة المتطاولة مهما كان نوع هذه الحياة ؛ لما يعلمون من مآلهم السيئ ، وعاقبتهم الخاسرة ؛ لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر .

فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم ، وهم أحرص من المشركين عليها ؛ حتى إن أحدهم يتمنى لو عُمِّر ألف عام ، وإنما زاد حرصهم على الذين أشركوا؛ لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار ، والمشركون لا يعلمون ذلك .

**قال مجاهد** : (حببت إليهم الخطيئة طول العمر ) ويعقب الله على هذه الأمانى الباطلة بأن تعميرهم ليس بمغيثهم من العذاب ولا مزحزحهم منه ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ من خير وشر ، وسيجازى عليه .

**ويقول صاحب الظلال** : يود أحدهم لو يعمر ألف سنة ، ذلك أنهم لا يرجون لقاء الله ، ولا يحسون أن لهم حياة غير هذه الحياة ، وما أقصر الحياة الدنيا وما أضيقها ، حين تحس النفس الإنسانية أنها لا تتصل بحياة سواها ، ولا تطمع فى غير أنفاس وساعات على الأرض معدودة ، إن الإيمان بالحياة الآخرة نعمة ، نعمة يفيضها الإيمان على القلب ، نعمة يهبها الله للفرد الفانى العانى ، المحدود الأجل الواسع الأمل ، ولا يغلق أحد على نفسه هذا المنفذ إلى الخلود ، إلا وحقيقة الحياة فى روحه ناقصة مطموسة .

ويمتد السياق فى هذه الآيات يكمل قصة التحدى ويطلعنا على سمة أخرى من سمات اليهود، فلقد بلغ هؤلاء القوم من الحقد والغيظ من أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده مبلغاً يتجاوز كل حد ، لما علموا أن جبريل عدوهم ؛ لأنه ينزل بالوحى على الرسول ﷺ وتجاوز الحقد فى صدورهم كل الحدود ، وأن هذا هو الذى يمنعهم من الإيمان بمحمدٍ من جراء صاحبه جبريل !

ولو كان ينزل إليه بالوحى هو ميكائيل لآمنوا ، فميكائيل ينزل بالرخاء والمطر والخصب !

**ويقول صاحب الأساس ـ معلقاً** : إن دين الله واحد ، ومن أحب الله أحب ملائكته كلهم ، وأحب رسله كلهم ، فوالى الجميع ، ولم يعاد أحداً منهم ، واليهود ليسوا كذلك ، فهم يوالون ـ فى زعمهم ـ رسولاً ، ويعادون رسولاً ، ويوالون ملكاً ، ويعادون مَلَكاً ، فأى طبيعة طبيعتهم ؟ وأى تناقض عندهم ، وإذا كانوا كذلك ، فذلك دليل على أنهم أناس منحرفون عن الحق ، وعن الربانية الخالصة ، فما هم بأهل الله ، وليسوا على دينه .

ورد الله عليهم بأكثر من رد : أنه لا وجه لمعاداة جبريل ، حيث نزَّل كتاباً مصدقاً للكتب بين يديه ، فلو أنصفوا لأحبوه ، وشكروا له صنيعه فى إنزاله ما ينفعهم ، ويصحح المنزل عليهم ، وكذلك فى الآية ردّ عليهم من حيث إنهم حاربوا جبريل ؛ لأنه ينزل بالحرب والشدة فقيل ؛ فإنه ينزل بالهدى والبشرى أيضاً ، ولكن للمؤمنين ،فالمؤمنون يحبونه.

ويتجه الخطاب إلى الرسول ﷺ يثبته على ما أنزل عليه من الحق، وما آتاه من الآيات البينات، مقرراً أنه لا يكفر بهذه الآيات إلا الفاسقون المنحرفون ، ويندد ببنى إسرائيل الذين لا يستقيمون على عهد ، سواء عهودهم مع ربهم وأنبيائهم من قبل ، أو عهودهم مع رسول الله ﷺ كما يندد بنبذهم للكتاب الأخير الذى جاء مصدقاً لما معهم ، قال الحسن البصرى : « نعم ليس فى الأرض عهد يعاهدونه عليه إلا نقضوه ونبذوه يعاهدون اليوم وينقضون غداً » .

**وقال ابن كثير** : « قلت : فالقوم ذمهم الله بنبذهم العهود التى تقدم الله إليهم فى التمسك بها والقيام بحقها ، ولهذا أعقبهم ذلك التكذيب بالرسول المبعوث إليهم وإلى الناس كافة ، الذى فى كتبهم نعته ووصفه وأخباره ، وقد أمروا فيها باتِّباعه ومؤازرته ونصرته ».

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ـ المؤمن الحق يحب الآخرة أكثر من الدنيا ، ويحب الموت أكثر من الحياة ، وقد أدبنا رسولنا ﷺ بألا نتمنى الموت لضر أصابنا بل نقول : « اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى ، وأمتنى ما كان الموت خيراً لى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر ، وإذا أردت بالناس فتنة ، فاقبضنى إليك غير مفتون » .

٢ـ الفسق العام ينتج الكفر ، إن العبد إذا فسق ، وواصل الفسق عن أوامر الله ورسوله، سيؤدى به ذلك إلى أن ينكر ما حرم الله ، وما أوجب ، فيكفر لذلك ، والعياذ بالله .

٣ ـ اليهود لا يلتزمون بوعد ، ولا يوفون بعهد ، فيجب ألا يوثق فى عهودهم أبداً .

٤ ـ قُبح جريمة من تنكَّر للحق بعد معرفته ، ويصبح وكأنه جاهل به .

٥ ـ عداوة الله تعالى للكافرين ، ولذا وجب على المؤمن معاداة أهل الكفر لمعاداتهم لله ، ومعاداة الله تعالى لهم .

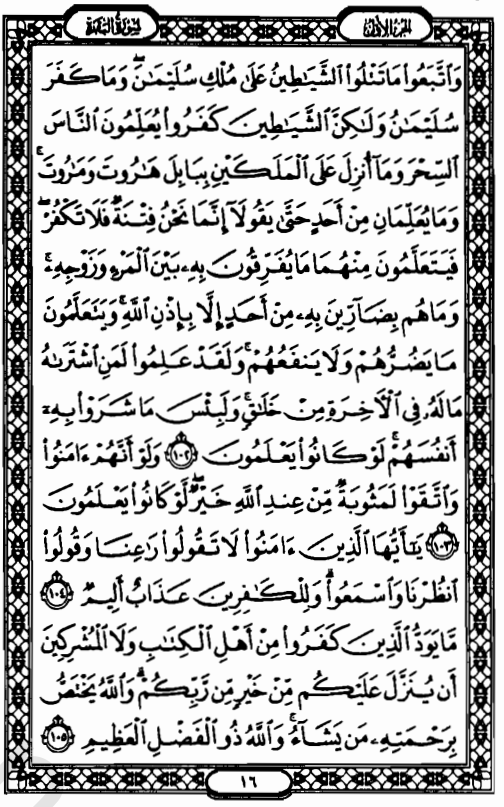
وَاتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ ۚ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟
ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾
مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ
أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ
بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾
١٦

**معانى الكلمات :**

**ما تتلوا الشياطين** : الذى تتبعه ، وتقول به الشياطين من كلمات السحر . **على ملك سليمان** : على عهد ملك سليمان ووقت حكمه. **نحن فتنة** : ابتلاء واختبار من الله تعالى . **السحر**: هو كل ما لطف مأخذه وخفى سببه مما له تأثير على أعين الناس أو نفوسهم أو أبدانهم . **هاروت وماروت**: ملكان وجدا للفتنة . **فلا تكفر** : لا تتعلم منّا السحر لتضر به فتكفُر بذلك . **اشتراه** : اشترى السحر بتعلمه والعمل به. **الخلاق** : النصيب من الخير أو قَدْرِ .**ما شروا** : ما باعوا به أنفسهم .**لمثوبة** : ثواب وجزاء . **راعنا** : كلمة سبّ وتنقيص من اليهود ، أو أمهلنا وأنظرنا حتى نعى ما نقول .

**انظرنا** : تأنَّ علينا حتى نفهم ما تقول .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم ما كان من اليهود من تركهم كتاب الله ، وجريهم خلف الأساطير الغامضة .

٢ ـ أن نعلم كفر الساحر ، وحرمة تعلم السحر ، وحرمة استعماله ، وأنه لا يقع شىء إلا بإذن الله .

٣ ـ أن نتعلم الأدب مع رسول الله ﷺ ، وألا نتشبه بأهل الكتاب .

**المحتوى التربوى :**

تحكى هذه الآيات فصلاً جديداً من تمادى اليهود فى الانحراف عن الجادة ، والتيه والتخبط فى التلقى وهاهم مرة أخرى يتركون ما أنزل الله مصدقاً لما معهم ، وراحوا يتتبعون ما تقصه الشياطين عن عهد سليمان ، وما يضللون به الناس من دعاوى مكذوبة عن سليمان ، إذ يقولون : إنه كان ساحراً وإنه سخر ما سخر عن طريق السحر الذى كان يعلمه ويستخدمه ، والقرآن ينفى عن سليمان ـ عليه السلام ـ أنه كان ساحراً ، فيقول : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴾ وعد القرآن الكريم السحر كفراً أثبته للشياطين ونفاه عن سليمان بقوله ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾

**وقال ابن كثير** : اتبعت اليهود ـ الذين أوتوا الكتاب من بعد إعراضهم عن كتاب الله الذى بأيديهم ومخالفتهم لرسول الله ﷺ ﴿ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ أى ما ترويه وتخبر به عن ملك سليمان وعلى عهده ، ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ .

ودار خلاف كبير بين المفسرين حول قصة هاروت وماروت ، لا نتعرض له ، ونكتفى بما **قاله صاحب الظلال** : إنه كانت هناك قصة معروفة عنهما ، وكان اليهود أو الشياطين يدعون أنهما كانا يعرفان السحر ويعلمانه للناس ، ويزعمان أن هذا السحر أنزل عليهما ! فنفى القرآن هذه الفرية . فرية تنزيل السحر على الملكين . ثم يبين الحقيقة ، وهى أن هذين الملكين كانا هناك فتنة وابتلاء للناس لحكمة مغيبة . وأنهما : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ .

يبدو أن اليهود لما أصيبوا بالانحطاط ، وبلغوا من البطالة وترك العمل ، والإيمان بالخرافات هذا المبلغ ، حتى ظهر بينهم ناس احترفوا السحر والكهانة ولكى تروج بضاعتهم ، وتنفق سوقهم لجأ هؤلاء الفجرة الخبثاء إلى أن نسَبُوا عملهم السيئ ذاك إلى سليمان عليه السلام فقالوا: إن القدرة غير العادية التى كان سليمان يسخر بها الشياطين والرياح إنما كانت ثمرة علمه بالسحر، وإننا تمكنا من العثور على أسرار هذا العلم بواسطة بعض الشياطين ، فنال الأمر قبولاً وانتشاراً واسعين بين اليهود لعنهم الله .. » .

ويصحح الله التصور للمؤمنين فينفى كفر سليمان ، ويثبت قاعدة أساسية لابد أن تستقر فى ضمير كل مؤمن وهى أنه لا يقع شىء فى هذا الوجود إلا بإذن الله ، وكل مؤثر مودع خاصية التأثير بإذن الله ، ويمكن أن يوقف مفعوله كما أعطاه هذا المفعول حين يشاء .

ثم يقرر لهم القرآن حقيقة ما يتعلم هؤلاء الأشرار ، وما يفرقون به بين المرء وزوجه ، إنه شر عليهم هم أنفسهم لا خير ، ويكفى وصفه كفرا ليكون ضرا خالصًا لا نفع فيه ، ويبالغ القرآن فى ذمهم ، ليؤجج شعور المؤمن بكراهية هذا العلم المقيت فيقول عز وجل : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

فى هاتين الآيتين توجيه مباشر لبنى إسرائيل فى أقوالهم وأفعالهم فى قضية الإيمان بالقرآن ، ولتحدد لهذه الأمة طريقها فى العلاقة مع بنى إسرائيل ؛ وليعطى الأمة دروساً فى كيفية تعاملها مع الأوامر والنواهى ، فجاء الخطاب موجهاً للمؤمنين أن يتحرروا من أسر متابعة اليهود حتى فى التعابير ؛ ومحذراً من سوء الأدب مع الله ، ومعرفاً أهل الإيمان على العواطف الحقيقية للكافرين تجاه المسلمين .

**قال ابن كثير** : نهى الله تعالى عباده المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين فى مقالهم وفعالهم ، وذلك أن اليهود كانوا يعنون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص ، عليهم لعائن الله ، فإذا أرادوا أن يقولوا : اسمع لنا ، يقولون : راعنا ويورون بالرعونة .

ثم تأتى الآية التالية للآية الأولى لتؤكد أن الكافرين ـ سواء كانوا كتابيين أو مشركين ـ يكرهون أن يصيب المسلمين أى خير من ربهم ، فهى تكمل الآية ـ السابقة فكأنها تقول للمسلم : كيف تتابع أعداء الله وتقلدهم وتترك طاعة الله ورسوله ﷺ وأعداء الله يعادونك ، ويحاربونك ، ويكرهون لك الخير . وينبه بعد ذلك على أن ما أنعم به على المؤمنين من الشرع التام الكامل الذى شرعه لنبيهم محمد ﷺ هو فضل الله ورحمته ومنته العظيمة التى يختص بها من ما يشاء .

**ويقول صاحب الظلال** : وليس أعظم من نعمة النبوة والرسالة ؛ وليس أعظم من نعمة الإيمان والدعوة إليه ، وفى هذا التلميح ما يستجيش فى قلوب الذين آمنوا الشعور بضخامة العطاء وجزالة الفضل ، وفى التقرير الذى سبقه عما يضمره الذين كفروا للذين آمنوا ما يستجيش الشعور بالحذر والحرص الشديد .. وهذا الشعور وذاك ضروريان للوقوف فى وجه حملة البلبلة والتشكيك التى قادها ـ ويقودها ـ اليهود ؛ لتوهين العقيدة فى نفوس المؤمنين ، وهى الخير الضخم الذى ينفسونه على المسلمين !

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ لا يقع شىء فى الوجود إلا بإذن الله ، وكل مؤثر يُودعُ خاصية التأثير بإذن الله .

٢ ـ الله عز وجل يختبر عباده بما شاء من الأمور ليظهر إيمان المؤمنين وكفر الكافرين ، ويتميز الصادقون من الكاذبين .

٣ ـ وجوب الحذر من خداع الألفاظ التى يطلقها الكافرون ومن متابعتهم عليها والنهى عن التشبه باليهود لأن تقليدهم من أعظم الكوارث التى لحقت بالأمة .

٤ ـ النبوة والرسالة من أعظم النعم ، وليس أعظم من نعمة الإيمان والدعوة إليه ، فيجب على الأمة ألا تتابع أعداءها ممن لا خير عندهم ، ولا فضل ، ولا يريدون بهذه الأمة خيراً .

٥ ـ يربى القرآن المسلمين على ضوابط تربوية لابد من أخذها بعين الاعتبار دائماً وهى :

١ ـ يجب أن يستخدموا أثناء الكلام عبارات صريحة واضحة الدلالة ، فلا يليق أن يستخدموا كلاماً ملتبساً ذا معنيين ، يمكن أن ينطوى على مفهوم شائن ممقوت .

٢ ـ أن الإكثار من السؤال من شأنه أن يضل المرء عن سواء السبيل ، ولذا فليكن همنا بما فيه العبرة والموعظة بدلاً من القيل والقال .

٣ ـ كذلك تحذرنا الآيات من الحسد ؛ لأنها آفةٌ سيئة تشى بالاعتراض على مشيئة الله فى خلقه، فهو تعالى لا يُسأل عما يفعل ، وهو العليم الحكيم .

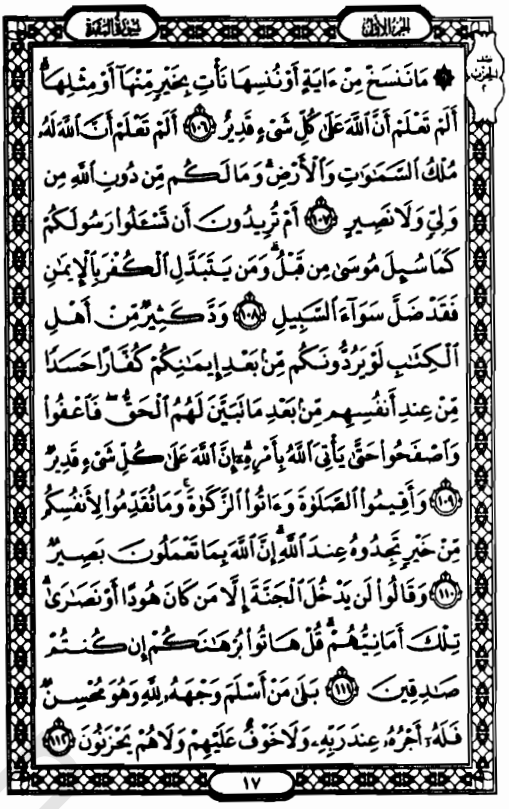


**معانى الكلمات :**

**ننسخ** : نبدّل أو نزيل . **من آية** : من آيات القرآن : جملة كلمات تحمل معنى صحيحاً كالتحريم أو الإباحة **ننسها** : نمحها من قلب النبى ﷺ . **ولىّ** : حافظ يحفظكم بتولى أموركم . **سواء السبيل** : قصد الطريق ووسطه . **ودّ** : أحبّ .

**حسداً** : الحسد تمنى زوال النعمة على من هى به . **فاعفوا واصفحوا** : لا تؤاخذوهم ولا تلوموهم،إذ العفو ترك العقاب، والصفح الإعراض عن المذنب .

**حتى يأتى الله بأمره**:أى يأذن بقتالهم والمراد بهم يهود المدينة .

**أسلم وجهه** : أخلص نفسه أو قصده أو عبادته لله .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم ثبوت النسخ فى القرآن الكريم كما هو ثابت فى السنة .

٢ ـ أن نتعرف على اغترار الكفار من أهل الكتاب بما هم فيه .

٣ ـ أن نعلم أن الكفر كله ملة واحدة .

**المحتوى التربوى :**

فى هذه الآيات يبين القرآن هنا بياناً حاسماً فى شأن النسخ والتعديل ، وفى القضاء على تلك الشبهات التى آثارتها يهود ، على عادتها وخطتها فى محاربة هذه العقيدة بشتى الأساليب ، والمناسبة التى نزلت فيها الآيات لما قال المشركون أو اليهود : إن محمداً يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه ، ويرد الله عليهم بأن المقصود من نسخ الحكم السابق : تهيُّؤ النفوس لأرقى منه وهو معنى قوله تعالى ﴿ نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ ﴾ لأن الله سبحانه وتعالى رَبَّى الأمة فى ثلاث وعشرين سنة تربية تدريجية لا تتم لغيرها ـ بواسطة الفواعل الاجتماعية ـ إلا فى قرون عديدة، لذلك شرع عليها الأحكام على حسب قابليتها ، ومتى ارتقت قابليتها بدّل الله لها ذلك الحكم بغيره . وهذه سنة الله فى الأفراد والأمم على حدٍّ سواء .

ويصحح السياق التصور العقدى بتقرير أن الله له ملك السموات والأرض فهو يملك الأمور ويدبرها ، وهو أعلم بما يتعبدكم به من ناسخ أو منسوخ .

**قال ابن كثير** : « يرشد تعالى عباده بهذا إلى أنه المتصرف فى خلقه بما يشاء فله الخلق والأمر وهو المتصرف ، فكما خلقهم كما يشاء ، يُسعد من يشاء ، ويشقى من يشاء ، ويصح ما يشاء ، ويمرض من يشاء ، ويوفق ما يشاء ، ويخذل من يشاء ، كذلك يحكم فى عباده بما شاء فيحل ما يشاء ، ويحرم ما يشاء ، وهو الذى يحكم ما يريد ، لا معقِّب لحكمه ، ولا يُسئل عما يفعل وهم يُسئلون ، ويختبر عباده وطاعتهم لرسله بالنسخ ، فيأمر بالشىء لما فيه من المصلحة التى يعلمها ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى ، فالطاعة كل الطاعة فى امتثال أمره واتباعه رسله ، فى تصديق ما أخبروا ، وامتثال ما أمروا ، وترك ما عنه زجروا ، وفى هذا المقام رد عظيم وبيان بليغ لكفر اليهود، وتزييف شبهتهم ـ لعنهم الله ـ فى دعوى استحالة النسخ» .

ويحذر الله المؤمنين من أن يتبدلوا الكفر بالإيمان تشبهاً بقوم موسى فى تعنتهم ، وطلبهم للخوارق والبراهين ، وإعناتهم لرسولهم كلما أمرهم بأمر أو أبلغهم بتكليف ، على نحو ما حكى عنهم السياق فى مواقف كثيرة ، ويبصرهم بأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يوَّدون أن يردوا المسلمين ـ كفارًا من بعد إيمانهم ، وهى النهاية التى صار إليها بنو إسرائيل ويتمنوا أن لو قادوا إليها المسلمين حسداً من عند أنفسهم .

**ويقول صاحب الظلال** : والحسد هو ذلك الانفعال الأسود الخسيس الذى فاضت به نفوس اليهود تجاه الإسلام والمسلمين ، وما زالت تفيض ، وهو الذى انبعثت منه دسائسهم ، وتدبيراتهم كلها وما تزال ، وهو الذى يكشفه القرآن للمسلمين ليعرفوه ، ويعرفوا أنه السبب الكامن وراء كل جهود اليهود لزعزعة العقيدة فى نفوسهم ؛وردهم بعد ذلك إلى الكفر الذى كانوا فيه ، والذى أنقذهم الله منه بالإيمان ، خصهم بهذا بأعظم الفضل ، وأجل النعمة التى تحسدهم عليها يهود!

ويطلب الله من المؤمنين أن يمضوا فى طريقهم الذى اختاره لهم ، ويدعوهم أن يرتفعوا عن مقابلة الحقد بالحقد ، والحسد بالحسد ، ويدعوهم إلى الصفح والعفو حتى يأتى الله بأمره وقتما يريد ، ويعبدوا ربهم ويدخروا عنده الحسنات ، والقرآن بدعوته تلك يوقظ وعى الجماعة المسلمة ويركز على مصدر الخطر ، ومكمن الدسيسة ، ويعبئ مشاعر المسلمين تجاه النوايا السيئة والكيد اللئيم والحسد الذميم ، ثم يأخذهم بهذه الطاقة المعبأة المشحونة كلها إلى جناب الله ، ينتظرون أمره ، ويعقلون تصرفهم بإذنه ، وإلى أن يحين هذا الأمر يأمرهم بالعفو والسماحة ، لينقذ قلوبهم من نتن الحقد والضغينة ، ويدعها طيبة فى انتظار الأمر من صاحب الأمر والمشيئة .

ويفند القرآن دعاوى أهل الكتاب عامة بقولهم : إنهم المهتدون وحدهم ، وإن الجنة وقف عليهم لا يدخلها سواهم ، على حين يتهم كل فريق منهم الآخر بأنه ليس على شيء ، وقولهم هذا بلا دليل ، ولا يعدو أن يكون مجرد ادعاء عريض ، والنص يواجه مقولات هؤلاء وهؤلاء ، وهذه حكاية قوليهم مزدوجة ، وإلا فقد كانت اليهود تقول : لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ـ أى من يهود ـ وكانت النصارى تقول : لن يدخل الجنة إلا من كان من النصارى ، وهذه المقولة كتلك ، لا تستند إلى دليل ، ومن ثم يلقن الله رسوله ﷺ أن يطالبهم بالدليل : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ .

**ويقول صاحب الظلال** : « وهنا يُقرر قاعدة من قواعد التصور الإسلامى فى ترتيب الجزاء على العمل بلا محاباة لأمة أو طائفة ولا لفرد ، وإنما هو الإسلام والإحسان،لا الاسم والعنوان : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ومن قبل قرر هذه القاعدة فى العقاب رداً على قولهم : ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ فقال: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ .

**ويقول صاحب الأساس** : ﴿ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيل الأجور ، وأمّنهم مما يخافونه من المحذور ، فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه ، ولاهم يحزنون على مامضى مما يتركونه ، قال سعيد بن جبير: ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ يعنى: فى الآخرة ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ يعنى: لا يحزنون للموت، وهكذا رد الله المقولة الأولى لليهود والنصارى ، فالله ذو العدل الكامل والكمال المطلق ، يدخل جنته بالإسلام له والإخلاص له والعمل بشرعه ، وليس دخول الجنة بالأمانى والأمنيات .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ وجوب التسليم والرضا بأحكامه ، وعدم الاعتراض عليه .

٢ ـ ذم التنطع فى الدين ، وطرح الأسئلة المحرجة والتحذير من ذلك .

٣ ـ فى الظرف الذى لم يكن مواتياً للجهاد على المسلمين ومحال بينهم وبينه ، على المسلمين أن يشتغلوا فيه بالإعداد للجهاد ، وذلك بتهذيب الأخلاق وتزكية النفوس بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات .

٤ ـ تقوية الشعور بمراقبة الله تعالى ليحسن العبد نيته وعمله .

٥ ـ الجزاء من جنس العمل ، ولا محاباة لفرد أو جماعة أو أمة ، وإنما الإحسان والإسلام لا الاسم والعنوان .

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ
قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ
بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾
١٨

**معانى الكلمات :**

**ليس على شىء** : أى من الدين الحق .

**يتلون الكتاب** : أى التوراة والإنجيل .

**الذين من قبلهم** : هذا اللفظ صادق على مشركى العرب ، وعلى غيرهم من أمم جاهلية سبقت . **سعى فى خرابها** : عمل فى هدمها وتخريبها حقيقة أو بمنع الصلاة، وصرف الناس عن التعبد فيها .

**خزىٌ** : ذل وصغار ، وقتل وأسر .

**فثم وجْهُ الله** : جهته التى رضيها وأمركم بها . **سبحانه** : تنزه وتقدس عن كل نقص ومنه أن يكون له ولد . **قانتون** : خاضعون مطيعون تجرى عليهم أقداره ، وتنفذ فيهم أحكامه . **بديع السموات** : مبدعها أى موجدها على غير مثال سابق . **قضى أمراً** : أراد شيئاً ،أو أحكمه أو حَتَّمَه .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نؤمن أن الإسلام الصحيح هو سبيل النجاة من النار والفوز بالجنة .

٢ ـ أن نعلم أهمية المساجد فى الإسلام .

٣ ـ أن نؤمن أن الله واحد ، لا والد له ولا ولد ، وليس كمثله شىء .

**المحتوى التربوى :**

يمضى السياق فى هذه الآيات يوضح أنّ كل فئة من اليهود والنصارى تدّعى أنها على الحق ، وأن غيرها ليست على شىء ، والذين لا يعلمون هم الأميون العرب الذين لم يكن لهم كتاب ، وكانوا يرون ما عليه اليهود والنصارى من التقارب والاتهام ، ومن التمسك بخرافات وأساطير لا تختلف كثيراً عن خرافات العرب وأساطيرهم فى الشرك ، فكانوا يزهدون فى دين اليهود والنصارى ، ويقولون إنهم ليسوا على شىء !

والقرآن يسجل على الجميع ما يقوله بعضهم فى بعض ، عقب الرد عليهم فى دعواهم بملكية الجنة دون سواهم من الأمم ، ثم يرد أمر الخلاف بينهم إلى الله : ﴿ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

ولقد قصّ الله علينا هذه المقولة لليهود والنصارى ليعمق مفهوم عدم المتابعة ، وتحسين الظن فى الطوائف الأخرى ، ومع أن كلا منها على باطل فهو لا يرى أن غيره على شىء ، وكذلك عدم الطمع بإيمان هؤلاء ما داموا على هذه السجية والطوية السيئة ، ورد الأمر إلى الله فى الحكم بينهم

يشى أنه لا أمل فى تزحزحهم عن مواقفهم ، وكانت هذه الآيات خاتمة الحديث عن بنى إسرائيل؛ لنحدد بذلك مواقفنا منهم ، ولنتبصر دقائق تكوينهم النفسى ، واتجاهاتهم الخطيرة فى معاملة الآخر .

وينتقل بنا السياق إلى ترذيل محاولتهم تشكيك المسلمين فى صحة الأوامر والتكاليف النبوية ، لا سيما تحويل القبلة ، ويَعدُها سعيًا فى منع ذكر الله فى مساجده ، والعمل على خرابها .

**ويقول صاحب الأساس** : تأتى هذه الآيات ـ ومن أظلم ممن منع مساجد الله .... ـ بعد الآية التى تعرض دعاوى أهل الباطل واتهاماتهم لبعضهم ، وكأنها تعطينا ميزاناً نتعرف به على كذبهم جميعاً . فأظلم الظالمين هو الذى يعطل المساجد ، فلا يُذكر فيها اسم الله ، ويسعى فى خرابها ، وهذه المجموعات الثلاث تخرب مساجد الله ولا تتوجه له بخالص العبادة فإذن دعاواها باطلة .

واختلف المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ ، ونورد ما قاله ابن كثير معرضين عن هذا الاختلاف حيث قال : هذا خبر معناه أى لا تمكنوا هؤلاء إذا قدرتم عليهم من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية ، وهذا يُفهم منه أن الله عز وجل أعطى الوصاية لحملة منهجه على هذه البشرية ، وكلفهم بالريادة ، وأن ينشروا منهجه وإعلاء شريعته بحيث يخاف غيرهم من سلطان الله بخوفهم منهم إذا أراد أن يدخل مساجد الله لا يدخلها إلا وهو خاضع خائف ، فكيف يصح أن يكون له سلطان عليها .

**ويقول صاحب الظلال** : ثم يرد الله على تضليل اليهود فى ادعائهم أن صلاة المسلمين إذن إلى بيت المقدس كانت باطلة، وضائعة ولا حساب لها عند الله ! وتقرر الآيات أن كل اتجاه قبلة ، فثم وجه الله حيثما توجه عابد ، وإنما تخصيص قبلة معينة هو توجيه من عند الله فيه طاعة ، لا أن وجه الله ـ سبحانه ـ فى جهة دون جهة . الله لا يضيق على عباده ، ولا ينقصهم ثوابهم ، وهو عليم بقلوبهم ونياتهم ودوافع اتجاهاتهم ، وفى الأمر سعة . والنية لله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

ومن ثم يستطرد السياق لاستعراض ضلال تصورهم لحقيقة الألوهية ، وانحرافهم عن التوحيد الذى هو قاعدة دين الله ، وأساس التصور الصحيح فى كل رسالة ، ويقرن تصورهم المنحرف إلى تصورات الجاهلية عن ذات الله ـ سبحانه ـ وصفاته . ويقرر التشابه بين قلوب المشركين من العرب وقلوب المشركين من أهل الكتاب ، ويصحح للجميع انحرافهم إلى الشرك ، ويوضح لهم قاعدة التصور الإيمانى الصحيح .

إن الله سبحانه تعالى وتقدَّس وتنّزه عما يقول المشركون واليهود والنصارى علوا كبيراً ، فمن عرف جلاله وعظمته نزهه عن ذلك ، ﴿ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فليس الأمر كما افتروا، وإنما له ملك السموات والأرض ومن فيهن ، وهو المتصرف فيهم وهو خالقهم ورازقهم ومقدرهم ومسخرهم ومسيرهم ومصرفهم كما يشاء ، والجميع عبيد له وملك له ، فكيف يكون له ولد منهم ، وإنما يكون من شيئين متناسبين ، وهو تبارك وتعالى ليس له نظير ولا مشارك فى

عظمته وكبريائه ، ولا صاحبة له فكيف يكون له ولد وهو العظيم الذى لا نظير له ولا شبيه له، وجميع الأشياء له مخلوقة مربوبة ، فالجميع مقرون قانتون له بالعبودية فلا يشذ أحدٌ عن ذلك، فمن كان هذا شأنه لا يكون أحد إلا عبدًا له سبحانه ، وهو الذى ابتدع السموات والأرض على غير مثال سبق ، فهو أجل من أن يكون له ولد .

وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله ، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم » .

ويمضى السياق ليعرض نوعًا آخر من المطالب المتعنتة بأن يكلمهم الله ، كما يكلم الملائكة ، أو يكلمهم بنبوة النبى ﷺ ، أو يأتيهم بمعجزة تشهد على نبوته ﷺ ، وما قالوا ذلك إلا جحوداً واستهانة ؛ لأن يكون ما آتى الله عز وجل رسوله ﷺ من الآيات كافياً للإيمان ، ولكن ملة الكفر واحدة وعقلية الكافرين فى كل زمان جاحدة ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فى العمى والجحود ، ويخاطب الله رسوله ﷺ ، بأنه مرسل بالحق بشيراً للمؤمنين بالثواب ، ونذيراً للكافرين بالعقاب ، ولن يُسئل ﷺ عن الكافرين ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغهم وبلغ جهده فى دعوتهم ، وهذه الآيات تجىء بعد مقولات الكافرين للإشارة إلى أن هذا الكفر مآله الجحيم ، وأن على الرسول أن يبشر ، وينذر ولا عليه من هؤلاء .

**ما ترشد نا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ إبطال تأثير النسب فى السعادة والشقاء ، وتقرير أن السعادة بدخول الجنة مردها إلى تزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح ، وأن الشقاوة بدخول النار مردها إلى الشرك ، وارتكاب الذنوب ، فلا نسبة إلى يهودية أو نصرانية أو غيرهما تُغنى عن صاحبها .

٢ ـ الإسلام الصحيح القائم على أسسه الثلاثة الإيمان والإسلام والإحسان ،هو سبيل النجاة من النار ، والفوز بالجنة .

٣ ـ عظم جريمة من يتعرض للمساجد بأىّ أذىً أو إفساد .

٤ ـ صحة صلاة النافلة على المركوب فى السفر إلى القبلة وإلى غيرها .

٥ ـ وجوب استقبال القبلة إلا عند العجز ، فيسقط هذا الواجب .

٦ ـ العلم بإحاطة الله تعالى بالعوالم كلها قدرة وعلما ، فلا يخفى عليه من أمر العوالم شىء ، ولا يعجزه شىء .

٧ ـ لا ينتفع بالآيات إلا أهلُ اليقين لصحةِ عقولهم ، وسلامة قلوبهم .

٨ ـ على المؤمن أن يدعو إلى الله تعالى ، وليس عليه الهدى ، إذ الهداية بيد الله ، وأما الدعوة فهى واجبة على الداعى ، وهو مكلف بها .

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۖ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

**معانى الكلمات :**

**ملتهم** : دينهم الذى هم عليه من يهودية ونصرانية . **العالمين** : البشر الذين كانوا فى زمانهم . **لا تُجزى نَفسٌ** : لا تقضى ولا تُؤدىَّ نفس . **العدل** : الفدية والفداء . **شفاعة** :وساطة أحد. **ابتلى**: اختبر وامتحن. **بكلمات** : بأوامر ونواه . **فأتمهن** : أدَّاهُنَّ لله تعالى على الكمال . **مثابة للناس** : مرجعاً أو ملجأً أو مجمعاً أو موضع ثوابٍ لهم .

**عهدنا** : وصينا وأمرنا . **تطهر البيت** : تنزيهه من الأقذار الحسية كالدماء وغيرها ومعنوية كالشرك والبدع والمفاسد .

**أضطره** : ألجئه مكرها إلى العذاب .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم أن العقيدة هى حقيقة المعركة التى يشنها اليهود والنصارى ضد المسلمين .

٢ ـ أن نؤمن بأن هدى الله هو الهدى وما عداه ليس بهدى .

٣ ـ أن نتعرف على مكانة إبراهيم عليه السلام وتشريف الله له .

**المحتوى التربوى :**

تتحدث الآيات بأن اليهود والنصارى سيظلون يحاربون الإسلام ، ويكيدون له ، ولا يسالمونه ولا يرضون عنه إلا أن يحيد أهله عنه ، وإلا أن يتركوا هذا الحق ، وبعد أن يتخلوا عن هذا اليقين إلى ما هم فيه من ضلال وشرك وسوء تصور ، فليس الذى ينقصهم هو البرهان أو الاقتناع بأن النبى ومن معه على الحق ، ولو قدم إليهم ما قدم ، ولو تودد إليهم ما تودد لن يرضيهم هذا كله . إلا أن يتبع المسلمون ملتهم ويتركوا ما معهم من الحق .

**يقول صاحب الظلال** : إنها العقدة الدائمة التى نرى مصداقها فى كل زمان ومكان ، إنها هى العقيدة ، هذه هى حقيقة المعركة التى يشنها اليهود والنصارى فى كل أرض وفى كل وقت ضد الجماعة المسلمة ، إنها معركة العقيدة هى المشبوبة بين المعسكر الإسلامى وبين هذين المعسكرين

اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما ، وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها ، ولكنها تلتقى دائماً فى المعركة ضد الإسلام والمسلمين !

إنها معركة العقيدة . إنها ليست معركة الأرض ، ولا الغلة ، ولا المراكز العسكرية . ولا هذه الرايات المزيفة كلها ؛ إنهم يزيفونها علينا لغرض فى نفوسهم دفين . ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها ، فإذا نحن خدعنا بخديعتهم لنا فلا نلومن إلا أنفسنا ، ونحن نبعد عن توجيه الله لنبيه ﷺ ولأمته .

وفى هذه الآية من الوعيد الشديد الذى ترجف له القلوب وتنصدع منه الأفئدة ، ما يوجب على أهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه ، والقائمين ببيان شرائعه ترك الرهان لتاركى العمل بالكتاب والسنة ، المؤثرين لمحض الرأى عليهما .

ويرد الله تعالى عليهم ويفند دعواهم الإيمان به ، بأن من أوتى الكتاب فتلاه حق تلاوته ، فذاك المؤمن به ، ومن تلاوته حق تلاوته الإيمان بأنه حق من ربهم ، وصبُرهم ودرؤهم بالحسنة السيئة ، وإنفاقهم وسجودهم له تعالى وعن ابن مسعود : « والذى نفسى بيده ! إن حق تلاوته أن يحلّ حلاله ويحرم حرامه ، ويقرأه كما أنزل الله ، ولا يحرف الكلم عن مواضعه ، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله » .

ويهتف الله سبحانه وتعالى ببنى إسرائيل بعد هذه المجابهة والجدل الطويل ، وبعد استعراض تاريخهم مع ربهم ومع أنبيائهم ، أن يتذكروا نعمة الله عليهم ، وتفضيله إياهم على جميع البشر فى عالمهم ، ويتقوا يوم القيامة يوم لا تغنى نفس عن نفس أن تشفع لها أو تفديها من عذاب الله ، ويأمر الله نبيه أن يذكر لهؤلاء المشركين،وأهل الكتابين الذين ينتحلون ملة إبراهيم وليسوا عليها، واذكرْ لهؤلاء وتذكرْ ابتلاء الله إبراهيم أى : اختباره بما كلفه به من الأوامر والنواهى ، فأتمَّهُن : أى : قام بهن كلهن ، فاستحق بذلك منصب الإمامة جزاءً على ما فعل ، فكما قام بالأوامر وترك الزواجر ، جعله الله قدوة إماماً يُقتدى به فى الخير ، فرغب إلى الله أن تكون الإمامة فى بعض ذريته كذلك فأجيب لذلك ، لكنه أخبر بأن سيكون من ذريته ظالمون ، وأنه لا ينالهم عهد الله ، ولا يكونون أئمة ، فلا يقتدى بهم .

وتكريماً وتشريفاً لإبراهيم ودعوته أراد أن يكون هذا البيت ملتقى للشعوب ، كلها وللأجناس كلها ، يجتمعون فيه ، فيتعارفون وينتفعون ، قائمين بأمر الله ، عابدين له ، موِّحدين معظمين شعائره ، وأما كون البيت أمناً فمن حيث : إن من دخله كان آمناً ، وقد كانوا فى الجاهلية يتُخطَّف الناس من حولهم وهم آمنون ، وأمر الله بالعهد لإبراهيم وإسماعيل أن يُطهرا البيت من الشرك والريب ، وأن يبنياه خالصاً لله ، ومعقلاً للطائفين والعاكفين والراكعين الساجدين .

ويدعو سيدنا إبراهيم مولاه عز وجل بأن يجعل هذا البلد آمناً ، ويرزق المؤمنين بالله واليوم الآخر من أهله الثمرات ، فأخبره عز وجل أنه يرزق الكافرين ، كما يرزق المؤمنين ، وقاس

إبراهيم عليه السلام الرزق على الإمامة ، فإذا أعلمه الله بخصوصية الإمامة فى المؤمنين ، فإنه قطع كل عاطفة تربطه بغيرهم فلم يدعُ الله بالرزق إلا لهم ، فأخبره الله أنه يرزق الكافرين كما يرزق المؤمنين ، ولذلك لم يكن الرزق علامة على القرب من الله ؛ لأن الفاجر يُرزق ويضطره الله إلى عذاب النار وبئس المصير .

**ويقول صاحب الظلال** : إن التصور الإسلامى يقطع الوشائج والصلات التى لا تقوم على أساس العقيدة والعمل، ولا يعترف بقربى ولا رحم إذا انبتّت وشيجة العقيدة والعمل ، ويسقط جميع الروابط والاعتبارات ما لم تتصل بعروة العقيدة والعمل ، وهو يفصل بين جيل من الأمة الواحدة ، وجيل إذا خالف أحد الجيلين الآخر فى عقيدته ، بل يفصل بين الوالد والولد ، والزوج والزوج إذا انقطع بينهما حبل العقيدة ، فعرب الشرك شىء وعرب الإسلام شىء آخر ، ولا صلة بينهما ولا قربى ولا وشيجة ، والذين آمنوا من أهل الكتاب شىء ، والذين انحرفوا عن دين إبراهيم وموسى وعيسى شىء آخر ، ولا صلة بينهما ولا قربى ولا وشيجة ، إن الأسرة ليست آباء وأبناء وأحفاداً ، إنما هى هؤلاء حين تجمعهم عقيدة واحدة . وإن الأمة ليست مجموعة أجيال متتابعة من جنس معين ، إنما هى مجموعة من المؤمنين مهما اختلفت أجناسهم وأوطانهم وألوانهم ، وهذا هو التصور الإيمانى ، الذى ينبثق من خلال البيان الربانى ، فى كتاب الله الكريم .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ لا ينال المسلم رضا اليهود والنصارى إلا بالكفر بالإسلام واتباع دينهم الباطل .

٢ ـ لا دين حق إلا الإسلام ، فلا ينبغى أن يلتفت إلى غيره بالمرة .

٣ ـ من يوالى اليهود والنصارى باتباعهم على باطلهم يفقد ولاية الله تعالى ، ويحرم نصرته .

٤ ـ طريق الهداية فى تلاوة كتاب الله حق تلاوته بأن يجوده قراءة ، ويتدبره هداية ، ويؤمن بحكمه .

٥ ـ وجوب ذكر نعم الله على العبد ؛ ليجد بذلك دافعاً نفسياً لشكرها ، إذ غاية الذكر هى الشكر .

٦ـ وجوب اتقاء عذاب يوم القيامة بالإيمان والعمل الصالح بعد التخلى عن الشرك والعصيان بإخراجه من النار .

٧ ـ استحالة الفداء يوم القيامة، وتعذر وجود شافع لمن مات على الشرك بإخراجه من النار .

٨ ـ منة الله تعالى بجعل البيت مثابة للناس وأمناً توجب حمد الله على كل مؤمن .

٩ ـ الكافر لا يحرم الرزق لكفره ، بل له الحق فى الحياة إلا أن يحارب فيقتل أو يسلم .

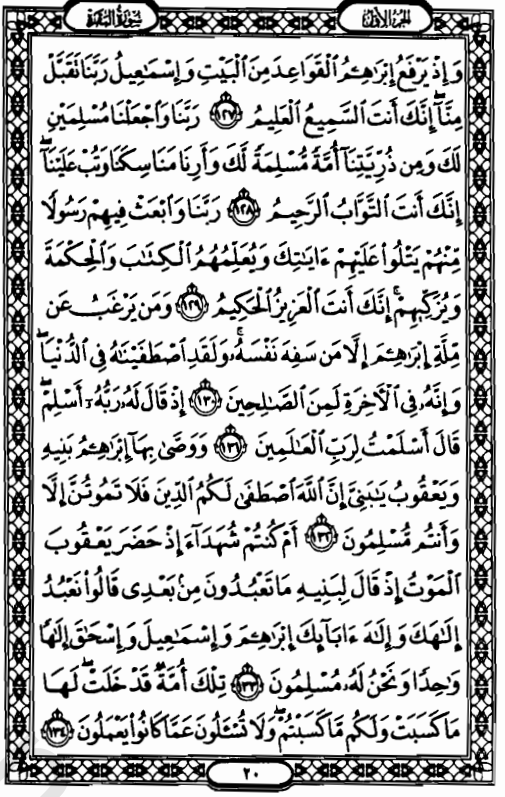
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن
مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾
٢٠

**معانى الكلمات :**

**إذ** : ظرف لما مضى من الزمان متعلق بمحذوف ، تقديره : اذكر وقت كذا .

**مسلمين** : منقادين لك خاضعين لأمرك ونهيك راضين بحكمك . **أرنا مناسكنا** : علمنا كيف نحج بيتك،تنسكاً وتعبداً لك. **تب علينا** : وفقنا للتوبة إذا زللنا واقبلها منا . **يزكيهم** : يطهر أرواحهم ويكمل عقولهم ، ويهذب أخلاقهم بما يعلمهم من الكتاب والحكمة . **سفه نفسه** : جهل قدرها فأذلها وأهانها بترك سبيل عزها وهو الإسلام . **اصطفيناه** : اخترناه لرسالتنا والبلاغ عنا . **أمة خلت** : جماعة أمرها واحد ، **خلت** : مضت إلى الدار الآخرة .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم أن ميزان الثواب عند الله هو الإيمان والأعمال الصالحة وليس الانتساب .

٢ ـ أن نعرف الأدب والإيمان والشعور الذى يريد القرآن أن يعلمه لورثة الأنبياء فى التوجه إلى الله .

٣ ـ أن نؤمن أن الإسلام وصية جميع الأنبياء والمرسلين للبشرية كلها .

**المحتوى التربوى :**

يمضى السياق ذاكراً مآثر إبراهيم عليه السلام التى تشى بوضوح بكمال الإيمان والطاعة ، وعظيم الرغبة فى الخير والرحمة ، وتضمنت الآيات دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لله تعالى فى حالة رفعهما القواعد من البيت بأن يتقبل منهما عملهما ، متوسلين إليه بأسمائه وصفاته ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ويسألانه عز وجل أن يجعلهما مسلمين له ، وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة له مؤمنة به موحدة له ، ومنقادة لأمره ونهيه ، وأن يعلمهما مناسك حج بيته العتيق ؛ ليحجاه على علم ، ويتوب عليهما ، كما سألاه عز وجل أن يبعث فى ذريتهما رسولاً منهم يتلو عليهم آيات الله، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم بالإيمان وصالح الأعمال ، وجميل الخلال وطيب الخصال .

وقد استجاب الله دعاءهما فبعث من ذريتهما من أولاد إسماعيل إمام المسلمين ، وقائد الغر المحجلين محمدًا ﷺ ، وقد قرر هذا ﷺ بقوله : وأنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشارة عيسى عليهما جميعاً السلام .

**يقول صاحب الظلال** : إنه طابع الأمة المسلمة ، التضامن ، تضامن الأجيال فى العقيدة : «ومن ذريتنا أمة مسلمة لك» ، وهى دعوة تكشف عن اهتمامات القلب المؤمن ، إن أمر العقيدة هو شغله الشاغل ، وهو همه الأول ، وشعور إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ بقيمة النعمة التى أسبغها الله عليهما ، نعمة الإيمان تدفعهما إلى الحرص عليها فى عقبهما ، وإلى دعاء الله ربهما ألا يحرم ذريتهما هذا الإنعام الذى لا يكافئه إنعام ، لقد دعوا الله ربهما أن يرزق ذريتهما من الثمرات ، ولم ينسيا أن يداعوه ؛ ليرزقهم من الإيمان ، وأن يريهم جميعاً مناسكهم ، ويبين لهم عباداتهم ، وأن يتوب عليهم بما أنه هو التواب الرحيم ثم ألا يتركهم بلا هداية فى أجيالهم البعيدة ، ودعوا الله أن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة ، وأن يبعث فى أهل بيته رسولاً منهم ، فاستجاب الله لهما ، وأرسل من أهل البيت محمد بن عبد الله ، وحقق على يديه الأمة المسلمة القائمة بأمر الله الوارثة لدين الله .

ولما بين الله سبحانه وتعالى مواقف إبراهيم عليه السلام السليمة الصحيحة عقيدة وإخلاصاً وعملاً صالحاً ، قرر أنه لا يرغب عن ملة إبراهيم إلا عبد جهل قدر نفسه، ولم يعرف لها حقها فى الطهارة والصفاء والإكمال والإسعاد ؛ لذا ذكر إنعامه تعالى عليه ، وما تفضل به عليه من الاصطفاء فى الدنيا والإسعاد فى الخير فى جملة الصالحين ، وهذا الاصطفاء تم عند استجابته لأمر ربه بالإسلام حيث أسلم دون تردد ، وبعد عرض هذه الحقائق الدامغة يقيم الحجة على المشركين وأهل الكتاب معاً إذ ملة الإسلام القائمة على التوحيد وصى بها إبراهيم بنيه ، كما وصى بها يعقوب بنيه : لا تموتن إلا على الإسلام ، وبالتالى ينفى نسبة اليهود والنصارى إلى إبراهيم ، فأين الوثنية العربية واليهودية والنصرانية من ملة إبراهيم ، ألا فليثب العقلاء إلى رشدهم ، وينهاهم الله عز وجل عن هذا الجدل الفارغ قائلاً لهم : « تلك أمة قد خلت ، يعنى إبراهيم وأولاده ـ لها ما كسبت من الإيمان والعمل الصالح ، ولكم ما اكتسبتم من الكفر والمعاصى ، ولا تسألون يوم القيامة عن أعمال غيركم وإنما تسألون عن أعمالكم وتجزون بها .

**ويقول صاحب الأساس** : ولقد احتج اليهود من قبل فى رفضهم الإيمان بالقرآن بأنهم يؤمنون بما أنزل عليهم ، وتستكمل الحجة عليهم ، بأن وصية إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، الإسلام والتوحيد ، فعليهم أن يسلموا ، ولا ينفعهم انتسابهم للصالحين إن كانوا كافرين .

**وقال ابن كثير** فى تفسير وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام : « أى : أحسنوا فى حال الحياة ، والزموا هذا ليرزقكم الله الوفاة عليه ، فإن المرء يموت غالباً على ما كان عليه ، ويبعث على ما مات عليه ، ومن نوى صالحاً ثبت عليه ، وهذا لا يعارض ما جاء فى الحديث الصحيح : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع ـ أو ذراع ـ فيسبق عليه

الكتاب ؛ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع ـ أو ذراع ـ فيسبق عليه الكتاب ؛ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ؛ لأنه قد جاء فى بعض روايات هذا الحديث : « ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، ويعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس » ، وقد قال الله تعالى ( فى سورة الليل ) : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝ ﴾ انتهى كلام ابن كثير .

**ويقول صاحب الظلال** : إن المشهد بين يعقوب وبنيه فى لحظة الموت والاحتضار لمشهد عظيم الدلالة ، عميق التأثير، ميت يحتضر ـ فما هى القضية التى تشغل باله فى ساعة الاحتضار ؟ ما هو الشاغل الذى يعنى خاطره وهو فى سكرات الموت ؟ ما هو الأمر الجلل الذى يريد أن يطمئن عليه ويستوثق منه ؟ ما هى التركة التى يريد أن يخلفها لأبنائه ويحرص على سلامة وصولها إليهم ، فيسلمها لهم فى محضر ، يسجل فيه كل التفصيلات ؟ إنها العقيدة ، هى التركة ، وهى الذخر ، وهى القضية الكبرى .. وهى الأمر الجلل ، الذى لا تشغل عنه سكرات الموت وصرعاته ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ﴾ .

ويطمئنون الوالد المحتضر ﴿ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :**

١ ـ المؤمن البصير فى دينه يفعل الخير وهو خائف ألا يُقبل منه ، فيسأل الله تعالى ، ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته أن يتقبله منه .

٢ ـ مشروعية سؤال الله للنفس وللذرية الثبات على الإسلام حتى الموت عليه .

٣ ـ وجوب تعلم مناسك الحج والعمرة على من أراد أن يحج أو يعتمر .

٤ ـ وجوب طلب تزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح ، وتهذيب الأخلاق بالعلم والحكمة .

٥ ـ مشروعية التوسل إلى الله تعالى فى قبول الدعاء وذلك بأسمائه وصفاته لا بحق فلان كما هو شأن المبتدعة .

٦ ـ لا يرغب عن الإسلام بتركه أو طلب غيره من الأديان إلا سفيهٌ لا يعرف قدر نفسه .

٧ ـ إن الاستسلام لله رب العالمين هو ملة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فمهما أمر به الله، أو نهى عنه ، أو اختاره ، فعلى المسلم أن يستسلم له .

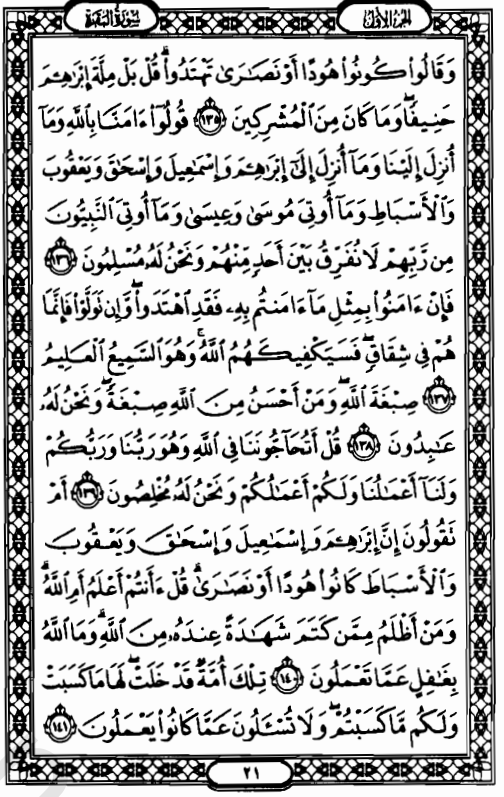
وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ
حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ
عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾
٢١

**معانى الكلمات :**

**حنيفاً** : مائلاً عن الباطل إلى الدين الحق .

**الأسباط** : أولاد يعقوب أو أحفاده .

**فى شقاق** : خلاف وفراق وعداء لك وحرب عليك . **صبغة الله** : دينه الذى طهرنا به ظاهراً أو باطناً ، فظهرت آثاره علينا كما يظهر أثرالصبغ على الثوب المصبوغ . **أتحاجوننا** : أتجادلوننا فى دينه والإيمان به وبرسوله ، والاستفهام للإنكار

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على ما قاله بعض اليهود والنصارى للرسول وللمسلمين عندما دعوهم إلى اليهودية والنصرانية .

٢ ـ أن نعلم أن دين الله واحد ودعوة الأنبياء واحدة .

٣ ـ أن اليهودية والنصرانية بدعة ابتدعها اليهود والنصارى .

**المحتوى التربوى :**

تُلقى الآيات بيانها التاريخى الحاسم ، لقصة العهد مع إبراهيم ، وحقيقة الوراثة وحقيقة الدين ، ويناقش ادعاءات أهل الكتاب المعاصرين ، ويعرض لحججهم وجدلهم ومحالهم ، فيبدو هذا كله ضعيفاً شاحباً ، كما يبدو فيه العنت والادعاء بلا دليل ، ويرد على قول اليهود : كونوا يهوداً تهتدوا ؛ وكذلك قول النصارى : كونوا نصارى تهتدوا ، فجمع الله قوليهم ليوجه نبيه ﷺ أن يواجههم جميعاً بكلمة واحدة :

﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ، قل : بل نرجع جميعاً ، نحن وأنتم ، إلى ملة إبراهيم ، أبينا وأبيكم ، وأصل ملة الإسلام ، وصاحب العهد مع ربه عليه ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ، بينما أنتم تشركون ، ثم يدعو المسلمين لإعلان الوحدة الكبرى للدين ، من لدن إبراهيم أبى الأنبياء إلى عيسى ابن مريم ، إلى الإسلام الأخير ودعوة أهل الكتاب إلى هذا الدين الواحد .

**ويقول صاحب الظلال** : « والوحدة الكبرى بين الرسالات جميعاً ، وبين الرسل جميعاً ، وهى قاعدة التصور الإسلامى وهى التى تجعل من الأمة المسلمة ، الأمة الوارثة لتراث العقيدة القائمة على دين الله فى الأرض ، الموصولة بهذا الأصل العريق ، السائرة فى الدرب على هدى ونور ، والتى تجعل من النظام الإسلامى العالمى الذى يملك الجميع الحياة فى ظله دون تعصب ولا اضطهاد ، والتى تجعل من المجتمع الإسلامى مجتمعاً مفتوحاً للناس جميعاً فى مودة وسلام .

ومن ثم يقرر السياق الحقيقة الكبرى ، ويثبت عليها المؤمنين بهذه العقيدة ، حقيقة أن هذه العقيدة هى الهدى ، من اتبعها فقد اهتدى ، ومن أعرض عنها فلن يستقر على أصل ثابت ، ومن ثم يظل فى شقاق مع الشيع المختلفة التى لا تلتقى على قرار .

ويسكب القرآن فى قلب المؤمن الاعتزاز بما هو عليه ، بشهادة الله عز وجل له بالهدى ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴾ فالمسلم بالله هو وحده المهتدى ومن لا يؤمن بما يؤمن ، فهو المشاق للحق ، المعادى للهدى ، ولا على المؤمن من شقاق من لا يهتدى ولا يؤمن ولا عليه من كيده ومكره ، ولا عليه من جداله ومعارضته ، فالله سيتولاهم عنه ، وهو كافيه وحسبه .

فما على المؤمن إلا أن يستقيم على طريقته ، وأن يعتز بالحق المستمد مباشرة من ربه ، وبالصبغة التى وضعها الله على أوليائه ليُعرفوا بها فى الأرض ، إنها صبغة الله التى شاء لها أن تكون آخر رسالاته إلى البشر ؛ لتقوم عليها وحدة إنسانية واسعة الآفاق ، لا تعصب فيها ولا حقد ، ولا أجناس فيها ولا ألوان .

ويرد القرآن على جدلهم فى وحدانية الله وربوبيته على لسان المؤمنين ، فيقولون للمشركين واليهود والنصارى : لامجال للجدال فى وحدانية الله ، فهو ربنا وربكم ، ونحن محاسبون بأعمالنا ، وعليكم وزر أعمالكم . ونحن متجردون له مخلصون لا نشرك به شيئاً ولا نرجو معه أحداً .. وهذا الكلام تقرير لموقف المسلمين واعتقادهم ، وهو غير قابل للجدل والمحاجة واللجاج .

ويعرض السياق مجالًا آخر من مجالات الجدل . غير قابل للجاجة والمحال ، وهى ادعاؤهم أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى ؟ وهم كانوا أسبق من موسى ، وأسبق من اليهودية والنصرانية ، والله يشهد بحقيقة دينهم ـ وهى الإسلام ـ والله سبحانه وتعالى أعلم منهم بدين أنبيائه . والله مطلع على ما يخفون من الشهادة التى ائتمنهم عليها.

**يقول الإمام الرازى** : « هذا هو الكلام الجامع لكل وعيد ، ومن تصور أن الله تعالى عالم بسره وإعلانه ، ولا تخفى عليه خافية ، وأنه من وراء ذلك مجازاته ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًا فشر ، لا

تمضى عليه طرفة عين إلا وهو خائن حذر ، ألا ترى أن أحدنا لو كان عليه رقيب من جهة السلطان يعد عليه الأنفاس لكان دائم الحذر والوجل ، مع أن ذلك الرقيب لا يعرف إلا الظاهر ، فكيف بالرب الرقيب الذى يعلم السر وأخفى إذا هددو أوعد .

ويختتم هذا البيان الحاسم ، بعد محض ادعائهم بما اختتم به الحديث من قبل عن إبراهيم وذريته المسلمين .

**يقول صاحب زهرة التفاسير** : « إن الناس تعودوا اتباع الأسلاف ـ فالله ـ تعالى ـ يكرر أن كل امرئ بما كسب رهين ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، ولهم ما كسبوا وعليتكم ما اكتسبتم ، وأن خير الماضين ليس خيرا لكم ، وأن شرهم ليس وزره عليكم » .

**ويقول القاسمى** : « لما ذكر تعالى حسن طريقة الأنبياء المتقدمين ، ولم يدع لهم متسكا من جهتهم ، أتبع ذلك الإشارة إلى أن الدين دائر مع أمره فى كل زمان ، وأنه لا ينفعهم إلا ما يستجدّونه بحكم ما تجدد من الـمُنزَل المعجز لكافة أهل الأرض ، أحمرهم وأسوهم ، أى فعليكم بترك الكلام فى تلك الأمة ، فلها ما كسبت ، وانظروا فيما دعاكم إليه خاتم النبيين محمد ﷺ فإن ذلك أنفع لكم وأعود عليكم ، ولا تسألون إلا عن عملكم » .

فيقول عز وجل : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا:**

١ ـ لا هداية إلا فى الإسلام ، ولا سعادة ولا كمال إلا بالإسلام .

٢ ـ الكفر برسول الله كفر بكل الرسل،فقد كفر اليهود بعيسى، وكفر النصارى بمحمد ﷺ، فأصبحوا بذلك كافرين ، وآمن المسلمون بكل الرسل فأصبحوا بذلك مؤمنين.

٣ ـ لا يزال اليهود والنصارى فى عداء للإسلام وحرباً على المسلمين ، والمسلمون يكفيهم الله تعالى شرهم إذا هم استقاموا على الإسلام عقيدة ، وعبادة ، وخلقاً ، وأدباً ، وحكماً .

٤ ـ كل امرئ يجزى بعمله ، وغير مسؤول عن عمل غيره ، إلا إذا كان سبباً فيه .

٥ ـ حرمة كتمان الشهادة لاسيما شهادة من الله .

٦ ـ عدم الاتكال على حَسَب الآباء والأجداد . ووجوب الإقبال على النفس لتزكيتها وتطهيرها بالإيمان الصحيح والعمل الصالح .

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا
عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا
جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ
مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ
هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ
فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ
آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۖ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۖ وَمَا بَعْضُهُم
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ
مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾
٢٢

**معانى الكلمات :**

**السفهاء** : جمع سفيه وهو من بت ضعف عقلى : اليهود ومن شاكلهم فى إنكار تحويل القبلة . **ما ولاّهم** : ما صرفهم عن استقبال بيت المقدس إلى استقبال الكعبة .

**القبلة** : الجهة التى يستقبلها المرء وتكون قبالته فى صلاته .

**أمة وسطا** : خياراً ، أو متوسِّطِينَ مُعتَدلين.

**ينقلب على عقبيه** : يرجع إلى الكفر بعد الإيمان . **لكبيرة**: لشاقة ثقيلة على النفوس.

**ليضيع إيمانكم**: صلاتكم إلى بيت المقدس.

**رؤوف رحيم**: يدفع الضرر عنكم ويفيض الإحسان عليكم .

**تقلب وجهك**: تردده بالنظر إليها مرة بعد أخرى انتظاراً لنزول الوحى .

**فلنولينك قبلة ترضاها** : فلنحولنك إلى القبلة التى تحبها وهى الكعبة .

**فول وجهك شطر المسجد** : حوّل وجهك جهة المسجد الحرام بمكة . **الحرام** : بمعنى المحرم لا يُسفك فيه دم ، ولا يُقتل فيه أحد .

**الشطر** : هنا الجهة واستقبال الجهة يحصل به استقبال بعض البيت فى المسجد الحرام .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم أن الأمة المسلمة لها شخصيتها المستقلة .

٢ ـ أن نعلم أنه يراد بهذه الأمة أن تكون أمة وسطاً أهلها شهداء على الناس .

٣ ـ أن نتعرف على الحكمة وراء تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة المشرفة .

**المحتوى التربوى :**

تتحدث الآيات عن تحويل القبلة ، والملابسات التى أحاطت به ، والدسائس التى حاولها اليهود فى الصف المسلم بمناسبته ، حيث إن المسلمين فى مكة كانوا يتوجهون إلى الكعبة منذ أن فرضت الصلاة ـ وليس فى هذا نص قرآنى ـ وأنهم بعد الهجرة وجهوا إلى بيت المقدس بأمر إلهى

للرسول ﷺ يرجح أنه أمر غير قرآنى ، ثم جاء الأمر القرآنى الأخير : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ . فنسخه .

**ويقول صاحب الظلال** : فإذا اتجه المسلمون فترة من الزمان إلى المسجد الأقصى ، الذى يتجه إليه اليهود والنصارى ، فقد كان هذا التوجه لحكمة خاصة ، والآن وقد شاء الله أن يعهد بالوراثة إلى الأمة المسلمة،وقد أبى أهل الكتاب أن يفيئوا إلى دين أبيهم إبراهيم ـ وهو الإسلام ـ فيشاركوا فى هذه الوراثة حسيها وشعوريها ، وراثة الدين ، ووراثة القبلة ، ووراثة الفضل من الله جميعاً .

إن الاختصاص والتميز ضروريان للجماعة المسلمة : الاختصاص والتميز فى التصور والاعتقاد ؛ والاختصاص والتميز فى القبلة والعبادة ، وهذه كتلك لابد من التميز فيها والاختصاص ، وقد يكون الأمر واضحاً فيما يختص بالتصور والاعتقاد ؛ ولكنه قد لا يكون بهذه الدرجة من الوضوح فيما يختص بالقبلة وشعائر العبادة .

والجماعة المسلمة التى تتجه إلى قبلة مميزة يجب أن تدرك معنى هذا الاتجاه ، إن القبلة ليست مجرد مكان أو جهة تتجه إليها الجماعة فى الصلاة ، فالمكان أو الجهة ليس سوى رمز للتميز والاختصاص ، تميز التصور .. الشخصية .. الهدف .. الاهتمامات .. الكيان .

ومن هنا كذلك كان النهى عن التشبه بمن دون المسلمين فى خصائصهم ، التى هى تعبير ظاهر عن مشاعر باطنة ، كالنهى عن طريقتهم فى الشعور والسلوك سواء ، وليس هذا تعصباً ولا تمسكاً بمجرد شكليات .

ثم يتحدث السياق عن هذه الأمة وحقيقتها الكبرى فى هذا الكون ، ووظيفتها الضخمة فى هذه الأرض ، ودورها الأساسى فى حياة الناس ؛ مما يقتضى أن تكون لها قبلتها الخاصة ؛ وألا تسمع لأحد إلا لربها الذى اصطفاها لهذا الأمر العظيم وهو الشهادة على الناس ، فتقيم بينهم العدل والقسط ؛ وتضع لهم الموازين والقيم ؛ وتكون وسطاً بين الأمم فيكون منهجها الاعتدال والقصد ، والحسن والفضل ، وهى ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ فى التصور والاعتقاد ، والتنظيم والتنسيق ، فلا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر ، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب .

﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ فى الارتباطات والعلاقات ، لا تلغى شخصية الفرد ومقوماته ، ولا تلاشى شخصيته فى شخصية الجماعة أو الدولة ، ولا تطلقه كذلك فرداً جشعاً لا هم له إلا ذاته ، وإنما تطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدى إلى الحركة والنماء ، وتقرر من التكاليف والواجبات ما يجعل الفرد خادماً للجماعة ، والجماعة كافلة للفرد فى تناسق واتساق .

**ويقول صاحب الظلال** : وما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها هذا الذى وهبه الله لها ، إلا أنها تخلت عن منهج الله الذى اختاره لها ، واتخذت لها مناهج مختلفه ليست هى التى

اختارها الله لها ، واصطبغت بصبغات شتى ليست صبغة الله واحدة منها ، والله يريد أن تصطبغ بصبغته وحدها .

وحُولت القبلة ليتربى الصف المسلم على اتباع الرسول ، ويعلم الله من ينقلب على عقبيه ، فالعقيدة الإسلامية لا تطيق لها فى القلب شريكاً ؛ ولا تقبل شعاراً غير شعارها المفرد الصريح ، إنها لا تقبل راسباً من رواسب الجاهلية فى أى صورة من الصور جل أم صغر ، والله يعلم كل ما يكون قبل أن يكون ، ولكنه يريد أن يظهر المكنون من الناس حتى يحاسبهم عليه ، ويأخذهم به ، فهو لرحمته بهم ـ لا يحاسبهم على ما يعلمه من أمرهم،بل على ما يصدر عنهم ويقع بالفعل منهم.

ثم يطمئّن المسلمين على إيمانهم وعلى صلاتهم ، فالله لا يعنت العباد ، ولا يشق عليهم فى تكليف يجاوز طاقتهم التى يضاعفها الإيمان ويقويها ، إنه يعرف طاقتهم المحدودة ، فلا يكلفهم فوق طاقتهم ؛ وإنه يهدى المؤمنين ، ويمدهم بالعون من عنده لاجتياز الامتحان ، حين تصدق منهم النية ، وتصح العزيمة ، وإذا كان البلاء مظهرًا لحكمته ، فاجتياز البلاء فضل رحمته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

وبعد أن استجاب الله لنبيه ﷺ وولاّه القبلة التى يرضاها ، وجعلها قبلة واحدة تتجه إليها الأمة جميعاً ، أينما كانت بكل ألوانها وألسنتها وأجناسها يقرر أن اليهود لن يقتنعوا بدليل ؛ لأن الذى ينقصهم ليس الدليل ، إنما هو الإخلاص والتجرد من الهوى ، والاستعداد للتسليم بالحق الذى يعلمونه ، وفى مواجهة هذا الإصرار من أهل الكتاب على الإعراض عن قبلة الإسلام ومنهجه يؤكد للنبى ﷺ حقيقة هامة وهى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ﴾ ، وهم كذلك لن يتبع بعضهم قبلة بعض ، فهم ليسوا على وفاق ؛ لأن الأهواء تفرقهم ، ويأمر الله عز وجل نبيه بالاستقامة على الطريق المستقيم ، وعدم اتباع أهوائهم بعد ما جاءه من العلم وإلا صار من الظالمين ؛ لأن الطريق واضح ، إما العلم الذى جاء من عند الله ، وإما الهوى فى كل ما عداه . وليس لله ولأمته إلا أن يتلقوا عن الله .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ـ جواز النسخ فى القرآن ، فهذا نسخ بدل من الصلاة إلى بيت المقدس إلى الصلاة إلى الكعبة فى مكة المكرمة .

٢ـ الأراجيف وافتعال الأزمات وتهويل الأمور شأن الكفار إزاء المسلمين طوال الحياة فعلى المؤمنين أن يثبتوا ؛ حتى يظهر الحق ويكتشف الزيف ، وتنتهى الفتنة .

٣ـ الابتلاء خط أصيل فى الدعوات للتمحيص ، وبيان الكاذبين من الصادقين .

٤ ـ صحة صلاة من صلى إلى غير القبلة وهو لا يعلم ذلك وله أجرها ، وليس عليه إعادتها .

٥ ـ وجوب استقبال القبلة فى الصلاة وفى أى مكان كان فعلى المصلى أن يتجه جهة مكة .

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ
فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ
أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾



## معانى الكلمات :

**يعرفونه** : الضمير عائد إلى رسول الله ﷺ أى يعلمون أنه نبى الله ورسوله لما فى كتبهم من صفاته الواضحة القطعية .

**الممترين**:الشاكين والامتراء : الشك وعدم التصديق.

**الخيرات**:البر والطاعة لله ورسوله. **الحجة**: الدليل القوى الذى يظهر به صاحبه على من يخاصمه. **يزكيكم**: يطهركم من الشرك والمعاصى . **الكتاب والحكمة** : القرآن والسُنن والفقه فى الدين . **الشكر** : إظهار النعمة بصرفها فيما من أجله وهبها الله تعالى لعباده . **الكفر** : جحد النعمة وإخفاؤها وصرفها فى غير ما يحب الله تعالى .

## الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على إصرار أهل الكتاب فى الإعراض عن الحق .

٢ ـ أن نعلم حجج أهل الكتاب وغيرهم ، وأن نقف على بطلانها .

٣ ـ أن نتعلم قيمة الصبر والصلاة على أداء تكاليف الدور العظيم المنوط بالأمة .

## المحتوى التربوى :

وإن كثيرًا من طيبى القلوب ليظنون أن الذى يصد اليهود والنصارى عن الإسلام أنهم لا يعرفونه ، أو لأنه لم يقدم إليهم فى صورة مقنعة ، وهذا وهم ؛ إنهم لا يريدون الإسلام لأنهم يعرفونه ، فهم يخشونه على مصالحهم وسلطانهم ، ومن ثم يكيدون له ذلك الكيد الناصب الذى لا يفتر ، بشتى الطرق ، وشتى الوسائل ، عن طريق مباشر ، وعن طرق أخرى غير مباشرة ، يحاربونه وجهاً لوجه، ويحاربونه من وراء ستار .

لذا يحذر الله النبى ﷺ أن يمترى فى هذا الحق أو يتأثر بأباطيل اليهود وأحابيلهم ، ومن يأتى بعدهم ممن تؤثر فيهم أباطيل اليهود وغير اليهود فى أمر دينهم .

**يقول الألوسى** : وليس المراد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك ، لأن النهى عن شىء يقتضى وقوعه أو ترقبه من المنهى عنه ، وذلك غير متوقع من ساحة حضرة النبى ﷺ . بل المراد إما تحقيق الأمر ، وأنه بحيث لا يشك فيه أحد كائنا من كان ، أو الأمر للأمة بتحصيل المعارف المزيلة لما نهى عنه ، فيجعل النهى مجازًا عن ذلك الأمر.

**ويقول صاحب الظلال** : وما أجدرنا نحن اليوم أن نستمع إلى هذا التحذير ، ونحن فى بلاهة منقطعة النظير ، نروح نستفتى المستشرقين ـ من اليهود والنصارى والشيوعيين الكفار ـ فى أمر ديننا ، ونتلقى عنهم تاريخنا ، ونأمنهم على القول فى تراثنا ، ونسمع لما يدسونه من شكوك فى دراساتهم لقرآننا وحديث نبينا ، وسيرة أوائلنا ، ونرسل إليهم بعثات من طلابنا يتعلمون عنهم علوم الإسلام ، ويتخرجون فى جامعاتهم ، ثم يعودون إلينا مدخولى العقل والضمير ، إن هذا القرآن قرآننا قرآن الأمة المسلمة ، وهو كتابها الخالد الذى يخاطبها فيه ربها بما تعمله وما تحذره ، وأهل الكتاب هم أهل الكتاب ؛ والكفار هم الكفار ، والدين هو الدين .

ونعود إلى السياق فنرى أن الله عز وجل يصرف المسلمين عن الاستماع لأهل الكتاب والانشغال بتوجيهاتهم ، ويوحى إليهم بالاستقامة على طريقهم الخاص ، ووجهتهم الخاصة، فلكل فريق وجهته ، وليستبق المسلمون إلى الخير لا يشغلهم عنه شاغل ، ومصيرهم جميعاً إلى الله القادر على جمعهم ، وعلى مجازاتهم فى نهاية المطاف ، ويؤكد الأمر بالاتجاه إلى القبلة الجديدة المختارة ، والتحذير الخفى من الميل عن هذا الحق .

ويبطل الله حجة أهل الكتاب مرة أخرى ، وحجة غيرهم ممن كانوا يريدون المسلمين يتوجهون إلى قبلة اليهود ، فيميلون إلى الاقتناع بما يذيعه اليهود من فضل دينهم على دين الإسلام ، وأصالة قبلتهم ومن ثم منهجهم ، أو من مشركى العرب الذين كانوا يجدون فى هذا التوجيه وسيلة لصد العرب الذين يقدسون مسجدهم ، وتنفيرهم من الإسلام الذى يتجه أهله شطر قبلة بنى إسرائيل !

ويأمر الله النبى ﷺ أن يولى وجهه شطر المسجد من حيث خرج ، وإلى المسلمين أن يولوا وجوههم شطره حيثما كانوا ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ ويهون من شأن اليهود والنصارى والمشركين ، ويحذر من بأسه عز وجل ، فلا سلطان للظالمين على المؤمنين ولا يملكون شيئاً من أمرهم ، فينبغى ألا يحفلوا بهم ولا يخشوهم ، فالله سبحانه وتعالى هو الذى يستحق الخشية بما يملك من أمر الدنيا والآخرة ، ويتم الله نعمته على عبادة المؤمنين بإخراجهم من ارتكاسة الجاهلية إلى نور الإيمان ، ومن التشرذم والضعف إلى الوحدة تحت راية كلها العقيدة ، وإلى الغايات الرفيعة ، والاهتمامات الكبيرة التى تتعلق بشأن البشرية كلها لا بشأن ثأر فى قبيلة ، فنعمة الله ماثلة أمامهم فى كل وقت وحين.

وبعد إتمام المنة والنعمة بإرسال الرسول ﷺ ، واصطفاؤهم بالرسالة ، وتعليم الرسول إياهم وتزكيتهم من لوثة الجاهلية ودنس الشرك ، والارتقاء والسمو بنظرتهم للأمور ، أرسل لهم رسولًا يعلمهم الحكمة التى هى ثمرة القرآن ، وهى ملكة وضع الأمور فى مواضعها الصحيحة ، ووزن الأمور بموازينها الصحيحة ، وفى آخر الدرس يتفضل عليهم تفضلا آخر ، وهو يدعوهم إلى شكره ، ويحذرهم من كفره ، يتفضل عليهم ، فيضمن لهم أن يذكرهم إذا هم ذكروه .

**يقول صاحب الظلال** معلقاً : « يا للتفضل الجليل الودود ! الله جل جلاله يجعل ذكره لهؤلاء العبيد مكافئا لذكرهم له فى عالمهم الصغير من أرضهم الصغيرة ، إن العبيد حين يذكرون ربهم يذكرونه فى هذه الأرض الصغيرة ، وهم أصغر من أرضهم الصغيرة ، والله حين يذكرهم فى هذا الكون وهوالله العلى الكبير .. أى تفضل ! وأى كرم ! وأى فيض فى السماحة والجود ! » .

**ويقول فى تفسير الشكر** : والشكر لله درجات ، تبدأ بالاعتراف بفضله والحياء من معصيته ، وتنتهى بالتجرد لشكره والقصد إلى هذا الشكر فى كل حركة بدن ، وفى كل لفظة لسان وفى كل خفقة قلب ، وفى كل خطرة جنان .

وبعد كل هذه التكاليف ، وضخامة العبء الملقى على كاهل الأمة الوسط ، وضخامة الجهد الذى تقتضيه الاستقامة على الطريق بين شتى النوازع والدوافع ، لا بد من الصبر فى هذا كله ، لابد من الصبر على الطاعات ، والصبر عن المعاصى ، والصبر على جهاد المشاقين لله ، والصبر على الكيد بشتى صنوفه ، والصبر على بطء النصر ، والصبر على بعد الشقة ، والصبر على انتفاش الباطل ، والصبر على قلة الناصر ، والصبر على طول الطريق الشائك ، والصبر على التواء النفوس ، وضلال القلوب ، وثقلة العناد ، ومضاضة الإعراض .

وحين يطول الأمد ، ويشق الجهد ، قد يضعف الصبر أو ينفد ، إذا لم يكن هناك زاد أو مدد ، ومن ثم يقرن الصلاة إلى الصبر ، فهى المعين الذى لا ينضب ، والزاد الذى لا ينفد ، المعين الذى يجدد الطاقة ، والزاد الذى يزود القلوب ، فيمتد حبل الصبر ولا ينقطع ، ثم يضيف إلى الصبر الرضا والبشاشة ، والطمأنينة ، والثقة واليقين .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ الإعراض عن جدل المعاندين ، والإقبال على الطاعات ، تنافسًا فيها وتسابقًا إليها إذ هو أنفع وأجدى من الجدل والخصومات مع من لا يُرجى رجوعه إلى الحق .

٢ ـ وجوب خشية الله ، والحذر من بأسه ، فلا سلطان على البشر إلا الله .

٣ ـ حق النعمة الشكر ، ومن طلب المزيد شكر المنعم عز وجل على ما أنعم به .

٤ ـ الاستعانة بالصبر والصلاة ضرورة دعوية وإيمانية ، وفى الحديث كان النبى ﷺ : إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن
لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ
﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ
فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ
بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ
عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ
﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ
﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾
٢٤

**معانى الكلمات :**

**ولنبلونكم** : لنختبرنكم ونحن أعلم بأموركم . **مصيبة** : ما يصيب العبد من ضرر فى نفسه أو أهله أو ماله .

**صلوات من ربهم**:ثناء أو مغفرة منه تعالى.

**شعائر الله**: معالم دينه ، جمع شعيرة والمقصود شعائره فى الحج والعمرة .

**الحج** : قصد وزيارة بيت الله تعالى لأداء عبادات معينة تُسمى نسكاً.

**العمرة** : زيارة بيت الله تعالى للطواف به والسعى بين الصفا والمروة والتحلل بحلق شعر الرأس أو تقصيره . **الجناح** : الإثم ، وما يترتب على المخالفة بترك الواجب أو بفعل المنهى عنه . **يطوَّف** : يسعى بينهما ذاهبًا جائيًا . **يلعنهم الله** : يطردُهم من رحمته . **يُنظَرُون** : يؤخرون عن العذاب لحظة .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على منزلة الشهداء عند الله تبارك وتعالى .

٢ ـ أن نعلم أن الابتلاء سنة من سنن الله الكونية ، يفوز فيه الصابر بأعظم نتيجة .

٣ ـ أن نعلم جزاء من كتم العلم النافع لسوء النية وخبث الطوية .

**المحتوى التربوى :**

فى هذه الآيات يأخذ القرآن اتجاهاً تربوياً فى تعبئة الصف المسلم تعبئة روحية لأنه مقُبل على جهاد شاق لإقرار منهج الله فى الأرض ، ويقوم تصوره لما يجرى فى أثناء هذا الجهاد من جذب ودفع ، وتضحيات وآلام ، فيقول الله عز وجل إن هناك قتلى سيخرون شهداء فى معركة الحق ، شهداء فى سبيل الله قتلى كراماً أذكياء ، ليسوا أمواتاً . إنهم أحياء فى الحس والشعور ولا يجوز أن يقال عنهم أموات باللسان ، إنهم أحياء بشهادة الله تعالى سبحانه .

ويمضى السياق فى التعبئة لمواجهة الأحداث ، وفى تقويم التصور لحقيقة الأحداث ، فيخبر المؤمنين بأنه لابد من تربية النفوس بالبلاء ، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد ، والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات .

obeikandi.com

**يقول صاحب الظلال** : « لابد من هذا البلاء ليؤدى المؤمنون تكاليف العقيدة ، كى تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا فى سبيلها من تكاليف ، والعقائد الرخيصة التى لا يؤدى أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلى عنها عند الصدمة الأولى .

فالتكاليف هنا هى الثمن النفسى الذى تعز به العقيدة فى نفوس أهلها قبل أن تعز فى نفوس الآخرين ، وكلما تألموا فى سبيلها ، وكلما بذلوا من أجلها كانت أعز عليهم وكانوا أضنّ بها .

كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها .

ولابد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى ، فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة ، وتفتح فى القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن فى نفسه إلا تحت مطارق الشدائد . والقيم والموازين والتصورات ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا فى جو المحنة التى تزيل الغبش عن العيون والران عن القلوب .

وأهم من هذا كله ، الالتجاء إلى الله وحده ، حين تهتز الأسناد كلها ، وتتوارى الأوهام وهى شتى ، ويخلو القلب إلى الله وحده ، لا يجد سنداً إلا سنده ، وفى هذه اللحظة فقط تنجلى الغشاوات ، وتتفتح البصيرة ، وينجلى الأفق على مد البصر ، لا شىء إلا الله ، لا قوة إلا قوته ، لا حول إلا حوله ، لا إرادة إلا إرادته ، لا ملجأ إلا إليه ، وعندئذ تلتقى الروح بالحقيقة الواحدة التى يقوم عليها تصور صحيح .

هذه هى التربية التى أخذ الله بها الصف المسلم ؛ ليعده ذلك الإعداد العجيب ، وهذا هو المنهج الإلهى فى التربية لمن يريد استخلاصهم لنفسه ودعوته ودينه من بين البشر أجمعين » .

ويمضى السياق إلى مثال جديد من المنهج التربوى العميق ، وينتقل من تربية المشاعر إلى التربية بالشعائر ، فالصفا والمروة كانتا من شعائر الجاهلية وكان فوقهما صنمان هما إساف ونائلة : فكره المسلمون أن يطوفوا كما كانوا يطوفون فى الجاهلية ، وكان هذا التحرج ثمرة وضوح التصور الإيمانى فى نفوسهم ، هذا الوضوح الذى جعلهم يتحرزون من كل أمر كانوا يزاولونه فى الجاهلية.

وتنتقل الآيات من بيان مشروعية الطواف بالصفا والمروة إلى الحملة على الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ، فهم يسكتون عن الحق وهم يعرفونه ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، ومع ذلك يفتح القرآن لهم نافذة ـ مضيئة ألا وهى نافذة التوبة .

**يقول صاحب الظلال** : هؤلاء يفتح القرآن لهم نافذة التوبة يفتحها فتنسم نسمة الأمل فى الصدور، وتقود القلوب إلى مصدر النور، فلا تيأس من رحمة الله، ولا تقنط من عفوه ، فمن شاء فليرجع إلى الحمى الآمن صادق النية . وآية صدقه التوبة وإصلاح العمل ، والتبيين فى القول ، وإعلان الحق والاعتراف به والعمل بمقتضاه ثم ليثق برحمة الله وقبوله للتوبة .

**يقول صاحب الأساس** : دلت هذه الآية على أن الداعية إلى كفر أو بدعة إذا تاب إلى الله تاب الله عليه ، ويلاحظ أن التوبة من الكتمان يشترط لها : الإصلاح والبيان .

فمن كان يعرف الحق فى قضية ما ، فإن عليه أن يتوب ويصلح ويبين ، وعندئذ تقبل توبته ، وإلا فإنه يستحق اللعن من الله والملائكة والناس أجمعين ، فما أصعب هذا وأشده إلا على من وفقه الله ؟!!

**وقال ابن كثير** : ( جاء فى هذه الآية أن كاتم العلم يلعنه الله والملائكة والناس أجمعون ، واللاعنون أيضًا ، وهم كل فصيح وأعجمى ، إما بلسان المقال أو الحال ، أو لو كان له عقل فى الدنيا يوم القيامة ) .

وأما الذين يصرون ولا يتوبون حتى تفلت الفرصة وتنتهى المهلة ، فأولئك ملاقون ما أوعد الله من قبل به ، ولم يذكر السياق لهم عذابًا آخر غير هذه اللعنة المطبقة بل عدها عذابًا لا يخفف عنهم ، ولا يؤجل موعده ولا يمهلون فيه ، وإنه لعذاب دونه كل عذاب ، عذاب المطاردة والنبذ والجفوة ، فلا يتلقاهم صدر فيه حنان ، ولا عين فيها قبول ، ولا لسان فيه تحية ، إنهم ملعونون مطرودون منبوذون من العباد ، ومن رب العباد ، فى الأرض ، وفى الملأ الأعلى على السواء ، وهذا هو العذاب الأليم المهين .

ويمضى السياق فى إقامة التصور الإيمانى على قاعدته الكبيرة ، قاعدة التوحيد ، فلم يكن هناك جدل حول الاعتقاد بوجود إله ـ تختلف التصورات حول ذاته ، وحول صفاته ، وحول علاقاته بالخلق ، ولكنها لا تنفى وجوده ـ ومن وحدانية الألوهية التى يؤكدها هذا التأكيد، يتوحد المعبود الذى يتجه إليه الخلق بالعبودية والطاعة ، وتتوحد الجهة التى يتلقى منها الخلق قواعد الأخلاق والسلوك ، ويتوحد المصدر الذى يتلقى منه الخلق أصول الشرائع والقوانين ، ويتوحد المنهج الذى يصرف حياة الخلق فى كل طريق ، ومن رحمة الله السابغة العميقة الدائمة تنبثق كل التشريعات والتكاليف فهو الرحمن الرحيم .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ وجوب السعى بين الصفا والمروة لكل من طاف البيت حاجًا أو معتمرًا .

٢ ـ حرمة كتمان العلم وفى الحديث الصحيح : « من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار » .

٣ ـ يشترط لتوبة من أفسد فى ظلمه وجهله إصلاح ما أفسد ببيان.

٤ ـ من كفر ومات على كفره من سائر الناس يُلقى فى جهنم بعد موته خالداً فى العذاب.

٥ ـ جواز لعن المجاهرين بالمعاصى كشارب الخمر والمرابى ، والمتشبهين من الرجال بالنساء، ومن النساء بالرجال .

openkanz.com

الجزء الثانى — سورة البقرة

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ
الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾
إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ
وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ
لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ
أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم
بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

٢٥

**معانى الكلمات :**

**بث فيها** : فرق ونشر فيها بالتَّوالُد .

**تصريف الرياح**: تقليبها فى مهابّها وأحوالها.

**أنداداً** : أمثالاً من الأوثان يعبدونها .

**التبرؤ** : التنصل من الشىء والتباعد منه لكرهه. **الذين اتُّبِعوا** : المعبودون والرؤساء المضلون . **تقطعت بهم الأسباب** : تفرقت الصلات التى كانت بينهم فى الدنيا من نسب وصداقة وعهود .

**كرَّةً** : عودة إلى الدنيا.

**حسرات** : ندامات شديدة .

**خطوات الشيطان** : طُرُقه وآثارُهُ وأعماله .

**يـأمُرُكُم بالسُّوء** : بالمعاصى والذنوب .

**والفحشاء** : ما عظم قُبحُهُ من الذنوب .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على الكون وأسراره فهو كتاب الله المنظور .

٢ ـ أن نتبين مواقف التبرؤ والتعادى والتخاصم بين التابعين والمتبوعين يوم القيامة .

٣ ـ أن نعلم أن الشيطان عدو للإنسان يجب الحذر من وسوسته .

**المحتوى التربوى :**

فى هذه الآيات دعوة للإنسان أن يرتاد هذا الكون كالذى يراه أول مرة مفتوح العين ، جياش المشاعر ، حى القلب ؛ ليشاهد بديع صنع الله فى الكون ؛ تلك السموات والأرض ، هذه الأبعاد الهائلة والأجرام الضخمة والآفاق المسحورة ، والعوالم المجهولة ، هذا التناسق فى مواقعها وجريانها فى ذلك الفضاء الهائل الذى يدير الرؤوس بحاجة إلى تأمل بالعقل وانفعال بها بالمشاعر.

**ويقول صاحب الظلال** : واختلاف الليل والنهار ، تعاقب النور والظلام ، توالى الإشراق والعتمة ، ذلك الفجر وذلك الغروب ، كم اهتزت المشاعر ، وكم وجفت لها قلوب ، وكم كانت أعجوبة الأعاجيب ، ثم فقد الإنسان وهلتها وروعتها مع التكرار ، إلا القلب المؤمن الذى تتجدد فى حسه هذه المشاهد ؛ ويظل أبدًا يذكر يد الله فيها ، فيتلقاها فى كل مرة بروعة الخلق الجديد .

وكل هذه الآيات البادية فى صفة الكون كتاب الله المشهود ، كفيلة بصنع الإيمان فى النفوس المتدبرة والعقول الواعية التى تتنسم روعة الإبداع الإلهى فى كل مشاهد الكون .

**يقول صاحب الظلال** : نعم لو ألقى الإنسان عن عقله بلادة الألفة والغفلة، فاستقبل مشاهد الكون بحس متجدد، ونظرة مستطلعة ، وقلب تّوره الإيمان . ولو سار فى هذا الكون كالرائد الذى يهبط إليه أول مرة تلفت عينه كل ومضة ، وتلفت سمعه كل نأمة ، وتلفت حسه كل حركة ، وتهز كيانه تلك الأعاجيب التى ما تنى تتوالى على الأبصار والقلوب والمشاعر.

إن هذا هو ما يصنعه الإيمان ، هذا التفتح ، هذا التقدير للجمال والتناسق والكمال ، إن الإيمان رؤية جديدة للكون ، وإدراك جديد للجمال ، وحياة على الأرض فى مهرجان من صنع الله ، آناء الليل وأطراف النهار .

ويمضى السياق متحدثاً عن حب المؤمنين لله فهم لا يحبون شيئاً حبهم لله ، لا أنفسهم ولا سواهم ، لا أشخاصاً ولا اعتبارات ولا شارات ولا قيما من قيم هذه الأرض التى يجرى وراءها الناس ، أشد حباً ، حباً مطلقاً من كل موازنة ، ومن كل قيد ، أشد حباً لله من كل حب يتجهون به إلى سواه .

**ويقول صاحب الظلال** : والتعبير بالحب تعبير جميل ، فوق أنه تعبيرٌ صادق ، فالصلة بين المؤمن الحق وبين الله هى صلة الحب .

ومع المشهد الرفيق الودود المفعم بالحب بين المؤمنين وربهم ، وتجاذبهم الروحى العاطفى الإيمانى نحو الله ، يأتى تصوير القرآن للأوامر والعلاقات والأسباب المقطعة والتبرؤ بين أصحاب الأهواء ، ومتبعى أصحاب البدع والمشركين ، ويبدى السياق الحنق والغيظ من التابعين المخدوعين فى القيادات الضالة ، وتمنوا لو يردون لهم هذا الصنيع ! لو يعودون إلى الأرض فيتبرؤوا من تبعيتهم لتلك القيادات العاجزة الضعيفة فى حقيقتها ، التى خدعتهم ثم تبرأت منهم أمام العذاب .

**ويقول صاحب الظلال** : إنه مشهد مؤثر : مشهد التبرؤ والتعادى والتخاصم بين التابعين والمتبوعين ، وهنا يجىء التعقيب الممض المؤلم : ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ .

والفرق واضح بين مآل الحب والاتباع فى الحالتين، فحب الله مقتضى من مقتضايات الإيمان، وأثر عن الشعور بالنعمة ، ودلالة إحساس القلب المتحرر من أمراضه كالحسد والكبر والنفاق ، ومن ثم كانت ذروة السير إلى الله محبة الله ، وطريق ذلك الإقبال عليه بالفرائض والنوافل : « وما تقرب إلىَّ عبدى بشىء أحب إلىَّ مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه » فإذا أحب الله المؤمن أعطاه ما يشعره بالمحبة :« فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى عليها ، ولئن سألنى لأعطينَّه ، ولئن استعاذنى لأعيذَّنه » وعندئذ يفيض القلب بالمحبة لله بما لا يعرفه إلا أهله، وفى المقابل

تتضح عاقبه الحب والاتباع والموالاة لغير الله ، واقتفاء أثر الشيطان ، وارتكاب أعظم الذنوب كما ورد فى الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال : قلت يا رسول الله : أى الذنب أعظم ؟ قال : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك » ، تكون العاقبة الأليمة من معاينة العذاب ، وتمام اليقين أن القوة كلها لله ، وكفرهم بأوثانهم وشركائهم وزعمائهم وآلهتهم ، وتبرؤهم من التابعين ، وأمانيهم الباطلة بعد الندم ـ ولات حين ندم ـ أن تتاح لهم فرصة ليتبرؤوا من المتبوعين .

وينتقل سياق الآيات بعد ذلك لدعوة الناس إلى التمتع بفيض النعم من الطيبات التى رزقهم إياها فى الحياة ، والبعد عن خبائثها ، والتحذيرمن اتباع الشيطان ، الذى يأمرهم بالخبائث ، والادعاء على الله فى التحليل والتحريم بغير إذن منه ولا تشريع ، كما فى صحيح مسلم من حديث عياض ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقول الله تعالى : إنّ كلّ مالٍ منحته عبادى فهو لهم حلال » وفيه : « وإنى خلقت عبادى حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرّمتْ عليهم ما أحللت لهم » .

ومما يدخل فى خطوات الشيطان ! كل معصية لله ، ومنها النذ ور والمعاصى كما قال بعض السلف فى سياق الآيات ، قال الشعبى : نذر رجلٌ أن ينحر ابنه ، فأفتاه مسروق بذبح كبش ، وقال : هذا من خطوات الشياطين ، روى عبدُ بن حميد عن ابن عباس قال : « ما كان من يمينٍ أو نذر فى غضب، فهو من خطوات الشيطان ، وكفّارته كفارة يمين !» نقله الإمام ابن كثير الدمشقى .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ الآيات الكونية فى السموات والأرض تثبت وجود الله تعالى رباً وإلها موصوفاً بكل كمال، منزهًا عن كل نقصان .

٢ ـ من الشرك الحب مع الله تعالى ، ومن التوحيد إخلاص الحب الشديد لله تعالى .

٣ ـ العقلية المؤمنة متبعة للهدى المنزل ، أما العقلية الكافرة فعقلية مقلدة ، العقلية المؤمنة تزن الرجال بالحق ، والعقلية الكافرة تزن ما تؤمن به الرجال ، ولو كانوا على غير علم وعقل وفهم .

٤ ـ يوم القيامة تنحل جميع الروابط من صداقة ونسب ، ولم تبق إلا رابطة الإيمان والأخوة فيه.

٥ ـ تبرؤ رؤساء الشرك والضلال ودعاة الشر والفساد ممن أطاعوهم فى الدنيا واتبعوهم على الظلم والفساد ، وليس بنافعهم ذلك شيئًا .

٦ ـ وجوب طلب الحلال والاقتصاد على العيش منه ، ولو كان ضيقًا قليلًا .

٧ ـ حرمة اتباع مسالك الشيطان وهى كل معتقد أو قول أو عمل نهى الله تعالى عنه .

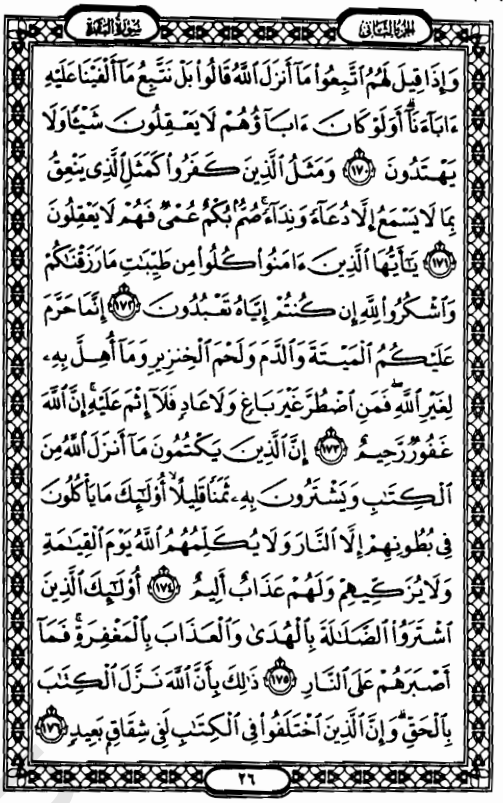
وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

**معانى الكلمات :**

**ألفينا** : وجدنا . **ينعق** : يُصَّوت ويصيح ، والاسم : النعيق . **الدعاء** : طلب القريب كدعاء المؤمن ربه يا رب . **النداء** : طلب البعيد كأذان الصلاة . **بُكمُ** : خُرس عن النطق بالحق . **صُم**:جمع أصم فاقد حاسة ، السمع فهو مُعرض عن الحق. **الدم** : المسفوح وهو السائل . **وما أُهِّل به لغير الله** : ما ذكر عند ذبحه اسمُ غيره تعالى . **اضُطرَّ**:ألجأته الضرورة إلى التناول مما حُرِّم **غيرُ باغ** : غيرُ طالب للمُحَرمَّ للَذَّة أو استئثار على مُضطرٌ آخر .

**ولا عاد** : ولا متجاوز ما يُسدُّ الرَّمق .

**ثمنا قليلاً** : عوضا يسيراً .

**شقاق بعيد**: خلاف ونزاع بعيد عن الحق.

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على تنديد القرآن بالتقليد والجمود والدعوة إلى إحقاق الحق .

٢ ـ أن نعلم موقف الدعاة من الكافرين وإعراض هؤلاء الكافرين عنهم .

٣ ـ أن نتعلم أخذ الحلال والحرام من الخالق الرازق ، وكيف نشكره على نعمه .

**المحتوى التربوى :**

فى هذه الآيات يندد الله بالذين يدعون من دونه ما لا يعقل ولا يسمع . ويحذرهم من التقليد فى شأن العقيدة بغير هدى من الله وقد أخبر تعالى عن حال المشركين ، إذا أمروا باتباع ما أنزل الله على رسوله رغبوا عن ذلك ، واكتفوا بتقليد الآباء ، وزهدوا فى الإيمان بالأنبياء ، ومع هذا فآباؤهم أجهل الناس وأشدهم ضلالا ، وهذه شبهة لرد الحق واهية ، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق ورغبتهم عنه ، وعدم إنصافهم ، فلو هدوا لرشدهم وحسن قصدهم ، لكان الحق هو القصد ، ولكن مثلهم عند دعاء الداعى لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التى ينعق لها راعيها ، وليس لهم علم بما يقول راعيها ومناديها ، فهم يسمعون مجرد الصوت الذى تقوم به عليهم الحجة ، ولكنهم لا يفقهونه فقها ينفعهم ، فلهذا كانوا صما لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول ، عميا لا ينظرون نظر اعتبار ، بكما فلا ينطقون بما فيه خير لهم .

**ويقول صاحب الظلال** : إن الله ينادى الذين آمنوا بالصفة التى تربطهم به سبحانه، وتوحى إليهم أن يتلقوا منه الشرائع ، وأن يأخذوا عنه الحلال والحرام ، ويذكرهم بما رزقهم فهو وحده الرازق، ويبيح لهم مما رزقهم، فيشعرهم أنه لم يمنع عنهم طيباً من الطيبات، وأنه إذا حرَّم عليهم شيئاً فلأنه غير طيب ، لا لأنه يريد أن يحرمهم ويضيق عليهم ـ وهو الذى أفاض عليهم الرزق ابتداء ـ ويوجههم للشكر إن كانوا يريدون أن يعبدوه وحده بلا شريك . فيوحى إليهم بأن الشكر عبادة وطاعة يرضاها الله من عباده .

وينتقل السياق بعد تبيان ما حرَّمهُ الله من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله ، مقدراً الضرورات ، ومبيحاً للمحظورات ، ومحلاً للمحرمات بقدر ما تنتفى هذه الضرورات ، بغير تجاوز لها ، ولا تعد لحدودها ، فأيما ضرورة ملجئة يخشى منها على الحياة ، فلصاحبها أن يتفادى هذا الحرج بتناول المحظور فى الحدود التى تدفع هذه الضرورة ولا زيادة ـ على أن هناك خلافاً فقهياً حول مواضع الضرورة ، وينتقل السياق بعد هذا كله للتنديد بكتمان ما أنزل الله من الكتاب ، **ويقول صاحب الظلال** : « كان المقصود به أولاً أهل الكتاب ، ولكن مدلول النص العام ينطبق على أهل كل ملة ، يكتمون الحق الذى يعلمونه ، ويشترون به ثمناً قليلاً » فأولئك الذين يشترون الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة يأكلون فى بطونهم ناراً ثمن هذا الكتمان والبهتان ، وتخسر الصفقة التى دفعوا فيها الهدى وقبضوا الضلالة ، فهؤلاء يحرمون المغفرة ، ويأخذون العذاب ، فيا لسوء ما ابتاعوا وما اختاروا ! وإنها لحقيقة . فقد كان الهدى مبذولاً لهم فتركوه وأخذوا الضلالة ، وكانت المغفرة متاحة لهم فتركوها واختاروا العذاب .

وإنه لجزاء مكافئ لشناعة الجريمة . جريمة كتمان الكتاب الذى أنزله الله ليُعلن للناس ؛ وليحقق فى واقع الأرض ، وليكون شريعة ومنهاجًا ، فمن كتمه فقد عطله عن العمل ، وهو الحق الذى جاء للعمل به ، فمن فاء إليه فهو على الهدى ، وهو فى وفاق مع الحق ، وفى وفاق مع المهتدين من الخلق ، وفى وفاق مع فطرة الكون وناموسه الأصيل .

وفى هذا القرآن هدى لكل جوانب الحياة الإنسانية ، فى السياسة بفروعها جميعاً من الولاء إلى التجمع ، إلى مواضيع الأمة والقوم والإنسانية ، إلى قضايا الشورى ، إلى قضايا الرئاسة المتمثلة بالخلافة إلى غير ذلك ، وفى الاقتصاد من التملك إلى غيره وفى السلم والحرب ، من الجهاد إلى الإعداد ، وفى الاجتماع من قضايا الأسرة إلى غيرها وفى الأخلاق والتعليم وغير ذلك ، وقد دأب الكثير على المخاتلة وعدم البيان مراعاة للسلطان وغيره ، رغبة فى الجاه أو رهبة من موقف الحق، وكل ذلك داخل فى الوعيد إلا إذا كان للإنسان رخصة شرعية فذلك مستثنى ، وللخروج من الكتمان لابد من إشاعة حلقات العلم والفقه والتلاوة والتفسير وغيرها .

وقد يبدو لنا فى الظاهر أن إعلان الحق فيه خسارة فى الدنيا ، ولكن هذه الخسارة الظاهرة ربح فى الدنيا والآخرة، فعاقبة إظهار الحق فى الدنيا ، وإن أتت على الدنيا كلها فلم تبق منها

حجراً فوق حجر فالدنيا قليل ، ولكن من يصبر على النار يوم القيامة ، والله عز وجل أججج فى بطون الذين يكتمون الحق يوم القيامة نارًا يتعجب من رآهم فيها من صبرهم على ذلك مع شدة ما هم فيه من العذاب والنكال والأغلال ،عياذًا بالله من ذلك ، فأى خسارة أفدح : إظهار الحق أم كتمانه !

**ويقول صاحب الأساس** : عندما نظهر الحق قد نخسر فى الظاهر قليلًا ، والدنيا كلها قليل ، ولكن هذه الخسارة الظاهرة ربح فى الدنيا والآخرة ، فهؤلاء اليهود فى عصر النبوة أول من تنطبق عليهم الآيات وأول من انطبقت عليهم ، كتموا صفة محمد ﷺ فى كتبهم التى بأيديهم مما تشهد له بالرسالة والنبوة ، فكتموا ذلك لئلا تذهب رياستهم وما كانوا يأخذونه من الهدايا والتحف على تعظيمهم آباءهم فخشوا ـ لعنهم الله ـ إن أظهروا ذلك أن يتَّبعه الناس ويتركوهم ، فكتموا ذلك إبقاءً على ما يحصل لهم من ذلك وهو نزر يسير ، فباعوا أنفسهم بذلك النزر اليسير، فخابوا وخسروا فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا : فإن الله أظهر لعباده صدق رسوله بما نصبه، وجعل معه من الآيات الظاهرات والدلائل القاطعات ، فصدقه الذين كانوا يخافون عليهم أن يتبعوه ، وصاروا عوناً له على قتالهم وباؤوا بغضب على غضب ، وفى الآخرة رأينا ما هو عذابهم بما خالفوا هذا الرسول الخاتم وكذبوه ، وجحدوا وكتموا صفته .

ويكون الختام الطبيعى بعد هذا الضلال والاختلاف فى الكتاب ، وكتمان الحق ، وما أنزل الله من الكتاب ، أن يكونوا فى شقاق بعيد ، يقول صاحب الظلال : « شقاق مع الحق ، وشقاق مع ناموس الفطرة ، وشقاق فيما بينهم وبين أنفسهم ، ولقد كانوا كذلك ، وما يزالون ، وتلحق بهم كل أمة تختلف فى كتابها . فلا تأخذ به جملة ، وتمزقه تفاريق ، وعد الله الذى يتحقق على مدار الزمان واختلاف الأقوام ، ونحن نرى مصداقه واقعاً فى هذا العالم الذى نعيش فيه » .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ الندب إلى أكل الطيبات من رزق الله تعالى فى غير إسراف .

٢ ـ وجوب شكر الله تعالى بالاعتراف بالنعمة له ، وحمده عليها ، وعدم صرفها فى معاصيه .

٣ ـ حرمة أكل الميتة ، والدم المسفوح ، ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله تعالى .

٤ ـ حرمة كتمان الحق ، لا سيما إذا كان للحصول على منافع دنيوية مالًا أو رياسة .

٥ ـ تحذير العلماء من سلوك مسلك علماء أهل الكتاب بكتمانهم الحق وإفتاء الناس بالباطل للحصول على منافع مادية أو رياسة .

٦ ـ التحذير من الاختلاف فى القرآن الكريم ؛ لما يفضى إليه من العداء والشقاق البعيد بين المسلمين .

**معانى الكلمات :**

**البر** : التوسع فى الطاعات وأعمال الخير .

**البأساء والضراء** : ما يصيب الناس فى الأنفس كالمرض .

**حين البأس** : وقت القتال فى سبيل الله .

**بالمعروف** : بالعدل . **قبل**: تجاه.

**عُفى له** : ترك له .

**إثمه** : ذنب هذا التبديل .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم قيمة الإيمان فى حياة البشرية .

٢ ـ أن نعلم تكاليف النفس والمال فى مجال البر .

٣ ـ أن نتعرف على جانب من التنظيمات الاجتماعية للمجتمع المسلم .

**المحتوى التربوى :**

لما أمر الله المؤمنين أولا بالتوجه إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة ، كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب فى هذا الأمر ، فأنزل الله تعالى بيان حكمته فى ذلك ، وهو : أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره والتوجه حيثما وجه ، واتباع ما شرع ، فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل ، وليس فى لزوم التوجه إلى جهة من المشرق والمغرب بر ولا طاعة ، إن لم يكن عن أمر الله وشرعه .

**ولكن البر** : اسم لكل فعل مرضىّ ، ولا بر إلا بما ذكر الله عز وجل فى هذه الآية : من الإيمان بالله ؛ بوجوده ، وصفاته ، وأسمائه ، وتوحيده ، وربوبيته ، وألوهيته ، واليوم الآخر الذى هو يوم البعث ، وجنس الملائكة ، وجنس كتب الله أو القرآن ، والنبيين جميعًا بلا استثناء ، وهذا أول البر وأساسه ، وبدونه لا يكون براً ؛ إذ من لم يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فإن البر لا يصدر منه ، وإذا صدر فإنه لا يكون دائماً ، ويكون معلولا بعلة ينتهى البر بانتهائها .

والبر : أن يخرج المال وهو محب له راغب فيه إلى الأقرباء ، واليتامى الذين لا كسب لهم ، وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب ، والمساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم فى قوتهم وكسوتهم وسكناهم ، فيعطون ما تسد به حاجاتهم وخلتهم ، وإنما سمى مسكينا ؛ لأنه دائم السكون إلى الناس ؛ لأنه لا شىء له، وابن السبيل ، وهو المسافر المجتاز الذى قد فرغت نفقته ، والسائلين الذين يتعرضون للطلب ، فيعطون من الزكوات والصدقات أو هم المستطيعون ، والمكاتبون الذين يعانون حتى يفكوا رقابهم ، أو هم الأسارى الذين يعانون لفك رقابهم أو الرقيق مطلقاً يعتق ويحرر .

**يقول صاحب الظلال** : « وما قيمة إيتاء المال ـ على حبه والاعتزاز به ـ لذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ؟

إن قيمته هى الانعتاق من ربقة الحرص والشح والضعف والأثرة ، انعتاق الروح من حب المال الذى يقبض الأيدى على الإنفاق ، ويقبض النفوس عن الأريحية ، ويقبض الأرواح عن الانطلاق ، فهى قيمة روحية يشير إليها ذلك النص على حب المال ، وقيمة شعور به أن يبسط الإنسان يده وروحه فيما يحب من مال، لا فى الرخيص منه ولا الخبيث، فيتحرر من عبودية المال، هذه العبودية التى تستذل النفوس ، وتنكس الرؤوس ، ويتحرر من الحرص، والحرص يذل أعناق الرجال ، وهى قيمة إنسانية كبرى فى حساب الإسلام الذى يحاول دائماً تحرير الإنسان من وساوس نفسه وحرصها وضعفها قبل أن يحاول تحريره من الخارج فى محيط الجماعة وارتباطاتها ، يقينا منه بأن عبيد أنفسهم هم عبيد الناس ، وأن أحرار النفوس من الشهوات هم أحرار الرؤوس فى المجتمعات ، ثم إنها بعد ذلك كله قيمة إنسانية فى محيط الجماعة » .

والبر : أن يقيم الصلاة المكتوبة فيتم أفعالها فى أوقاتها بركوعها وسجودها وطمأنينتها، وخشوعها على الوجه الشرعى المرضى ، ويؤتى الزكاة المفروضة ، والذى يوفى بالعهد إذا عاهد الله أو الناس ، فهو لا ينكث مع الله أو مع الناس ، وأن يصبر فى حال الفقر والشدة ، وفى حال المرض والأسقام والزمان ، وفى حال القتال والتقاء الأعداء .

وهؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا فى إيمانهم ؛ لأنهم حققوا الإيمان القلبى بالأقوال والأفعال ، فهؤلاء الذين صدقوا ، وهم المتقون ؛ لأنهم حققوا التقوى حالا وعملا وسلوكا ، فاتقوا المحارم ، وفعلوا الطاعات ، وهكذا تجمع آية واحدة بين أصول الاعتقاد، وتكاليف النفس والمال ، وتجعلها كلا لا يتجزأ ، ووحدة لا تنفصم ، وتضع على هذا كله عنوانا واحدا هو البر .

ويتضمن السياق جانباً من التنظيمات الاجتماعية للمجتمع المسلم ، فيأتى النداء للذين آمنوا بهذه الصفة التى تقتضى التلقى من الله ، فيقول تعالى : فرض عليكم العدل فى القصاص ، حركم بحركم ، وعبدكم بعبدكم ، وأنثاكم بأنثاكم ، وفى شرع القصاص لكم ـ وهو قتل القاتل ـ حكمة عظيمة ، وهى بقاء المنهج وصونه ؛ لأنه إذا علم القاتل أنه يُقتل انكفّ عن صنيعه ، فكان فى ذلك حياة النفوس ، ولا يسقط القصاص فى القتل العمد إلا فى حالة العفو وقبول الدية ، فإذا حدث العفو فلا يحل للقاتل أن يماطل فى الدية ، ولا يحل لأهل القتيل أن يثأروا ، وهذا العفو وأخذ الدية تخفيف من الله ورحمة عليكم وبكم ، فمن قتل وثأر بعد أخذ الدية أو قبولها ، فله عذاب موجع شديد فى الآخرة .

ويكشف السياق عن حكمة القصاص العميقة ، فهو ليس انتقامًا ، إنما هو للحياة ، فلكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص ، حياة عظيمة وأى حياة ؟ وذلك مما يؤدى إليه ـ القصاص بالقتل ـ من الردع عن القتل ، فكم من رجل يريد أن يقتل فتمنعه مخافة أن يُقتل من القتل فكان فى شرع القصاص سبب حياة النفسين على الأقل ، فإذا أضفنا قضايا الثأر غير المعقول من قتل غير القاتل ثأراً كما هى عادتهم فى الجاهلية عرفنا كم فى القصاص من حياة يا أولى العقول والأفهام ، دل ذلك على أن غير أولى العقول الذين لا يرون القصاص ، وتالله إنهم لكذلك ، وما أكثرهم فى عصرنا ، وما أكثرهم فى بلادنا ، لعلكم تنزجرون وتتركون محارم الله ومآثمه ومنها القتل .

ثم يجىء تشريع الوصية عند الموت والمناسبة فى جوها وجو آيات القصاص حاضرة ، فيستحب لكم أن توصوا لمن لا يرث من الأقربين بشىء من أموالكم فى حدود الثلث ، أما الوارثون ، فإرثهم ضمن ما حدد الله فى سورة النساء واجب ، الوصية فى حدود ما تتقبله الأنفس ولا تجد منه تكرها واجبة على من يرجو لقاء الله ، ومن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقًا للشرع من الأوصياء والشهود بعد ما وصل إليه وتحقق لديه ، فما إثم التبديل إلا على مبدله ، والأجر كامل للموصى ، والله سميعٌ عليمٌ بكل شىء ، وهذا وعيد شديد أكيد للمبدلين.

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ بيان أن البر : إيمان ، وإنفاق مما يحب ، **وإقامة صلاة** ، وإيتاء زكاة ، ووفاء عهد ، وصبر على كل حال ، وفى كل حال .

٢ ـ الحرص يذل أعناق الرجال ، والفكاك منه يكون بالإنفاق فى سبيل الله تعالى .

٣ ـ القصاص يكون لولىّ الأمر، وليس أولياء القتيل؛ حتى لا يظلموا ولا يزيدوا عن حقهم، وتشريع القصاص فيه صلاح للمؤمنين وسعادة وأمن لهم وللمجتمع كله .

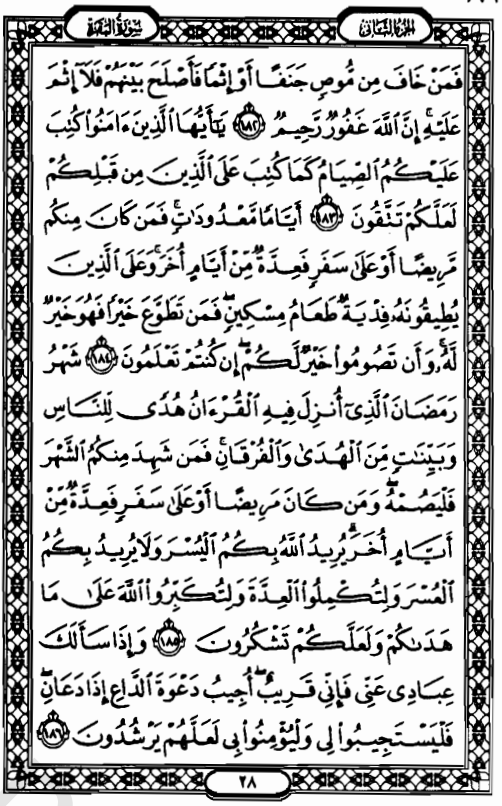
فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ
عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ
عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ
لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ
رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ
فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾
٢٨

**معانى الكلمات :**

**جنفاً أو إثماً** : الجنف : الميل عن الحق خطأً، والإثم تعمد الخروج عن الحق والعدل .

**كُتبَ** : فُرض أو أثبت .

**الصيام**:لغةً :الإمساك،والمراد هنا: الامتناع عن الأكل والشرب وغشيان النساء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

**يطيقونهُ**: يستطيعونه،والحكم منسوخ بآية: ﴿ فَمَن شَهِدَ ﴾ .

**تطوّع خيراً** : زاد فى الفدية.

**ولتكبروا الله** : لتحمدوا الله وتثنوا عليه .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم أن مراقبة الله فى كل حال هى الضمان للعدل والإنصاف .

٢ ـ أن نتعرف مهمة الصيام للفرد المسلم .

٣ ـ أن نعلم أن السهولة واليسر فى أخذ الحياة كلها هى القاعدة الكبرى فى تكاليف العقيدة كلها .

**المحتوى التربوى :**

يبرز السياقُ حالة واحدة يجوز فيها للوصىّ أن يبدل من وصية الموصى ، ذلك إذا عرف أن الموصى إنما يقصد بوصيته محاباة أحد ، أو النكاية بالوارث ، فعندئذ لا حرجَ على من يتولى تنفيذ الوصية أن يَعدل فيها بما يتلافى به ذلك الجنف وهو الحيفُ ، ويرد الأمر إلى العدل والنصف ، والأمر موكولٌ إلى مغفرة الله ورحمته لهذا ولذاك ، ومشدود إلى مراعاة الله فى كل حال ، فهى الضمانُ الأخيرُ للعدل والإنصاف ، والمراد بالوصية : وصية الله فى إيتاء ذوى الحقوق حقوقهم ، وعدم الغض منها ، والحذر من تبديلها ، لما يلحق المبدل من الوعيد الشديد .

ويأتى الحديثُ عن فرضِ الصومِ على الأمةِ التى فرضَ عليها الجهاد فى سبيل الله ؛ لتقرير منهجه فى الأرض وللقوامة به على البشرية ، فالصوم هو مجال تقرير الإرادة العازمة الجازمة ،

ومجال اتصال الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد ؛ كما أنه مجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها ، واحتمال ضعفها وثقلها ، إيثاراً لما عند الله من الرضا والمتاع .

**ويقول صاحب الظلال** : « وهذه كلها عناصر لازمة فى إعداد النفوس واحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك ، والذى تتناثر على جوانبه الرغائب والشهوات ؛ والذى تهتف بسالكيه آلاف المُغريات ، والتقوى هى الغاية المنشودة من الصوم ، والتقوى هى التى تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية ، ولو تلك التى تهجس فى البال ، والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ، ووزنها فى ميزانه ، فهى غاية تتطلع إليها أرواحهم ، وهذا الصوم أداة من أدواتها ، وطريق موصل إليها » .

ولما ذكر أنه فرض عليهم الصيام ، أخبر أنه أيام معدودات قليلة فى غاية السهولة ، ثم سهل تسهيلا آخر ، فمن كان مريضا أو مسافرا فله الفطر ، ولما كان لابد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن ، أمرهما أن يقضياه فى أيام أخر إذا زال المرض ، وانقضى السفر ، وحصلت الراحة ، وعلى الذين يطيقون الصيام فدية عن كل يوم يفطرونه طعام مسكين ، وهذا فى ابتداء فرض الصيام ، لما كانوا غير معتادين للصيام ، وكان فرضه حتما فيه مشقة عليهم ، درجهم الرب الحكيم بأسهل طريق ، وخير المطيق للصوم بين أن يصوم وهو أفضل أو يطعم ، ثم بعد ذلك جعل الصيام حتما على المطيق ، وغير المطيق يفطر ويقضيه فى أيام أخر .

ويحبب الله الصوم لعباده ، لخصوصية نزول القرآن فيه ، وعن هذه اللفتة التربوية **يقول صاحب الظلال** : « والقرآن هو كتاب هذه الأمة الخالد ، الذى أخرجها من الظلمات إلى النور ، فأنشأها هذه النشأة ، وبدلها من خوفها أمناً ، ومكن لها فى الأرض ، ووهبها مقوماتها التى صارت بها أمة ، ولم تكن من قبل شيئاً ، وهى بدون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان فى الأرض ولا ذكر فى السماء ، فلا أقل من شكر الله على نعمة هذا القرآن بالاستجابة إلى صوم الشهر الذى نزل فيه القرآن » .

وعلى حين فرض الله على هذه الأمة الصيام لم يردْ بها العسر ، وإنما أراد بها اليسر ، **ويقول صاحب الظلال** : « إن هذه هى القاعدة الكبرى فى تكاليف هذه العقيدة كلها ، فهى ميسرة لا عسر فيها ، وهى توحى للقلب الذى يتذوقها ، بالسهولة واليسر فى أخذ الحياة كلها ؛ وتطبع نفس المسلم بطابع خاص من السماحة التى لا تكليف فيها ولا تعقيد ، سماحة تؤدى معها كل التكاليف وكل الفرائض وكل نشاط الحياة الجادة ، وكأنما هى مسيل الماء الجارى ، ونمو الشجرة المتصاعدة فى طمأنينة وثقة ورضاء ، مع الشعور الدائم برحمة الله وإرادته اليسر لا العسر بعباده المؤمنين » .

والصوم على هذا نعمة تستحق التكبير والشكر : وهذا غاية من غايات الفريضة كما يقول صاحب الظلال : « أن يشعر الذين آمنوا بقيمة الهدى الذى يسره الله لهم ، وهم يجدون هذا فى أنفسهم فى فترة الصيام أكثر من كل فترة ، وهم مكفوفو القلوب عن التفكير فى المعصية ، ومكفوفو الجوارح عن إتيانها ، وهم شاعرون بالهدى ملموساً محسوساً،ليكبروا على هذه الهداية ، وليشكروه على هذه النعمة ، ولتفىء قلوبهم إليه بعد هذه الطاعة ، كما قال لهم فى مطلع الحديث عن الصيام : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، وهكذا تبدو منَّة الله فى هذا التكليف الذى يبدو شاقاً على الأبدان والنفوس وتتجلى الغاية التربوية منه ، والإعداد من ورائه للدور العظيم الذى أخرجت هذه الأمة لتؤديه ، أداء تحرسه التقوى ، ورقابة الله وحساسية الضمير » .

وبعد ذلك كله وقبل الحديث عن أحكام الصيام التفصيلية ، وحدود المتاع فيه وحدود الإمساك نجد لفتة عجيبة إلى أعماق النفس وخفايا السريرة ، نجد العوض الكامل الحبيب المرغوب عن مشقة الصوم ، والجزاء المُعجل على الاستجابة لله ، وهو استجابة الدعاء ، ليسكب فى النفس النداوة الحلوة ، والوُد المؤنس ، والرضا المطمئن ، والثقة واليقين ، والقربى الندية بالمناجاة ، والملاذ الأمين فى قرار مكين ، وفى ظل هذا الأنس الحبيب ، والقرب الودود ، يوجههم سبحانه إلى الاستجابة له ، والإيمان به ، لعل هذا أن يقودهم إلى الرشد والهداية والصلاح .

قال الإمام ابن القيم فى الجواب الكافى : « وكثيرًا ما نجد أدعية بها قوم فاستجيب لهم ، فيكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله ، أو حسنة تقدمت منه ، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكرًا لحسنته ، أو صادف الدعاء وقت إجابة، ونحو ذلك فأجيبت دعوته ، فيظن الظان أن السر فى لفظ ذلك الدعاء فيأخذه مجرداً عن تلك الأمور التى قارنته من ذلك الداعى ، وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا فى الوقت الذى ينبغى على الوجه الذى ينبغى فانتفع به ، فظن غيره أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف فى حصول المطلوب كان غالطا ، وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس ، ومن هذا قد يتفق دعاؤه باضطرار عند قبر فيجاب ، فيظن الجاهل أن السر للقبر ، ولم يعلم أن السر للاضطرار وصدق اللجأ إلى الله ، فإذا حصل ذلك فى بيت من بيوت الله كان أفضل وأحب » .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ أن الوصية واجبة للحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ عن ابن عمر : « ما حقَّ امرئ مسلم له شىء يُوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيَّته مكتوبة عنده ».

٢ ـ الحكمة من الصيام الوصول إلى التقوى ، فمن صام رمضان ثم لم يحصِّلها فقد فرَّط .

٣ ـ الدعاء مخ العبادة ، وما من عبد مؤمن يدعو الله بدعوة فتذهب حتى تُعجَّل له فى الدنيا ، أو تُؤَّخر له فى الآخرة إذا لم يعجل ، أو يقنط .

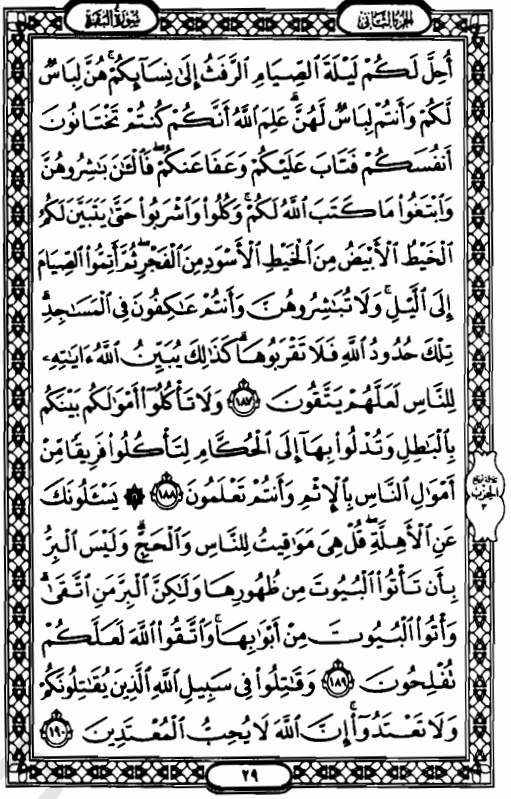
أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ
وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ
إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم
بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ
أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ
بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ
وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ
وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

**معانى الكلمات :**

**الرَّفثُ** : الوِقَاعُ . **هُنَّ لباسٌ لكم** : سَكنٌ أو ستر لكم عن الحرام . **تختانون أنفسكم** : بتعريضها للعقاب ، ونقصان حظها من الثواب بالجماع ليلة الصيام قبل أن يحل الله لكم ذلك . **باشروهن** : جامعوهن ، أباح لهم ذلك ليلاً. **عاكفون** : منقطعون إلى العبادة فى المسجد . **تدلوا بها** : تلقوا بالخصومة فيها ظُلماً وباطلاً . **الأهلة** : جمع هلال وهو القمر فى بداية ظهوره فى الشهور العربية . **المواقيت** : جمع ميقات وهو الوقت المحدد المعلوم للناس .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على حدود الله فى الصيام .

٢ ـ أن نعلم الغاية من إنزال الشرائع ووضع الحدود .

٣ ـ أن نتعلم السؤال عن مواقف الحياة حتى نعرف كيف نسلك الحياة وفق تصور الإسلام .

**المحتوى التربوى :**

تتناول الآيات بعض أحكام الصيام ، فتقرر للصائمين حل المباشرة للنساء فى ليلة الصوم ما بين المغرب إلى الفجر ، وحل الطعام والشراب كذلك ، كما يبين لهم مواعيد الصوم من الفجر إلى الغروب ، وحكم المباشرة فى فترة الاعتكاف فى المسجد ، والعلة فى ذلك أنه لما فرض الصوم كانت المباشرة والطعام والشراب تمتنع لو نام الصائم بعد إفطاره، فإذا صحا بعد نومه من الليل، ولو كان قبل الفجر لم تحل له المباشرة ولم يحل له الطعام والشراب ، وقد وقع أن بعضهم لم يجد طعاماً عند أهله وقت الإفطار ، فغلبه النوم ، ثم صحا فلم يحل له الطعام والشراب فواصل ، ثم جهد فى النهار التالى وبلغ أمره إلى النبى ﷺ . كما وقع أن بعضهم نام بعد الإفطار أو نامت امرأته، ثم وجد فى نفسه دفعة للمباشرة ففعل ، وبلغ أمره إلى النبى ﷺ وبدت المشقة فى أخذ المسلمين بهذا التكليف ، فردهم الله إلى اليسر وتجربتهم حاضرة فى نفوسهم ؛ ليحسوا بقيمة اليسر وبمدى الرحمة والاستجابة ، ونزلت الآيات تحل لهم المباشرة ما بين المغرب والفجر .

وهذا غاية للأكل والشرب والجماع ، ثم إذا طلع الفجر كان الإمساك عن المفطرات إلى غروب الشمس ، وهذه الإباحة ليست عامة لكل أحد ، فإن المعتكف لا يحل له ذلك ، ودلت الآية على مشروعية الاعتكاف ، وأنه لا يصح إلا فى مسجد ، والوطء من مفسدات الاعتكاف ، وهذه المحرمات هى حدود الله التى حدها لعباده ونهاهم عنها وعن الوسائل الموصلة إليها ، وقد بين الله لعباده الأحكام السابقة أتم تبيين لعلهم يعرفون كيف يهتدون ويطيعون.

وفى معرض الحديث عن الصوم ، والامتناع عن المأكل والمشرب ، يرد تحذير من نوع آخر من الأكل ، أكل أموال الناس بالباطل ، عن طريق التقاضى بشأنها أمام الحكام اعتماداً على المغالطة فى القرائن والأسانيد ، واللحن بالقول والحجة ، حيث يقضى الحاكم بما يظهر له ، وتكون الحقيقة غير مابدا له ، ويجىء هذا التحذير عقب ذكر حدود الله ، والدعوة إلى تقواه ؛ ليظللها جو الخوف الرادع عن حرمات الله .

**وقال ابن كثير** فى تفسير الآية : « قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : هذا فى الرجل يكون عليه مال ، وليس عليه فيه بينة ، فيجحد المال ، ويخاصم إلى الحكام ، وهو يعرف أن الحق عليه ، وهو يعلم أنه آثم آكل الحرام ، وكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبير ، وعكرمة وغيرهم ، أنهم قالوا:لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم ، وقد ورد فى الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال :« إنما أنا بشر، وإنما يأتينى الخصم فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من نار ، فليحملها أو ليذرها ».

فحكم الحاكم لا يحل حراماً ، ولا يحرم حلالاً ، إنما هو ملزم فى الظاهر ، وإثمه على المحتال فيه .

وينتقل السياق ليعطى بيانا عن الأهلة ، وهو موضوع ضمن سلسلة من التساؤلات تشى بعده دلالات منها : أنها دليل على تفتح وحيوية ونمو فى صور الحياة وعلاقاتها وبروز أوضاع جديدة فى المجتمع الذى جعل يأخذ شخصيته الخاصة ، ويتعلق به الأفراد تعلقًا وثيقًا ، فلم يعودوا أولئك الأفراد المبعثرين ، إنما عادوا أمة لها كيان ونظام ، وهى تشى ثانياً بيقظة الحس الدينى ، وتغلغل العقيدة الجديدة وسيطرتها على النفوس ، مما يجعل كل فرد يتحرج أن يأتى أمرًا فى حياته اليومية قبل أن يستوثق من رأى العقيدة الجديدة فيه ، فلم تعد لهم مقررات سابقة فى الحياة يرجعون إليها ، وقد انخلعت قلوبهم من كل مألوفاتها فى الجاهلية ، وفقدوا ثقتهم بها ؛ ووقفوا ينتظرون التعليمات الجديدة فى كل أمر من أمور الحياة .

**ويقول صاحب الظلال** معلقاً على رد القرآن على السؤال عن الأهلة بأنها مواقيت للحج: إنه يحمل عدة دلالات فى صياغة الإجابة على هذا النحو ، وهى أنها عملية ، فعدل عن الإجابة النظرية البحتة التى تفضل الدورة الفلكية للقمر ووظيفته فى المجموعة الشمسية أو فى توازن حركة الأجرام السماوية ، وهى داخلة فى مضمون السؤال ؛ وذلك لأن هذه الإجابات لم تكن تهيأت لها البشرية بعد ، ولا تفيدها كثيراً فى المهمة الأولى التى جاء القرآن من أجلها ، وليس

مجالها على أية حال هو القرآن ، إذ القرآن قد جاء لما هو أكبر من تلك المعلومات الجزئية ، فهذا الكتاب مجاله هو النفس الإنسانية والحياة الإنسانية ؛ وإن وظيفته أن ينشئ تصوراً عاماً للوجود وارتباطه بخالقه ، ولوضع الإنسان فى هذا الوجود وارتباطه بربه ، وأن يقيم على أساس هذا التصور نظامًا للحياة يسمح للإنسان أن يستخدم كل طاقاته ومن بينها طاقته العقلية ، التى تقوم هى بعد تنشئتها على استقامة ، وإطلاق المجال لها لتعمل ـ بالبحث العلمى ـ فى الحدود المتاحة للإنسان ـ وبالتجربة والتطبيق ، وتصل إليه من نتائج ، ليست نهائية ولا مطلقة بطبيعة الحال.

وينتقل السياق ليصحح التصور الإيمانى للبر ، فالبر هو التقوى ، هو الشعور بالله ورقابته فى السر والعلن ، وليس شكلية من الشكليات التى لا ترمز إلى شىء من حقيقة الإيمان ، ولا تعنى أكثر من عادة جاهلية وهى إتيان البيوت من ظهورها ، ويأمر المؤمنين بإتيان البيوت من أبوابها ويكرر الإشارة إلى التقوى ، بوصفها سبيل الفلاح وبهذا ربط القلوب بحقيقة إيمانية أصيلة هى التقوى وربط هذه الحقيقة برجاء الفلاح المطلق فى الدنيا والآخرة ؛ وأبطل العادة الجاهلية الفارغة من الرصيد الإيمانى ، ووجه المؤمنين إلى إدراك نعمة الله عليهم فى الأهلة التى جعلها الله مواقيت للناس والحج .

وفى أول آية من آيات القتال نجد التحديد الحاسم لهدف القتال ، والراية التى تخاض تحتها المعركة فى وضوح ، إنه القتال لله لا لأى هدف آخر ، القتال فى سبيل الله لا فى سبيل الأمجاد والاستعلاء فى الأرض ، القتال لإعلاء كلمة الله فى الأرض ، وإقرار منهجه فى الحياة ، وما عدا هذه فهى حربٌ غيرُ مشروعة فى حكم الإسلام ، ومع تحديد الهدف تحديد المدى فلا تعتدوا فى القتال ، بارتكاب ما نهيتم عنه فى القتال ، من المثلة وقتل النساء ، والصبيان والشيوخ الذين لا رأى لهم ولا قتال فيهم والرهبان وأصحاب الصوامع ، وتحريق الأشجار ، وقتل الحيوان لغير مصلحة ، والغلول ، فكل ذلك تجاوز لأمر الله فى القتال واعتداء ، والله لا يحب المعتدين الذين يتجاوزون حدوده .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ إباحة الأكل والشرب والجماع فى ليالى الصيام من غروب الشمس إلى طلوع الفجر .

٢ ـ مشروعية الاعتكاف وخاصة فى رمضان ، وأن المعتكف لا يحلُّ له مخالطة امرأته وهو معتكف حتى تنتهى مدة اعتكافه التى عزم أن يعتكفها .

٣ ـ استعمال الكناية بدل التصريح فيما يستحيى من ذكره ، حيث كنى بالمباشرة عن الوطء .

٤ ـ حرمة انتهاك حرمات الشرع وتعدى حدوده .

٥ ـ حرمة أكل مال المسلم بغيرحق سواء كان بسرقة أو بغصب أو غش،أو احتيال ومغالطة.

٦ ـ مال الكافر غير المحارب كمال المسلم فى الحرمة إلا أن مال المسلم أشد حرمة .

٧ ـ أن يسأل المرء عما ينفعه ويترك السؤال عما لا يعنيه .

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ
فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ
وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾
٣٠

**معانى الكلمات :**

**ولا تعتدوا** : لا تجاوزوا الحد فتقتلوا النساء والأطفال والشيوخ .

**ثقفتموهم** : وجدتموهم وأدركتموهم .

**والفتنة** : الشرك بالله وهم فى الحرم . **عند المسجد الحرام** : فى الحرم كله .

**والحُرماتُ** : ما تجب المحافظة عليه .

**التهلكة** : الهلاك بترك الجهاد والإنفاق فيه.

**أُحصرتم** : مُنعتم عن الإتمام بعد الإحرام.

**مما استيسر** : فعليكم ما تيسَّر وتسهَّل . **من الهدى** : مما يُهدى إلى البيت من الأنعام .

**ولا تحلقوا رؤوسكم** : لا تُحلُّوا من الإحرام بالحلق . **يبلغ الهَدىُ محِلَّهُ** : مكان وجوب ذبحه ( الحرم ) ، أو حيث أحصرتم ( حلا أو حراماً ) . **ففدية** : فعليه إذا حلق فدية . **نُسُكٍ** : ذبيحة ، والمراد هُنا شاةُ .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم أن الفتنة عن الدين اعتداء على أقدس ما فى الحياة الإنسانية .

٢ ـ أن نعرف حكمة التوجيهات القرآنية والنبوية الكثيرة الداعية إلى الإنفاق .

٣ ـ أن نتعرف على شعائر الحج والعمرة .

**المحتوى التربوى :**

وتبدأ الآيات بأمر المسلمين بقتال هؤلاء الذين قاتلوهم وما يزالون يقاتلونهم ، وبقتال من يقاتلهم فى أى وقت وفى أى مكان ، ولكن دون اعتداء .

**يقول صاحب الظلال** : إنه القتال لله ، لا لأى هدف آخر من الأهداف التى عرفتها البشرية فى حروبها الطويلة القتال فى سبيل الله ، لا فى سبيل الأمجاد والاستعلاء فى الأرض ، ولا فى سبيل المغانم والمكاسب ولا فى سبيل الأسواق ؛ ولا فى سبيل تسويد طبقة أو جنس على جنس ، إنما هو القتال لإعلاء كلمة الله فى الأرض ، وإقرار منهجه فى الحياة ، وحماية المؤمنين به أن يفتنوا عن دينهم، أو أن يجرفهم الضلال والفساد، وما عدا هذه فهى حرب غير مشروعة فى حكم الإسلام، وليس لمن يخوضها أجر عند الله ولا مقام .

وهذه الحرب التى يقودها الإسلام واضحة الأهداف ، محددة المدى ، مرعية الآداب ، فأمرهم بعدم الاعتداء ، وجعله سبباً من أسباب النصر .

وفى هذا **يقول صاحب الظلال** : وقد كان المسلمون يعلمون أنهم لا يُنصرون بعددهم ـ فعددهم قليل ـ ولا ينصرون بعدتهم وعتادهم ـ فما معهم منه أقل مما مع أعدائهم ، إنما ينصرون بإيمانهم وطاعتهم وعون الله لهم ، فإذا هم تخلوا عن توجيه الله لهم ، وتوجيه رسول الله ﷺ فقد تخلوا عن سبب النصر الوحيد الذى يرتكنون إليه ، ومن ثم كانت تلك الآداب مرعية حتى مع أعدائهم الذين فتنوهم ومثلوا ببعضهم أشنع التمثيل .

ثم يمعن السياق فى توكيد القتال لهؤلاء الذين قاتلوا المسلمين ، وفتنوهم فى دينهم ، وأخرجوهم من ديارهم ، والمضى فى القتال حتى يقتلوهم على أية حال ، وفى أى مكان وجدوهم باستثناء المسجد الحرام ، إلا أن يبدأ الكفار فيه بقتال ، وإلا أن يدخلوا فى دين الله ، فتكف أيدى المسلمين عنهم ، مهما كانوا قد آذوهم من قبل وقاتلوهم وفتنوهم.

**ويقول صاحب الظلال** : إن الفتنة عن الدين اعتداء على أقدس ما فى الحياة الإنسانية ، ومن ثم فهى أشد من القتل ، أشد من قتل النفس وإزهاق الروح ، وإعدام الحياة ، ويستوى أن تكون هذه الفتنة بالتهديد والأذى الفعلى ، أو بإقامة أوضاع فاسدة من شأنها أن تضل الناس وتفسدهم وتبعدهم عن منهج الله ، وتزين لهم الكفر أو الإعراض عنه .

وغاية القتال هى ضمانة ألا يفتن الناس عن دين الله ، وألا يصرفوا عنه بالقوة أو ما يشبهها كقوة الوضع الذى يعيشون فيه بوجه عام، وتسلط عليهم فيه المغريات والمضللات،والمفسدات، وذلك بأن يعز دين الله ويقوى جانبه ، ويهابه أعداؤه ، فلا يجرؤوا على التعرض للناس بالأذى والفتنة ، ولا يخشى أحد يريد الإيمان أن تصده عنه قوة ، أو أن تلحق به الأذى والفتنة ، والجماعة المسلمة مكلفة بأن تظل تقاتل حتى تقضى على هذه القوى المعتدية الظالمة ، وحتى تصبح الغلبة لدين الله والمنعة ، فإذا انتهى الظالمون عن ظلمهم ، وكفوا عن الحيلولة بين الناس وربهم ، فلا عدوان عليهم ـ أى لا مناجزة لهم ، لأن الجهاد إنما يوجه إلى الظلم والظالمين .

والجهاد كما يحتاج للرجال يحتاج للمال ، ولقد كان المجاهد المسلم يجهز نفسه بعدة القتال ، ومركب القتال ، وزاد القتال ، لم تكن هناك رواتب يتناولها القادة والجند ، إنما كان هناك تطوع بالنفس وتطوع بالمال ، وهذا ما تصنعه العقيدة حين تقوم عليها النظم ، إنها لاتحتاج حينئذ أن تنفق لتحمى نفسها من أهلها أو من أعدائها ، إنما يتقدم الجند ويتقدم القادة متطوعين ينفقون هم عليها !

والإمساك عن الإنفاق فى سبيل الله تهلكة للنفس بالشح ، وتهلكة للجماعة بالعجز والضعف والذلة ، وبخاصة فى نظام يقوم على التطوع ، كما كان يقوم الإسلام ، ويعقب هذا الإنفاق الإحسان فترتقى النفس فتفعل الطاعات كلها ، وتنتهى عن المعاصى كلها ، وتراقب الله فى

الصغيرة والكبيرة ، وفى السر والعلن على السواء ، وهذا التعقيب الذى ينهى آيات القتال والإنفاق ، فيكل النفس فى أمر الجهاد إلى الإحسان أعلى مراتب الإيمان .

وينتقل السياق إلى عرض موضوع المناسك والتسلسل واضح بين الحديث عن الأهلة ، وأنها مواقيت للناس والحج ، والحديث عن القتال فى الأشهرالحرم وعن المسجد الحرام ، والحديث عن الحج والعمرة ،وتتضمن الآية الأمر بأداء الحج والعمرة لله تعالى ؛ فيأتون بها على الوجه المطلوب وأن يريدوا بهما الله تعالى ، ويخبرهم أنهم إذا أحصروا فلم يتمكنوا من إتمامهما ، فالواجب عليهم أن يذبحوا أو ينحروا ما تيسر لهم فإذا ذبحوا أو نحروا حلوا من إحرامهم ، وذلك بحلق شعر رؤوسهم أو تقصيره ، كما أعلمهم أن من كان منهم مريضًا أو به أذى من رأسه ، واضطر إلى حلق شعر رأسه ، أو لبس ثوب أو تغطية رأس ، فالواجب بعد أن يفعل ذلك فدية ، وهى واحد من ثلاثة على التخيير : صيام ثلاثة أيام ، أو إطعام ستة مساكين لكل مسكين حفنتان من طعام أو ذبح شاة .

كما أعلمهم أن من تمتع بالعمرة إلى الحج ، ولم يكن من سكان الحرم أن عليه ما استيسر من الهدى ـ شاة أو بقرة أو بعير ، فإن لم يجد ذلك صام ثلاثة أيام فى الحج من أول شهر ذى الحجة إلى يوم التاسع منه ، وسبعة أيام إذا رجع إلى بلاده ، وأمرهم بتقواه ـ عز وجل ـ وهى امتثال أوامره والأخذ بتشريعه ، وحذرهم من إهمال أمره والاستخفاف بشرعه، فالله شديد العقاب .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ وجوب الجهاد وهو فرض كفاية إذا وجد المؤمن مؤمنًا يُضطهد لإسلامه أويفتن فى دينه .

٢ ـ حرمة القتال عند المسجد الحرام ـ أى مكة والحرم ـ إلا أن يبدأ العدو بقتال فيه فيقاتل .

٣ ـ معيّة الله ـ تعالى ـ لأهل الإيمان والتقوى والإحسان .

٤ ـ وجوب إتمام الحج والعمرة لمن شرع فيهما بالإحرام من الميقات ، وإن كان الحج تطوعاً والعمرة فيه غير واجبة .

٥ ـ بيان حكم الإحصار وهو ذبح شاة من مكان الإحصار ، ثم التحلل بالحلق أو التقصير ، ثم القضاء من قابل إن تيسر ذلك للعبد .

٦ ـ بيان فدية الأذى وهى أن من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام بأن حلق ، أو لبس مخيطاً أو غطى رأسه لعذر ، وجب عليه فدية وهى صيام ، أو إطعام ، أو ذبح شاة .

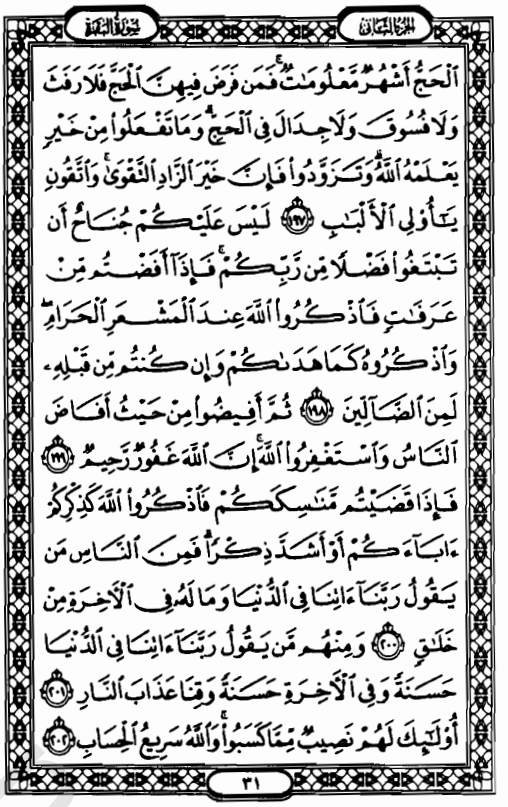

الجزء الثاني — سورة البقرة

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ
يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ
عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ
وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ
لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾
فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن
يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ
خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

٣١

**معانى الكلمات :**

**فرض** : ألزم نفسه بالإحرام . **فلا رفث** : فلا جماع ، أو لا إفحاش فى القول .

**ولا جدال**:لا خصام ولا مماراة ولا ملاحاة فيه . **جناح** : إثم وحرج . **فضلاً** : رزقاً بالتجارة والاكتساب فى الحج .

**أفضتم** : دفعتم أنفسكم بكثرة وسرتم .

**المشعر الحرام** : مزدلفة كلها أو جبل قُزح .

**مناسككم** : عباداتكم الحجية .

**خَلاَقَ** : نصيب من الخير أو قدر .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على أحكام الحج وشعائره، ومدى أهميته .

٢ ـ أن نعلم أن الذكر هداية ، وهو مظهر الشكر على هذه الهداية .

٣ ـ أن نعلم أن ميزان التقوى هو الذى يزن مقادير الناس .

**المحتوى التربوى :**

تتحدث الآيات عن بيان أحكام الحج الخاصة ، ومواعيده ، وآدابه ، وظاهر النص أن للحج وقتاً معلوماً ، وأن وقته أشهر معلومات ، هى شوال وذو القعدة والعشر الأوائل من ذى الحجة ، وعلى هذا لا يصح الإحرام بالحج إلا فى هذه الأشهر المعلومات ، وإن كان بعض المذاهب يعتبر الإحرام صحيحاً على مدار السنة ، ويخصص هذه الأشهر المعلومات لأداء شعائر الحج فى مواعيدها المعروفه وقد ذهب إلى هذا الرأى الأئمة : أبو حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل .

**يقول صاحب الظلال** : نهى الله فى الحج عن كل ما ينافى حالة التحرج والتجرد لله فى هذه الفترة ، والارتفاع على دواعى الأرض ، والرياضة الروحية على التعلق بالله دون سواه ، والتأدب الواجب فى بيته الحرام لمن قصد إليه متجرداً حتى من مخيط الثياب !

وبعد النهى عن فعل القبيح ـ الرفث والفسوق والجدال ـ يحبب إليهم فعل الجميل : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ ويكفى فى حس المؤمن أن يتذكر أن الله يعلم ما يفعله من خير ويطلع عليه ؛ ليكون هذا حافزاً على فعل الخير ؛ ليراه الله منه ويعلمه ، وهذا وحده جزاء ، قبل الجزاء،

obeikandl.com

وحثهم على التزود بالتقوى ـ زاد القلوب والأرواح ـ لتقتات منه ، وتتقوى وتشرق ، وعليه تستند فى الوصول والنجاة ، ولا يدرك هذا التوجيه الربانى للتقوى إلا أولو الألباب وهم خير من ينتفع بهذا الزاد .

فالإنسان الذى يكون عابداً لله فى حياته اليومية ، حين يقوم لتأدية عبادة ، فإن كيانه النفسى كله يتركز عليها ، فهو يمارس إذاً عبادة فى ظاهر أمرها مجموعة مؤلفة من عدد من الآداب والمناسك ، إلا أنها من حيث جوهرها وحقيقتها الداخلية تمثل جعل العبد نفسه أمام الله ـ عز وجل ، ذلك العبد الذى يخشى الله ـ تعالى ـ حق خشيته ، والذى تصبح قضية الحساب والمؤاخذة فى عالم الآخرة هى القضية الكبرى فى حياته الدنيا .

والمؤمن هو الإنسان الذى لا يعيش لأجل الشهوة والذى يجتنب معصية الله فى كل شؤونه ، ويظل بعيداً عن الخصومات والمنازعات فى مجال الحياة الاجتماعية ، وبما أن رحلة الحج هى فرصة ملائمة جداً لتربية هذه الصفات الخلقية ، تم فيها التأكيد على ذلك بصفة خاصة ، وبما أن الحج رحلة ، فيتركز كل اهتمام الناس ـ أو جُلّه ـ على أخذ أهبة السفر وزاد الطريق فقط ، بينما التقوى أفضل وأعظم ما يتخذ منه المسافر إلى الله زادًا ولا يمكن أن تتحد مشاعر الرجلين الداخلية خلال السفر ، فيما إذا كان أحدهما قد خرج آخذاً معه كل ما يحتاج إليه فى سفره من عُدةٍ ومتاع وكفى ، وأما الآخر خرج ورأس ماله هو تقوى الله وصدق التوجه إليه ـ جل شأنه .

إن التقوى هى الأصل والجوهر ، فإذا كانت هذه الحالة المطلوبة تتوافر فى نفس أحدٍ من الناس ، فلا يضيره معها أن يشتغل بالتجارة وكسب المعاش خلال أيام الحج ، أو أن يحدث تقديمًا أو تأخيرًا فى تأديته لبعض مناسك الحج ، والمشاعر التى ينبغى أن تكون سائدة فى الحج ، هى مشاعر الخشية الإلهية ، وذكر الله ، والشكر على آلاء الله ونعمه ، ومشاعر الخضوع والاستسلام لله ـ تبارك وتعالى ، ولا ينبغى أن يصدر خلال الحج أى عمل يناقض هذه الكيفيات السامية .

ويأمر الله ـ عز وجل ـ عباده بذكره وشكره على هذه الهداية بعد الضلال ، ويذكرهم بما كان من أمرهم قبل أن يهديهم : ﴿وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾

**يقول صاحب الظلال** : كانت ـ ولا شك ـ تتواكب على خيالهم وذاكرتهم ومشاعرهم صور حياتهم الضالة الرزية الهابطة التى كانت تطبع تاريخهم كله ، ثم يتلفتون على أنفسهم ليروا مكانهم الجديد الذى رفعهم إليه الإسلام ، والذى هداهم الله إليه بهذا الدين ، فيدركون عمق هذه الحقيقة وأصالتها فى وجودهم كله بلا جدال .

وهذه الحقيقة ما تزال قائمة بالقياس إلى المسلمين من كل أمة ومن كل جيل من هم بغير الإسلام ؟ ومن هم بغير هذه العقيدة ؟ إنهم حين يهتدون إلى الإسلام ، وحين يصبح المنهج الإسلامى حقيقة فى حياتهم ، ينتقلون من طور وضيع صغير ضال مضطرب إلى طور آخر رفيع

عظيم مهتد مستقيم ، ولايدركون هذه النقلة إلا حين يصبحون مسلمين حقاً ؛ أى حين يقيمون حياتهم كلها على النهج الإسلامى ، وإن البشرية كلها لتتيه فى جاهلية عمياء ، ما لم تهتد إلى هذا النهج المهتدى ، ولا يدرك هذه الحقيقة إلا من يعيش فى الجاهلية البشرية التى تعج بها الأرض فى كل مكان ، ثم يحيا بعد ذلك بالتصور الإسلامى الرفيع للحياة ، ويدرك حقيقة المنهج الإسلامى الشامخة على كل ما حولها من مقاذر ومستنقعات وأوحال !

والحج هو مؤتمر المسلمين الجامع ، الذى يتلاقون فيه مجردين من كل آصرة سوى آصرة الإسلام ، متجردين من كل سمة إلا سمة الإسلام ، عرايا من كل شىء إلا من ثوب غير مخيط يستر العورة ، ولا يميز فرداً عن فرد ، ولا قبيلة عن قبيلة ، ولا جنساً عن جنس ، إن عقدة الإسلام هى وحدها العقدة ، ونسب الإسلام وحده هو النسب ، وصبغة الإسلام هى وحدها الصبغة ، وقد كانت قريش فى الجاهلية تسمى نفسها : « الحمس » ، ويتخذون لأنفسهم امتيازات تفرقهم عن سائر العرب ، ومن هذه الامتيازات : أنهم لا يقفون مع سائر الناس فى عرفات ، ولا يفيضون من حيث يفيض الناس ، فجاءهم الأمر ليردهم إلى المساواة التى أرادها الإسلام ، وإلى الاندماج الذى يلغى هذه الفوارق المصطنعة بين الناس ، وأن يستغفروا الله عن التقصير فالله عفور رحيم .

ثم أخبر ـ تعالى ـ عن أحوال الخلق ، وأن الجميع يسألونه مطالبهم ، ويستدفعونه ما يضرهم، ولكن مقاصدهم تختلف ؛ فمنهم من يسأله من مطالب الدنيا ما هو من شهواته ، وليس له فى الآخرة من نصيب لرغبته عنها ، وقصر همته على الدنيا ، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين ، ويفتقر إليه فى مهمات دينه ودنياه ، وكل من هؤلاء لهم نصيب من كسبهم وعملهم ، وسيجازيهم ـ تعالى ـ على حسب أعمالهم وهمائمهم ونياتهم ، جزاء دائرا بين العدل والفضل ، يُحمد عليه أكمل حمد وأتمه ، ووصف ـ سبحانه ـ نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ؛ ليدل على كمال قدرته ، ووجوب الحذر من نقمته .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ حرمة الرفث والفسوق والجدال فى الإحرام .

٢ ـ استحباب فعل الخيرات للحاج أثناء حجه ؛ ليعظم أجره ويبرحجه .

٣ ـ إباحة الاتجار والعمل للحاج ـ طلبًا للرزق ـ على ألا يحج لأجل ذلك .

٤ ـ وجوب شكر الله ـ تعالى ـ بذكره وطاعته على هدايته وإنعامه .

٥ ـ وجوب المساواة فى أداء المناسك بين سائر الحجاج ، فلا يتميز بعضهم عن بعض فى أى شىء من شعائر الحج .

٦ ـ فضيلة ذكر الله والرغبة فيه ؛ لأنه من محاب الله ـ تعالى .

**معانى الكلمات :**

**ألدُّ الخصام** : شديد المخاصمة فى الباطل .

**الحَرْثَ** : الزَّرع . **أخذته العِزَّةُ بالإثم** : حملته الأنفه والحمَّية عليه . **فحسبه جهنم** : كافيه جزاءً نارُ جهنم . **ولبئس المهاد** : لبئس الفراش والمضجع جهنم . **يشرى نفسه** : يبيعها ببذلها فى طاعة الله . **فى السلم كافة** : فى الإسلام وشرائعه كلها . **خُطوات الشيطان** : طُرقهُ وآثاره وأعماله .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ـ أن نتعرف على نماذج من نفوس البشر واضحة الخصائص جاهرة السمات.

٢ ـ أن نعلم أن أول مفاهيم الدعوة أن يستسلم المؤمنون بكلياتهم لله ـ تعالى .

٣ ـ أن نعلم أن التكاليف التى يفرضها الإسلام على المسلم كلها من الفطرة ولتصحيح الفطرة .

**المحتوى التربوى :**

تنتهى أيام الحج وشعائره ومناسكه بالتوجيه إلى ذكر الله فى الأيام المعدودات ، وهى أيام التشريق الثلاثة بعد العيد لمزيتها وشرفها ، وكون بقية أحكام المناسك تفعل بها ، ولكون الناس أضيافاً لله فيها ، ولهذا حرم صيامها ، فللذكر فيها مزية ليست لغيرها ، ولهذا قال النبى ﷺ : «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله » ، ويدخل فى ذكر الله فيها ذكره عند رمى الجمار وعند الذبح ، والذكر المقيد عقب الفرائض ، بل قال بعض العلماء : إنه يستحب فيها التكبير المطلق كالعشر وليس ببعيد .

ومن خرج من منى ونفر منها قبل غروب شمس اليوم الثانى ، فلا إثم عليه بهذا التعجل ، ومن تأخر حتى رمى اليوم الثالث فلا يأثم بهذا التأخير ، فالمؤمن مخير فى التعجل والتأخر ، وإن كان التأخر أفضل ، ثم يذكرهم بمشهد الحشر بمناسبة مشهد الحج ، وهو يستجيش فى قلوبهم مشاعر التقوى أمام ذلك المشهد المخيف .

وفى ثنايا هذه الآيات والتوجيهات والتشريعات القرآنية ـ التى يتألف من مجموعها ذلك المنهج الربانى الكامل للحياة البشرية ـ يجد الناظر فى هذه التوجيهات كذلك منهجاً للتربية ، قائماً على الخبرة المطلقة بالنفس البشرية ، ومساربها الظاهرة والخفية ، يأخذ هذه النفس من أقطارها ،

كما يتضمن رسم نماذج من نفوس البشر جاهرة السمات، حتى ليخيل للإنسان وهو يتصفح خصائصها أنه يرى ذواتًا بعينها ، تدب فى الأرض، وتتحرك بين الناس ، ويكاد يضع يده عليها ، وهو يصيح : هذه هى بعينها التى عناها القرآن !

وأول هذه النماذج يتحدث عنه صاحب الظلال قائلاً : هذا المخلوق الذى يتحدث ، فيصور لك نفسه خلاصة من الخير ، ومن الإخلاص ، والتجرد ، والحب ، والترفع ، ومن الرغبة فى إفاضة الخير والبر والسعادة والطهارة على الناس ، هذا الذى يعجبك حديثه ، تعجبك ذلاقة لسانه ، يعجبك حديثه عن الخير والبر والصلاح ،﴿ وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ ﴾ زيادة فى التأثير والإيحاء ، وتوكيداً للتجرد والإخلاص ، وإظهارًا للتقوى وخشية الله ، ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾ ! تزدحم نفسه باللدد والخصومة ، فلا ظل فيها للود والسماحة ، ولا موضع فيها للحب ، هذا الذى يناقض ظاهره باطنه ، ويتنافر مظهره ومخبره ، حتى إذا جاء دور العمل ظهر المخبوء ، وفضح بما فيه من حقيقة الشر والبغى والحقد والفساد .

وإذا انصرف إلى العمل ، كانت وجهته الشر والفساد ، فى قسوة وجفوة ولدد ، تتمثل فى إهلاك كل حى من الحرث الذى هو موضع الزرع والإنبات والإثمار ، ومن النسل الذى هو امتداد الحياة ، والله ـ عز وجل ـ لا يخفى عليه هذا الصنف من الناس ، ولا يجوز عليه الدهان والطلاء الذى قد يجوز على الناس فى الحياة الدنيا ، وهذا الصنف حسبه جهنم التى وقودها الناس والحجارة ، التى يكبكب فيها الغاوون وجنود إبليس أجمعون ؛ فتكون مهادهم بعد الاعتزاز والكبرياء !

ويقابل هذا النموذج النكد نموذج آخر من الناس ؛ يبيع نفسه كلها لله ؛ ويسلمها لا يستبقى منها بقية ، ولا يرجو من وراء أدائها وبيعها غاية إلا مرضاة الله ليس له فيها شىء ، وليس له من ورائها شىء ، بيعة كاملة لا تردد فيها ولا تلفت ولا تحصيل ثمن ، ولا استبقاء بقية لغير الله ، فهو يشترى نفسه بكل أعراض الحياة الدنيا ، ليعتقها ويقدمها خالصة لله ، لا يتعلق بها حق آخر إلا حق مولاه .

والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخل فى عالم كله سلم وكله سلام ، والاعتقاد بالآخرة يؤدى دوره فى إفاضة هذا السلام على روح المؤمن وعالمه ؛ وينفى القلق والسخط والقنوط ، لأن الحساب الختامى ليس فى هذه الأرض ، والجزاء الأوفى ليس فى هذه العاجلة ، فالحساب الختامى هناك ، والعدالة المطلقة مضمونة فى هذا الحساب ، والاعتقاد بالآخرة حاجز كذلك دون الصراع المحموم المجنون الذى تُداس فيه القيم وتُداس فيه الحرمات بلا تحرج ولا حياء ، فهناك الآخرة فيها عطاء ، وفيها غناء ، وفيها عوض عما يفوت ، وهذا التصور من شأنه أن يفيض السلام على مجال السباق والمنافسة فى الدنيا ، ويخلع التجمل على حركات المتسابقين ؛ وأن يخفف السعار الذى ينطلق من الشعور بأن الفرصة الوحيدة المتاحة هى فرصة هذا العمر القصير المحدود !

ومعرفة المؤمن بأن غاية الوجود الإنسانى هى العبادة ، وأنه مخلوق ليعبد الله ـ من شأنها ـ ولا شك ـ أن ترفعه إلى هذا الأفق الوضيء ، ترفع شعوره وضميره ، وترفع نشاطه وعمله ، وتنظف وسائله وأدواته ، فهو يريد العبادة بنشاطه وعمله ؛ وهو يريد العبادة بكسبه وإنفاقه ؛ وهو يريد العبادة بالخلافة فى الأرض وتحقيق منهج الله فيها ، فأولى به ألا يغدر ولا يفجر ، وأولى به ألا يغش ولا يخدع ، وأولى به ألا يطغى ولا يتجبر ؛ وأولى به ألا يستخدم أداة مدنسة ، ولا وسيلة خسيسة ، وأولى به كذلك ألا يستعجل المراحل ، وألا يعتسف الطريق ، وألا يركب الصعب من الأمور ، فهذا بالغ هدفه من العبادة بالنية الخالصة والعمل الدائب فى حدود الطاقة ، ومن شأن هذا كله ألا تثور فى نفسه المخاوف والمطامع ، وألا يستبد به القلق فى أية مرحلة من مراحل الطريق ، فهو يعبد فى كل خطوة ؛ وهو يحقق غاية وجوده فى كل خطرة ، وهو يرتقى صعداً إلى الله فى كل نشاط وفى كل مجال .

ويذكرهم أخيراً بأن الله عزيز ليلّوح بالقوة والقدرة والغلبة ، وليعلموا أنهم يتعرضون لقوة الله حين يخالفون عن توجيهه ، ويذكرهم بأنه حكيم ليعلموا أنه اختار لهم الخير ، وما نهاهم عنه هو الشر ، وأنهم يتعرضون للخسارة حين لا يتبعون أمره ولا ينتهون عما نهاهم عنه .

بعد ذلك يتخذ السياق أسلوبًا جديدًا فى التحذير من عاقبة الانحراف عن الدخول فى السلم واتباع خطوات الشيطان ، فيتحدث بطريق الغيبة بدلا من صيغة الخطاب ، ويأتى سؤال الاستنكار عن علة انتظار المترددين المتلكئين الذين لا يدخلون فى السلم كافة ، ما الذى يقعد بهم عن الاستجابة ؟ ماذا ينتظرون ؟ تراهم سيظلون هكذا فى موقفهم حتى يأتيهم الله ـ سبحانه ـ فى ظلل من الغمام وتأتيهم الملائكة ؟! وفجأة نجد أن اليوم قد جاء ، وأن كل شىء قد انتهى ، وطوى الزمان وأفلتت الفرصة ، وعزت النجاة ، ووقفوا وجها لوجه أمام الله الذى ترجع إليه وحده الأمور .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ التحذير من الاغترار بفصاحة وبيان الرجل إذا لم يكن من أهل الإيمان والإخلاص .

٢ ـ شر الناس من يفسد فى الأرض بارتكاب الجرائم مما يسبب فساداً وهلاكاً للناس .

٣ ـ قول الرجل : يعلم الله ، ويشهد الله يعتبر يمينًا فليحذر المؤمن أن يقول ذلك ، وهو يعلم من نفسه أنه كاذب .

٤ ـ ما من مستحل حراماً ، أوتارك واجباً إلا وهو متبع للشيطان فى ذلك .

٥ ـ حرمة التسويف والمماطلة فى التوبة .

٦ ـ إثبات صفة المجىء لله ـ تعالى ـ لفصل القضاء يوم القيامة .

٧ ـ غاية الوجود الإنسانى هى العبادة لله ـ عز وجل .

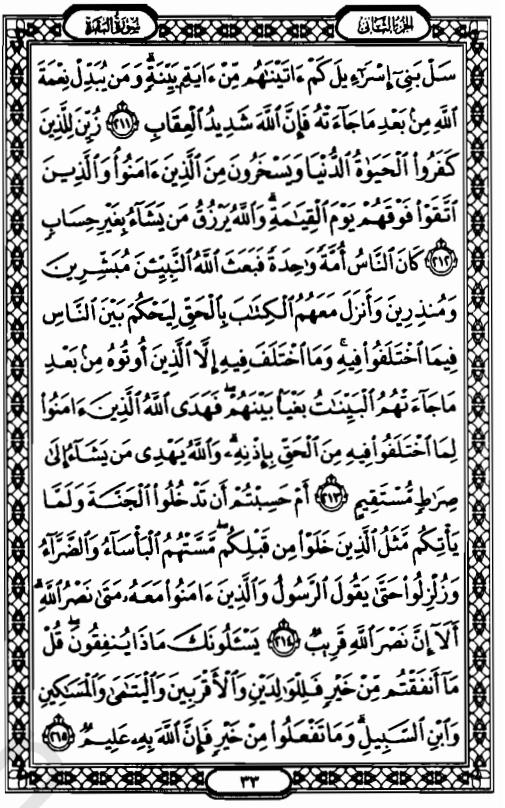
سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ
فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ
مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا
يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ
وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ
أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ
مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

**معانى الكلمات :**

**بغياً** : البغى : الظلم والحسد .

**الصراط المستقيم** : الإسلام المفضى بصاحبه إلى السعادة والكمال فى الحياتين .

**البأساء** : الشدة من الحاجة وغيرها .

**الضراء** : المرض والجراحات والقتل .

**متى نصر الله** : الاستفهام للاستبطاء .

**من خير** : من مال ؛ إذ المال يُطلق عليه لفظ الخير .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على حال الكافرين والمؤمنين ، والفرق بين ميزان من كفر ، وميزان الذين آمنوا .

٢ ـ أن نعلم قصة الاختلاف بين الناس فى التصورات والعقائد .

٣ ـ أن نتبين سنة الله ـ تعالى ـ فى تربية عباده المختارين .

**المحتوى التربوى :**

تتحدث الآيات عن نموذج التلكؤ فى الاستجابة والذى نهجه بنو إسرائيل ، الذين لم يستجيبوا لله ، وبدلوا نعمة الله ، نعمة الإيمان والإسلام ، من بعد ما جاءتهم ، والعودة إلى بنى إسرائيل هنا طبيعة للتحذير من هذا النموذج النكد ، وموقف النشوز وعدم الدخول فى السلم كافة ؛ وموقف التعنت وسؤال الخوارق ، والاستمرار فى العناد والجحود ، وهذه مزالق الطريق إلى الله التى يحذر الله الجماعة المسلمة منها ، كى تنجو من عاقبة بنى إسرائيل المنكودة .

**ويقول صاحب الظلال** : وما بدلت البشرية هذه النعمة ـ أى قبول الإسلام ـ إلا أصابها العقاب الشديد فى حياتها على الأرض قبل عقاب الآخرة ، وها هى ذى البشرية المنكودة الطالع فى أنحاء الأرض كلها تعانى العقاب الشديد ، وتجد الشقوة النكدة ؛ وتعانى القلق والحيرة ؛ ويأكل بعضها بعضًا ؛ ويأكل الفرد منها نفسه وأعصابه ، ويطاردها وتطارده بالأشباح المطلقة ، وبالخواء القاتل الذى يحاول المتحضرون أن يملؤوه تارة بالمسكرات والمخدرات ، وتارة بالحركات الحائرة التى يخيل إليك معها أنهم هاربون تطاردهم الأشباح ! وإن هو إلا عقاب الله ، لمن يحيد عن منهجه ، ولا يستمع لدعوته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ .

وقد يتساءل متسائل : ما أسباب الزلل والانحراف الذى تحياه البشرية ؟ وما أسباب استبدال نعمة الله بغيرها ؟ تجيب الآيات بأنها الحياة الدنيا ، وزينتها ، وشهواتها والكبر الموجود ، فى قلوب الكافرين،مما يجعلهم يحتقرون أهل الإيمان ويزدرونهم فيستكبرون بالتالى عن متابعتهم أو الكون منهم ، وذلك أول خطوة من خطوات الشيطان ، ولئن فات أهل الإيمان شىء من الدنيا وحظها بسبب الالتزام بشرع الله ، فإن الله يعوضهم عن ذلك فى الآخرة ، وقد يعطى الله عباده المؤمنين الدنيا والآخرة . والفارق الرئيسى بين أهل الكفر ، وأهل الإيمان فى الهدف أن الكافر ليس له هدف إلا فى الدنيا : مال ، شهوات، جاه ، أما المؤمن ، فليس له هدف إلا وجه الله ، ونيل رضوانه فى الآخرة ، والدنيا بالنسبة له طريق ومعبر وممَر . وقد زينت الحياة الدنيا للكافرين عقوبة لهم فاستغرقوا فى شهواتها ، وتسلط عليهم الشيطان يحسنها فى أعينهم ، وهم يسخرون ممن لاحظ له فيها ، أو ممن يطلب غيرها وهم أهل الإيمان . والمتقون حالًا وعملًا فى يوم القيامة فى جنة عالية وهم فى نار هاوية ، الأرزاق الدنيوية والأخروية لا تحصل إلا بتقدير الله ، ولن تُنال إلا بمشيئة الله ، فهو المانح يمنح من يشاء ، ويفيض على من يشاء ولا خازن لعطائه ولا بواب .

وتتحدث الآيات عن الحقيقة الكبرى ، وهى اختلاف الناس ، بعد أن كانوا أمة واحدة ؛ لأن هذا الاختلاف أصل من أصول خلقتهم ، يحقق حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن فى الأرض ، إن هذه الخلافة تحتاج إلى وظائف متنوعة ، واستعدادات شتى من ألوان متعددة ؛ كى تتكامل جميعها وتتناسق ، وتؤدى دورها الكلى فى الخلافة والعمارة ، وفق التصميم المقدر فى علم الله ، فلا بد إذن من تنوع فى المواهب يقابل تنوع تلك الوظائف ؛ ولابد من اختلاف فى الاستعدادات يقابل ذلك الاختلاف فى الحاجات .

ومع هذا الاختلاف أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وهذا التصور الإيمانى هو الأصل فى التلقى عن الله ومنهج رسله ، فلابد من ميزان ثابت يفىء إليه هذا الشتات من البشر ، وأن يكون هناك قول فصل ينتهون إليه ، ويجتمعون عليه مع هذا الاختلاف والتنوع والتمايز ، وكذلك لابد أن يكون هذا المصدر من صنع مصدر آخر غير المصدر الإنسانى يستعلى على النقص والفناء والفوت والجور والطمع والرغبة والرهبة وعلى الكون كله بما فيه ، وهذا المصدر هو الله رب العالمين لا أرب له ، ولا هوى ، ولا لذة ، ولا ضعف فى ذاته ـ سبحانه ـ ولا قصور !

وتردف الآيات بحقيقة أخرى وهى أن البغى والحسد ، وبغى الطمع والحرص والهوى هو الذى قاد الناس إلى المضى فى الاختلاف على أصل التصور والمنهج ، والمضى فى التفرق واللجاج والعناد ، وهذه حقيقة ، فما يختلف اثنان على أصل الحق الواضح فى هذا الكتاب ، القوى الصادع المشرق المنير ، ما يختلف اثنان على هذا الأصل إلا وفى نفس أحدهما بغى وهوى ، أو فى نفسيهما جميعًا ، فأما حين يكون هناك إيمان فلابد من التقاء واتفاق ، فأهل الإيمان هداهم الله بما فى نفوسهم من صفاء ، وبما فى أرواحهم من تجرد وبما فى قلوبهم من رغبة فى الوصول إلى الحق ، وما أيسر الوصول حينئذ والاستقامة ، فالله يهدى من يشاء إلى الصراط الذى يكشف عن ذلك الكتاب .

**يقول صاحب الظلال** : وتنتهى هذه التوجيهات التى تستهدف إنشاء تصور إيمانى كامل ناصع فى قلوب الجماعة المسلمة ، تنتهى بالتوجه إلى المؤمنين الذين كانوا يعانون فى واقعهم مشقة الاختلاف بينهم ، وبين أعدائهم من المشركين وأهل الكتاب ، وما كان يجره هذا الخلاف من حروب ومتاعب وويلات ، يتوجه إليهم بأن هذه هى سنة الله فى تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة ، وليكونوا لها أهلًا : أن يدافع أصحاب العقيدة عن عقيدتهم ؛ وأن يلقوا فى سبيلها العنت والألم والشدة والضر ؛ وأن يتراوحوا بين النصر والهزيمة ، حتى إذا ثبتوا على عقيدتهم ، لم تزعزعهم شدة ، فاستحقوا نصر الله ؛ لأنهم يومئذ أمناء على دين الله ، مأمونون على ما ائتمنوا عليه ، صالحون لصيانته والذود عنه ، ومن ثم ينكر الله ـ تعالى ـ على المؤمنين وهم فى أيام شدة ولأواء ظنهم أنهم يدخلون الجنة بدون امتحان وابتلاء فى النفس والمال ، بل وأن يصيبهم ما أصاب غيرهم من البأساء والضراء والزلازل ، وهو الاضطراب والقلق من الأهوال حتى يقول الرسول والمؤمنون معه ـ استبطاءً للنصر الذى وعدوا به:متى نصر الله؟وعندما، تثبت القلوب على مثل هذه المحنة المزلزلة،عندئذ تمت كلمة الله، ويجىء النصر:﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾

ويأتى جواب السؤال : ماذا يكون الإنفاق ؟ متضمناً بيان ما ينفقون وبيان المصرف ، فالإنفاق من كل خير ، والخير فى كثير من آيات القرآن يأتى بمعنى المال ، وهو هنا كذلك ، وطريق الإنفاق يأتى بيانه للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وكلهم يتضامنون فى رباط التكافل الاجتماعى الوثيق بين بنى الإنسان فى إطار العقيدة المتين ، ومهما صدر منكم من فعل معروف فإن الله يعلمه ، وسيجزيكم على ذلك أوفى الجزاء فإنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ التحذير من كفر النعم لما يترتب على ذلك من أليم العذاب وشديد العقاب ، ومن أجلِّ النعم نعمة الإسلام ، فمن كفر به أو أعرض عنه فقد تعرض لأشد العقوبات وأقساها .

٢ ـ الحسد سبب الاختلاف بين البشر ، فمن أراد الحق فعليه أن يتحرّر من الحسد ، ومن أراد الحق ، فليحقق الإيمان فى نفسه ، فإن الله ـ عز وجل ـ يهدى أهل الإيمان إلى الحق فيما اخُتلف فيه بإذنه .

٣ ـ من علامات خذلان الأمة وتعرضها للدمار أن تختلف فى كتاب ربها ودينها ، فيحرفون كلام الله ، ويقصون شرائعه ، ويعطلون منهجه ،وهذا الذى تعانى منه أمتنا اليوم .

٤ ـ الهداية بيد الله ، فليطلب العبد ـ دائمًا ـ الهداية من مولاه ـ تعالى ـ بسؤاله المتكرر أن يهديه دائماً إلى الحق .

٥ ـ الابتلاء خط أصيل فى الدعوات ، وتمحيص المؤمنين بالسراء والضراء طريق الجنة، والصبر عليهما سبيل الفوز برضوان الله وجنته .

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟
شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ
ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ
وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ
عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ
حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ
مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ
هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ
وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ
أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾
٣٤

**معانى الكلمات :**

**كتب** : فُرض فرضاً مؤكداً . **القتال** : قتال الكافرين بجهادهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية .

**كُرهٌ** : مكروه فى نفوسكم .

**وكفر به** :كفر بالله ـ تعالى .

**أهله** : النبى ﷺ والمهاجرين . **الفتنة** : الشرك واضطهاد المؤمنين . **حبطت** : بطل أجرها فلا يثابون عليها . **الميسر**: القمار وسمى ميسرًا ؛ لأن صاحبه ينال المال بيسر وسهولة .

**الإثم** : كل ضار فاسد بالنفس أو العقل أو المال أو العرض.

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعلم رغبة المؤمنين فى معرفة حكم العقيدة فى كل شأن من شؤون الحياة اليومية .

٢ ـ أن نتعرف على منهج الإسلام فى تربية النفس الإنسانية وقيادتها .

٣ ـ أن نعلم أن الإسلام منهج واقعى للحياة لا يقوم على مثاليات خيالية .

**المحتوى التربوى :**

يمضى السياق فيحكى أن القتال فى سبيل الله فريضة شاقة ، ولكنها فريضة واجبة الأداء ؛ لأن فيها خيرًا كثيرًا للفرد المسلم ، وللجماعة المسلمة ، وللبشرية كلها ، وللحق وللخير والصلاح ، والإسلام يحسب حساب الفطرة ؛ فلا ينكر مشقة هذه الفريضة ، ولا يهون من أمرها، ولا ينكر على النفس البشرية إحساسها الفطرى التى ليس إلى إنكارها من سبيل ، ولكن يعالج الأمر من جانب آخر له ، إنه يقرر أن من الفرائض ما هو شاق مرير كريه المذاق .. ولكن وراءه حكمة تهون مشقته ، إنه من يدرى فلعل وراء المكروه خيراً . ووراء المحبوب شراً ، إن

العليم بالغايات البعيدة ، المطلع على العواقب المستورة ، هو الذى يعلم وحده ، حيث لا يعلم الناس شيئاً من الحقيقة .

إن هذا هو المنهج التربوى الذى يأخذ القرآن به النفس البشرية ؛ لتؤمن وتسلم وتستسلم فى أمر الغيب المخبوء ، بعد أن تعمل ما تستطيع فى محيط السعى المكشوف .

ومن قيادة الجماعة إلى السلم كانت الفتوى التالية فى أمر القتال فى الشهر الحرام .

فقد جاء وفد من مشركى قريش وسألوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : أيحل القتال فى الشهر الحرام؟ وجاء الجواب بأن قل لهم : القتال فيه وزر كبير بيد أن الصد عن دين الله والكفر به تعالى، وكذا أن الصد عن سبيل الله والمسجد الحرام ، وإخراج أهل المسجد الحرام منه ، والكفر بالله أكبر عند الله من القتل فى الشهر الحرام ، وتعذيب الكفار للمسلمين ليفتنوهم عن دينهم أشد قبحًا ، وأعظم من القتل فى الشهر الحرام ، وعداوة الكفار دائمة ، ولا يزالون يقاتلونكم ليردوكم عن دينكم إلى الكفر ، وإن استطاعوا فلن يقصروا ، ومن يرجع منكم عن الإسلام فيمت مرتداً ، فإن أعماله الصالحة كلها تبطل ، ويصبح من أهل النار الخالدين فيها أبدًا.

**ويقول صاحب الظلال:** « إن الإسلام يرعى حرمات من يرعون الحرمات ، ويشدد فى هذا المبدأ ويصونه ، ولكنه لا يسمح بأن تتخذ الحرمات متاريس لمن ينتهكون الحرمات ، ويؤذون الطيبين ، ويقتلون الصالحين ، ويفتنون المؤمنين، ويرتكبون كل منكر وهم فى منجاة من القصاص تحت ستار الحرمات التى يجب أن تصان !

ومع هذا يبقى الإسلام فى مستواه الرفيع لا يتدنى إلى مستوى الأشرار البغاة ، ولا إلى أسلحتهم الخبيثة ووسائلهم الخسيسة ، إنه ـ فقط ـ يدفع الجماعة المسلمة إلى الضرب على أيديهم ، وإلى قتالهم وقتلهم ، وإلى تطهير جو الحياة منهم ، هكذا جهرة وفى وضح النهار وحين تكون القيادة فى الأيدى النظيفة الطيبة المؤمنة المستقيمة ، وحين يتطهر وجه الأرض ممن ينتهكون الحرمات ويدوسون المقدسات ، حينئذٍ تصان للمقدسات حرمتها كاملة كما أرادها الله » .

وتوضح الآيات حقيقة أخرى فيكشف للمسلمين عن عمق الشر فى نفوس أعدائهم ، وأصالة العدوان فى نيتهم وخطتهم فى فتنة المسلمين عن دينهم ، وهو الهدف الذى لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة فى كل أرض وفى كل جيل ، ويحذر المسلمين من الارتداد عن الإسلام، فمن يرتدد عن الإسلام وقد ذاقه وعرفه ، تحت مطارق الأذى والفتنة ـ مهما بلغت ـ مصيره حبوط العمل فى الدنيا والآخرة ، ثم ملازمة العذاب فى النار خلودًا .

وهذا التحذير من الله قائم إلى آخر الزمان ، ليس لمسلم عذر فى أن يخنع للعذاب والفتنة فيترك دينه ويقينه ، ويرتد عن إيمانه وإسلامه ، ويرجع عن الحق الذى ذاقه وعرفه ، وهناك المجاهدة والمجالدة والصبر والثبات حتى يأذن الله ، والله لا يترك عباده الذين يؤمنون به ، ويصبرون على الأذى فى سبيله ، فهو معوضهم خيراً إحدى الحسنيين : النصر أو الشهادة . وهناك رحمته التى يرجوها من يؤذون فى سبيله ؛ لا ييئس منها مؤمن عامر القلب بالإيمان .

وينتقل السياق ليبين للمسلمين حكم الخمر والقمار ، وهذه الآيات أول خطوة من خطوات التحريم ، فالأشياء والأعمال قد لا تكون شراً خالصاً ، فالخير يلتبس بالشر والعكس ، ولكن مدار الحل والحرمة هو غلبة الخير أو الشر ، فإذا كان الإثم فى الخمر والميسر أكبر من النفع ، فتلك علة تحريم ومنع ، وإن لم يصرح هنا بالتحريم والمنع .

وهنا يبدو طرف من منهج التربية الإسلامى القرآنى الحكيم عندما يتعلق الأمر أو النهى بعادة وتقليد ، أو وضع اجتماعى معقد ، فإن الإسلام يتريث به ويأخذ المسألة باليسر والرفق والتدرج ، ويهيئ الظروف الواقعية التى تيسر التنفيذ والطاعة ؛ ولكن إذا تعلق الأمر بمسألة اعتقادية ، فإن الإسلام يقضى فيها قضاءً حاسمًا منذ اللحظة الأولى ؛ لأن المسألة هنا مسألة قاعدة أساسية للتصور الإيمانى ، لا يصلح بدونها إيمان ولا يقام إسلام .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ « الجهاد واجب على كل أحد غزا ، أو قعد ، فالقاعد عليه إذا استُعين ، أن يعين ، وإذا استُغيث أن يُغيث ، وإذا استُنفر أن ينفر ، وإن لم يحتج إليه ، قعد [ قاله الزهرى ] »

٢ ـ ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فإذا كان قتال الكافرين حتى تكون كلمة الله هى العليا فى العالم فريضة ، فإن كل المقدمات اللازمة لذلك تكون من باب الفرائض ، من التكوين الجهادى ، إلى التنظيم المناسب الذى يقيم دولة الإسلام فى كل قطر إسلامى ، إلى وحدة الأقطار الإسلامية ، إلى التصنيع والتخطيط ، إلى التعبئة العامة .

٣ ـ المحن التى تتعرض لها الدعوة تمحص الدعاة إلى الله ، والصبر على المحن يسفر عن أولئك الذين ظلت ثقتهم بالله حية مع شدة البلاء ، وعن أولئك الذين فقدوا هذه الثقة بالله ـ تعالى ، ولم يستطيعوا الثبات .

٤ ـ مدار الحل والحرمة فى الأشياء هو غلبة الخير أو الشر ، وحكم الشرع فيها لا نظرة الإنسان للأشياء .

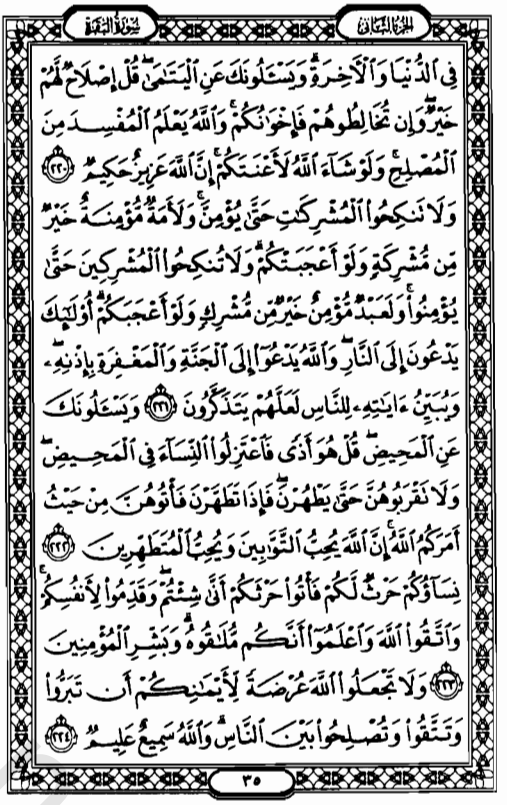

الجزء الثاني — سورة البقرة

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ
الْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ
مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ
وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ ۖ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا
وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

٣٥

**معانى الكلمات :**

**تخالطوهم**: تخلطون مالهم مع مالكم ليكون سواء . **لأعنتكم**: العنت : المشقة الشديدة، والمعنى : لكلّفكم ما يشق عليكم .

**ولا تنكحوا** : ولا تتزوجوا .

**الأمة** : خلاف الحرة . **المحيض** : دم يخرج من الرحم إذا خلا من الجنين . **أذى** : ضرر يضر المجامع فى أيامه .

**فأتوهن من حيث أمركم الله** : أى جامعوهن فى قبلهن وهن طاهرات .

**عُرضة** : ما يوضع مانعاً من شىء : أى يحلف بالله ألا يفعل خيراً .

**الأيمان** : الحلف جمع يمين .

**البر** : الطاعة وفعل الخير .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ـ أن نعلم أن التكافل الاجتماعى هو قاعدة المجتمع الإسلامى .

٢ـ أن نتعرف على جانب من جوانب دستور الأسرة .

٣ـ أن نعلم أحكام الإسلام فى الزواج ، ومباشرة الـحُيَّض ، واليمين التى تنعقد .

**المحتوى التربوى :**

تتحدث الآيات عن إحدى قواعد المجتمع الإسلامى وهى التكافل الاجتماعى ، والجماعة المسلمة مكلفة أن ترعى مصالح الضعفاء فيها ، واليتامى أولى برعاية الجماعة وحمايتها ، رعايتها لنفوسهم وحمايتها لأموالهم ، ولقد كان بعض الأوصياء يخلطون طعام اليتامى بطعامهم ، وأموالهم بأموالهم للتجارة فيها جميعاً ؛ وكان الغبن يقع أحيانا على اليتامى ، فنزلت الآيات فى التخويف من أكل مال الأيتام ، عندئذ تحرج الأتقياء حتى عزلوا طعام اليتامى من طعامهم ! وهذا تشدد ليس من طبيعة الإسلام ، فرد القرآن المسلمين إلى الاعتدال واليسر فى تناول الأمور، وإلى تحرى خير اليتيم ، والتصرف فى حدود مصلحته ، فالإصلاح لهم خير من اعتزالهم، والمخالطة لا حرج فيها إذا حققت الخير لليتيم ، فهم إخوان للأوصياء ، والله يعلم المفسد من المصلح .

وينتقل السياق ليتحدث عن الأسرة باعتبارها محضن التربية الذى يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها ، وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها ؛ وفى ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وتنطبع بالطابع الذى يلازمها مدى الحياة ، وعلى هديه ونوره تتفتح للحياة وتتعامل معها .

**ويقول صاحب الظلال** : النكاح ـ وهو الزواج ـ أعمق وأقوى وأدوم رابطة بين اثنين من بنى الإنسان ؛ وتشمل أوسع الاستجابات التى يتبادلها فردان ، فلابد إذن من توحد القلوب ، والتقائها فى عقدة لا تحل ، ولكى تتوحد القلوب يجب أن يتوحد ما تنعقد عليه ، وما تتجه إليه ، والعقيدة الدينية هى أعمق وأشمل ما يعمر النفوس ، ويؤثر فيها ، ويكيف مشاعرها ، ويحدد تأثيراتها واستجاباتها ، ويعين طريقها فى الحياة كلها » .

لذا نظم النبى ﷺ المجتمع المسلم الجديد فى المدينة محرماً عليه إنشاء أى نكاح جديد بين المسلمين والمشركين ، فحرام أن يربط الزواج بين قلبين لا يجتمعان على عقيدة ، إنه فى هذه الحالة رباط زائف واهٍ ضعيف ، إنهما لا يلتقيان فى الله ، ولا تقوم على منهجه عقدة الحياة ، والله الذى كرم الإنسان ورفعه على الحيوان يريد لهذه الصلة ألا تكون ميلاً حيوانياً ولا اندفاعاً شهوانياً ، إنما يريد أن يرفعها حتى يصلها بالله فى علاه ، ويربط بينها وبين مشيئته ومنهجه فى نمو الحياة وطهارتها .

هنا نتذكر أن الله لم يحرم زواج المسلم من كتابية ـ مع اختلاف العقيدة ـ ولكن الأمر هنا يختلف،إن المسلم والكتابية يلتقيان فى أصل العقيدة فى الله ، وإن اختلفت التفصيلات التشريعية ، وهناك خلاف فقهى فى حالة الكتابية التى تعتقد أن الله ثالث ثلاثة ، أو أن الله هو المسيح ابن مريم ، أو أن العزير ابن الله ، أهى مشركة محرمة ، أم تعتبر من أهل الكتاب وتدخل فى النص الذى فى المائدة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ ، ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ ، والجمهور على أنها تدخل فى هذا النص .

وينتقل السياق إلى لافتة أخرى إلى تلك العلاقة التى ترفعها إلى الله كما **يقول صاحب الظلال**: وتسمو بأهدافها عن لذة الجسد حتى فى أشد أجزائها علاقة بالجسد ، فى المباشرة ، إن المباشرة فى تلك العلاقة وسيلة لا غاية ؛ وسيلة لتحقيق هدف أعمق فى طبيعة الحياة ـ هدف النسل وامتداد الحياة ، ووصلها كلها بعد ذلك بالله ، والمباشرة فى المحيض قد تحقق اللذة الحيوانية ، مع ما ينشأ عنها من أذى ومن أضرار صحية مؤكدة للرجل والمرأة سواء ـ ولكنها لا تحقق الهدف الأسمى فضلًا عن انصراف الفطرة السليمة النظيفة عنها فى تلك الفترة ؛ ولأن المباشرة فى الطهر تحقق اللذة الطبيعية ، وتحقق معها الغاية الفطرية ، ومن ثم جاء ذلك النهى عن اعتزال النساء فى المحيض .

ثم تتناول الآيات جانباً من جوانب هذه العلاقة العميقة الكبيرة معبراً عنها بالحرث لا تساق السياق مع الإخصاب والتوالد والنماء ، وما دام حرثًا فأتوه بالطريقة التى تشاؤون ، ولكن فى

موضع الإخصاب الذى يحقق غاية الحرث ، وفى الوقت نفسه تذكروا الغاية والهدف ، واتجهوا إلى الله فيه بالعبادة والتقوى ؛ ليكون عملاً صالحاً تقدمونه لأنفسكم ، واستيقنوا من لقاء الله ، الذى يجزيكم بما قدمتم ، وتختتم الآية بتبشير المؤمنين .

**ويقول صاحب الظلال** : هنا نطلع على سماحة الإسلام ، الذى يقبل الإنسان كما هو ، بميوله وضروراته ؛ ولا يحاول أن يحطم فطرته باسم التسامى ، والتطهر ، ولا يحاول أن يستقذر ضروراته التى لا يد له فيها ، إنما هو مكلف إياها فى الحقيقة لحساب الحياة وامتدادها ونمائها ! إنما يحاول فقط أن يقرر إنسانيته ويرفعها ، ويصله بالله وهو يلبى دوافع الجسد ، يحاول أن يخلط دوافع الجسد بمشاعر إنسانية أولاً ، وبمشاعر دينية أخيراً ؛ فيربط بين نزوة الجسد العارضة وغايات الإنسان الدائمة ورفرفة الوجدان الدينى اللطيف ؛ ويمزج بينها جميعًا فى لحظة واحدة ، وحركة واحدة واتجاه واحد ، ذلك المزج القائم فى كيان الإنسان ذاته ، خليفة الله فى أرضه ، المستحق لهذه الخلافة بما ركب فى طبيعته من قوى وبما أودع فى كيانه من طاقات ، وهذا المنهج فى معاملة الإنسان هو الذى يلاحظ الفطرة كلها ، لأنه من صنع خالق هذه الفطرة ، وكل منهج آخر يخالف عنه فى قليل أو كثير يصطدم بالفطرة فيخفق ، ويشقى الإنسان ـ فردًا وجماعة : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وينهاهم ـ أخيرًا ـ عن جعل الله عرضة لأيمانهم ألا يفعلوا الخير ، ولكن عليهم أن يكفروا عنها ويصنعوا الخير ، مصداقا لقوله ﷺ : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه ، وليفعل الذى هو خير » رواه مسلم .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ـ يجب أن تدور المعاملات المشتركة بين الناس فى الحياة العامة وفق أساليب مؤدية إلى الإصلاح ، بعيداً عن تلك الأساليب التى يمكن أن تتسبب فى حدوث أى نوع من الشر والفساد فى المجتمع .

٢ ـ الإنسان المسلم هو الذى يجعل الآخرة هدفه فى الحياة ، والذى يغدو ويروح وقلبه يحترق شوقاً ولهفة للحصول على رضوان ربه .

٣ ـ ينبغى أن يكون الإيمان العنصر الأول والأساسى الذى يتم عليه اختيار الزوج والزوجة .

٤ ـ أن يكون الاتصال الجنسى بين الزوج وزوجته جارياً وفق أسلوبه الفطرى السليم وفى إطار الحكم الشرعى .

٥ ـ ينبغى أن تكون مخافة الله وتقواه الصفة الغالبة على الإنسان فى كل مراحل حياته فلا يتخذ أى خطوة عملية إلا ويسبقها طول الأناة والتفكير فى أن مرجعه إلى الله .

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ
قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟
ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ
بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ
أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ
فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ
فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن
تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ
ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ
بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ
هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ
زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾
٣٦

**معانى الكلمات :**

**اللغو** : الباطل ، وما لا خير فيه . ولغو اليمين أن يحلف العبد على شىء من غير إرادة الحلف . **كسبت قلوبكم** : ما تعمدتم وقصدتم من الأيمان .

**يؤلون** : الإيلاء : الحلف على عدم وطء الزوجة . **التربص** : الانتظار والتمهل . **فاؤوا** : رجعوا إلى وطء نسائهم بعد الامتناع عنه باليمين . **الطلاق** : فك رباط الزوجية بقوله : هى طالق أو مطلقة أو طلقتك . **قروء** : القرء إما مدة الطهر ، أو مدة الحيض .

**وبعولتهن** : أزواجهن .

**فلا جناح عليهما** : أى لا إثم ولا حرج عليهما .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعرف حكم العدول عن اليمين وحكم يمين اللغو .

٢ ـ أن نتعرف على حديث القرآن عن يمين الإيلاء وما فيه من أحكام .

٣ ـ أن نعلم أحكام الطلاق فى الإسلام وما وراءها من تبعات .

**المحتوى التربوى :**

ينتقل السياق فى هذه الآيات من الحديث عن أحكام الأسرة ـ السابق ذكرها آنفًا ـ إلى الحديث عن الأيمان ـ والسياق هنا مناسب ، لأن الأيمان تكثر فى الحياة الزوجية والعائلية ، والحياة الزوجية معرضة للفساد ومن ثَمَّ جاءت آيتان فى الأيمان ، ثم جاءت فقرة لاحقة ، تبدأ بكلام عن نوع من الأيمان يؤثر على الحياة الزوجية ، وهو الإيلاء .

**ويقول صاحب الظلال** « ... واليمين التى لا تنعقد النية على ما وراءها ، إنما يلغو بها اللسان، لا كفارة فيها ، وأن اليمين التى ينوى الحالف الأخذ أو الترك لما حلف عليه هى التى تنعقد ، وهى التى تستوجب الكفارة عند الحنث بها ، وأنه يجب الحنث بها إن كان مؤداها الامتناع عن فعل الخير أو الإقدام على فعل الشر . فأما إذا حلف الإنسان على الشىء يستيقن أنه كذلك ، ثم

يوجد بخلافه فلا كفارة فيه ، والذى يحلف على الشىء وهو يعلم أنه فيه آثم كاذب ليرضى به أحداً ، ويقتطع به مالاً ، فهذا أعظم من أن تكون فيه كفارة ».

ويأتى الحديث عن الإيلاء ؛ لأن هناك حالات نفسية واقعة ، تلم بنفوس بعض الأزواج ، بسبب من الأسباب فى أثناء الحياة الزوجية وملابساتها الواقعية الكثيرة ، تدفعهم إلى الإيلاء بعدم المباشرة ، وفى هذا الهجران ما فيه من إيذاء لنفس الزوجة؛ومن إضرار بها نفسيًا وعصبيًا ؛ ومن إهدار لكرامتها كأنثى ، ومن تعطيل للحياة الزوجية ، ومن جفوة تمزق أوصال العشرة ، وتحطم بنيان الأسرة حين تطول عن أمد معقول .

**ويقول صاحب الظلال** : « ولم يعمد الإسلام إلى تحريم الإيلاء منذ البداية ؛ لأنه قد يكون علاجاً نافعاً فى بعض الحالات للزوجة الشامسة المستكبرة المختالة بفتنتها وقدرتها على إغراء الرجل وإذلاله أو إعناته . كما قد يكون فرصة للتنفيس عن عارض سأم ، أو ثورة غضب ، تعود بعده الحياة أنشط وأقوى ، ولكنه لم يترك الرجل مطلق الإرادة كذلك ، لأنه قد يكون باغياً فى بعض الحالات يريد إعنات المرأة وإذلالها ؛ أو يريد إيذاءها لتبقى معلقة ، لا تستمتع بحياة زوجية معه ، ولا تنطلق من عقالها هذا لتجد حياة زوجية أخرى .

فتوفيقاً بين الاحتمالات المتعددة ، ومواجهة للملابسات الواقعية فى الحياة ، جعل هناك حداً أقصى للإيلاء ، لا يتجاوز أربعة أشهر ، وهذا التحديد قد يكون منظوراً فيه إلى أقصى مدى احتمال كى لا تفسد المرأة ، فتتطلع تحت ضغط حاجتها الفطرية إلى غير رجلها الهاجر .

وينتقل السياق للحديث عن الطلاق وهو حادث غير عادى ، يحصل فى ظروف استثنائية غير عادية ، ولقد أوصى الإسلام بالإحسان فى المعاملة والالتزام بتقوى الله ـ عز وجل ـ فى هذه القضية العاطفية للغاية ، ويطالب الإسلام بأن تتم عملية إنهاء علاقة الزوجية تدريجياً فى مراحل ثلاث ، بدلاً من إنهائها مرةً واحدةً ، ولتقرير مثل هذا المنهج الجدى المتوازن فى شأن قضية متناهية فى الإثارة كالطلاق ، دلالته الواضحة على ذلك الموقف السلوكى الذى ينبغى أن يتخذه المؤمن عند نشوء الاختلاف والخصومة ، إذا المطلوب من المؤمن أن يكون موقفه تجاه خصمه موقفاً غير عاطفى ، مبنياً على طول التأنى والروية .

وهكذا جميع الآداب والشروط الأخرى المتصلة بالطلاق ، تتضمن كلها دروساً ومعانى عميقة للحياة الإنسانية الفاضلة . ما يتلخص فى أن تُتاح فترة من الزمن ملحوظة لا يزال المرء يفكر فيها فى إمكانية إعادة الوفاق والوحدة من جديد بعد تصميمه على المفارقة ، وألا يُعد انتهاء العلاقات والروابط الشرعية مرادفاً لانتهاء حقوقه الإنسانية ، فلابد من التزام الحدود التى رسمها الله ـ تبارك وتعالى ـ بالنسبة للتصرفات المتبادلة بين الناس ، وألا يُلغى حكم من الأحكام

الشرعية ببعض الحيل ، ولا يسترد الزوج بعد الفراق شيئاً مما كان قد أعطاه لزوجته قبل الفراق ، كما ينبغى أن تُقضى أيام الفصل والمفارقة بالمعروف كما قُضيت أيام التلاقى والارتباط .

وتلك الحدود أمر الله ألا يتعداها المسلمون لئلا يصبحوا من الظالمين ؛ لأن المحظورات المشتهاة شديدة الجاذبية ، كما يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله : فمن الخير أن يكون التحذير من مجرد الاقتراب من حدود الله فيها ؛ اتقاء لضعف الإرادة أمام جاذبيتها إذا اقترب الإنسان من مجالها ووقع فى نطاق حبائلها !

والمجال هنا مجال مكروهات واصطدامات وخلافات ، فالخشية هنا هى الخشية من تعدى الحدود فى دفعة من دفعات الخلاف ؛ وتجاوزها وعدم الوقوف عندها . فجاء التحذير من التعدى لا من المقاربة التى ذكرت فى حدود آية الصوم فتلك محظورات فقال ـ عز وجل : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ ، وهنا فى هذه المناسبة مكروهات وخلافات ، فقال ـ عز وجل : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ .

وهى دقة فى التعبير عن المقتضيات المختلفة عجيبة ! ونمضى مع السياق فى أحكام الطلاق ، فإن الزوج إذا طلقها مرة ثالثة بعد المرتين ، فلا تحل له من بعد التطليقة الثالثة حتى تنكح زوجاً غيره ، ويكون النكاح صحيحاً ويبنى بها الزوج الثانى فإن طلقها الثانى ، بعد البناء والخلوة والوطء ، أو مات عنها جاز لها أن تعود إلى الأول إن رغب هو فى ذلك ، وعلما من أنفسهما أنهما يقيمان حدود الله فيهما بإعطاء كل واحد حقوق صاحبه مع حسن العشرة ، وإلا فلا مراجعة تحل لهما ، ثم ينوه ـ تعالى ـ بشأن تلك الحدود وأنها شرائعه يبينها ـ سبحانه وتعالى ـ لقوم يعلمون .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ ينبغى أن يكون موقف المسلم تجاه خصمه محكومًا بالتأنى والرَّوية لا بالعاطفة ؛ حتى لايندم على مواقفه تجاه الآخرين .

٢ ـ الزواج رباط مقدس لا ينبغى أن تنفصم عروته لأوهى الأسباب ، أو فى ثورة الغضب، فإن أبغض الحلال عند الله الطلاق .

٣ ـ كراهية منع الخير بسبب اليمين ، وعليه فمن حلف ألا يفعل خيراً فليكفر عن يمينه، وليفعل الخير ، لما ورد فى الحديث : « من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها ، فليكفر عن يمينه وليأت الذى هو خير » .

٤ ـ تحريم الظلم وهو ثلاثة أنواع : ظلم الشرك وهذا لا يغفر للعبد إلا بالتوبة منه ، وظلم العبد لأخيه الإنسان وهذا لابد من التحلل منه ، وظلم العبد لنفسه بتعدى حدود الله وهذا أمره إلى الله إن شاء غفره وإن شاء أخذ به .

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟
نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ
يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾
وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ
أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ
يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ
حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ
وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ
فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ
ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾
٣٧

**معانى الكلمات :**

**أجلهن** : أجل المطلقة مقاربة انتهاء أيام عدتها . **سرحوهن**: تسريح المطلقة تركها بلا مراجعة لها حتى تنقضى عدتها . **ضراراً** : مضارة لها وإضراراً بها . **هزواً** : لعباً بها بعدم التزامكم بتطبيق أحكامها .

**فلا تعضلوهن** : أى لا تمنعوهن من التزوج مرة أخرى بالعودة إلى الذى طلقها ولم يراجعها حتى انقضت عدتها .

**حولين** : عامين . **وعلى المولود له** : أى على الأب . **وعلى الوارث** : الرضيع نفسه .

**فصالاً** : فطاماً للولد قبل نهاية العامين .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن يتعلم الأزواج المعروف واليسر والحسنى بعد الطلاق فى جميع الأحوال .

٢ ـ أن نتعرف على توجيهات الإسلام فى تنظيم الحياة الزوجية وإقامتها على الجد والصدق .

٣ ـ أن نعلم توجيه الإسلام فى بيان علاقة الأزواج بعد الطلاق فيما يتعلق بالنسل وحق الرضاع .

**المحتوى التربوى :**

تتحدث الآيات عن التوجيه الإلهى للأزواج المطلقين إلى المعروف واليسر والحسنى بعد الطلاق فى جميع الأحوال ، فالمعروف والجميل والحسنى يجب أن يسود جو هذه الحياة ، سواء اتصلت حبالها أو انفصمت عراها ، ولا يجوز أن تكون نيةّ الإيذاء والإعنات عنصرًا من عناصرها . ولا يحقق هذا المستوى الرفيع من السماحة فى حالة الانفصال والطلاق التى تتأزم فيها النفوس ، إلا عنصر أعلى من ملابسات الحياة الأرضية ، عنصر يرفع النفوس عن الإحن والضغن ، ويوسع من آفاق الحياة ، ويمدها وراء الحاضر الواقع الصغير ، هو عنصر الإيمان بالله ، واليوم الآخر ، وتذكر نعمة الله فى شتى صورها ابتداء من نعمة الإيمان ـ أرفع النعم ـ إلى نعمة الصحة والرزق واستحضار تقوى الله والرجاء فى العوض منه عن الحياة الزوجية الفاشلة والنفقة الضائعة ، وهذا العنصر الذى تستحضره الآيتان اللتان تتحدثان هنا عن إيثار المعروف والجميل والحسنى ، سواء اتصلت حبال الزوجية أو انفصمت عراها .

**ويقول صاحب الظلال** : لقد كانت المرأة فى الجاهلية تلاقى من العنت ما يتفق وغلظة الجاهلية وانحرافها ، كانت تلقى هذا العنت طفلة توأد فى بعض الأحيان ، أو تعيش فى هوان ومشقة وإذلال ! وكانت تلقاه زوجة هى قطعة من المتاع للرجل ،أغلى منها الناقة والفرس وأعز! وكانت تلقاه مطلقة ، تعضل فتمنع من الزواج حتى يسمح مطلقها ويأذن ! أو يعضلها أهلها دون العودة إلى مطلقها ، إن أرادا أن يتراجعا ، وكانت النظرة إليها بصفة عامة نظرة هابطة زرية ؛ شأنها فى هذا الشأن سائر الجاهليات السائدة فى الأرض فى ذلك الأوان . ثم جاء الإسلام ، ينسم على حياة المرأة هذه النسمات الرخية التى نرى هنا نماذج منها ، وجاء يرفع النظرة إليها فيقرر ، أنها والرجل نفس واحدة من خلقة بارئها ، وجاء يرتفع بالعلاقات الزوجية إلى مرتبة العبادة عند الإحسان فيها . هذا ولم تطلب المرأة شيئًا من هذا ولا كانت تعرفه، ولم يطلب الرجل شيئًا من هذا ولا كان يتصوره ، إنما هى الكرامة التى أفاضها الله من رحمته للجنسين معاً ، على الحياة الإنسانية جميعاً .

وآيات الله التى تحدثت فى العشرة والطلاق واضحة مستقيمة جادة ؛ تقصد إلى تنظيم هذه الحياة وإقامتها على الجد والصدق ، فإذا هو استغلها فى إلحاق الإضرار والأذى بالمرأة ، متلاعباً بالرخص التى جعلها الله متنفساً وصمام أمن ، واستخدام حق الرجعة الذى جعله الله فرصة لاستعادة الحياة الزوجية وإصلاحها ، فى إمساك المرأة لإيذائها وإشقائها ، إذا فعل شيئًا من هذا فقد اتخذ آيات الله هزوًا ،فالله يأمر عباده المؤمنين إذا طلق أحدهم امرأته وقاربت نهاية عدتها أن يراجعها فيمسكها بمعروف ، والمعروف هو حسن عشرتها أو يتركها حتى تنقضى عدتها ويسرحها بمعروف ، فيعطيها كامل حقوقها ، ولا يذكرها إلا بخير ، ويتركها تذهب حيث شاءت ، وحرم على أحدهم أن يراجع امرأته من أجل أن يضر بها ، فلا هو يحسن إليها ، ولا يطلقها فتستريح منه ، ومن يفعل ذلك ، فقد عرض نفسه للعذاب الأخروى ، كما نهى ـ تعالى ـ عن التلاعب بالأحكام الشرعية ، وذلك بإهمالها وعدم تنفيذها ، وأمرهم أن يذكروا نعمة الله عليهم حيث منَّ عليهم بالإسلام ـ دين الرحمة والعدالة والإحسان ، وذلك ليشكروه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، كما عليكم أن تذكروا ما أنزل الله عليكم من القرآن والسنة يذكركم به ويخوفكم ، وتذكر ذلك إنما يكون بالشكر بالقيام بالحق ، واتقوا الله فيما امتحنكم به ، والله لا يخفى عليه من أمركم شىء ، وإذا طلقتم النساء فانقضت عدتهن فلا تمنعوهن أن يتزوجن من أزواجهن الأول اللائى يرغبن فيهم ، ويصلحون لهن إذا تراضى الخطاب والنساء ضمن حدود المعروف ، وهذا ليتعظ به أهل الإيمان بالله واليوم الآخر فهم أهل الاستجابة والموعظة تنجح فيهم ، وترك العضل والضرار أفضل وأطيب لأنفسكم ، وأطهر لها من أدناس أهل الآثام ، والله هو العالم وأنتم لا تعلمون ، ومن ثم فهو الذى يحكم ، ويأمر وينهى ، ويشرع ، وليس لكم شىء من ذلك ، فما أجهل من نازع الله حق التشريع .

وبعد أن رفع الله الأمر كله إلى أفق العبادة ، وعلقه بعروة الله ، وطهره من شوائب الأرض ، وأدران الحياة ، وملابسات الشد والجذب التى تلازم جو الطلاق والفراق كفل للفراخ الناشئة

ضمانات دقيقة مفصلة ، تستوفى كل حالة من الحالات : فعلى الوالدة المطلقة واجبٌ تجاه طفلها الرضيع واجب يفرضه الله عليها ولا يتركها فيه ، لفطرتها وعاطفتها التى قد تفسدها الخلافات الزوجية ، فيقع الغرم على هذا الصغير . إذن يكفله الله ويفرض له فى عنق أمه ، فالله أولى بالناس من أنفسهم ، وأبر منهم وأرحم من والديهم ، والله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين ؛ لأنه ـ سبحانه ـ يعلم أن هذه الفترة هى المثلى من جميع الوجوه الصحية والنفسية للطفل: ﴿ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ ، وللوالدة فى مقابل ما فرضه الله عليها حق على والد الطفل ؛ أن يرزقها ويكسوها بالمعروف والحسنى ، فكلاهما شريك فى التبعية ، وكلاهما مسؤول تجاه الصغير الرضيع ، هى تمده باللبن والحضانة ، وأبوه يمدها بالغذاء والكساء لترعاه .

ولا ينبغى أن يتخذ أحد الوالدين من الطفل لمضارة الآخر فلا يستغل الأب عواطف الأم وحنانها ولهفتها على طفلها ، ليهددها فيه أوتقبل رضاعته بلا مقابل . ولا تستغل هى عطف الأب على ابنه وحبه له لتثقل كاهله بمطالبها والواجبات الملقاة على الوالد تنتقل فى حالة وفاته إلى وارثه الراشد ، فهو المكلف أن يرزق أمه ويكسوها بالمعروف والحسنى ـ تحقيقاً للتكافل العائلى الذى يتحقق طرفه بالإرث ، ويتحقق طرفه الآخر باحتمال تبعات المورث ، فإذا شاء الوالد والوالدة أوالوالدة والوارث ، أن يفطما الطفل قبل استيفاء العامين ؛ لأنهما يريان مصلحة للطفل فى ذلك الفطام ، لسبب صحى أو سواه ، فلا جناح عليهما ، إذا تم هذا بالرضا بينهما ، وبالتشاور فى مصلحة الرضيع الموكول إليهما رعايته ، المفروض عليهما حمايته ، كذلك إذا رغب الوالد فى أن يحضر لطفله مرضعاً مأجورة حين تحقق مصلحة الطفل ، فى هذه الرضاعة فله ذلك على شرط أن يوفى المرضع أجرها، وأن يحسن معاملتها ؛ فذلك ضمان لأن تكون للطفل ناصحة ، وله راعية وواعية . وفى النهاية يربط الأمر كله بذلك الرباط الإلهى .. بالتقوى، بذلك الشعور العميق اللطيف الذى يكل إليه ما لا سبيل لتحقيقه إلا به . ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ حرمة التلاعب بالأحكام الشرعية بعدم مراعاتها أو التحايل عليها ، فالمؤمن لا يتعدى حدود الله ، ولا يتخذ آياته هزواً .

٢ ـ وجوب تقوى الله فى السر والعلن ، ومراقبة الله ـ تعالى ـ فى سائر شؤون الحياة لأنه بكل شىء عليم .

٣ ـ وجوب ذكر نعمة الله على العبد ، وذلك بذكرها باللسان ، والاعتراف بها بالجنان ، وحمده عليها آناء الليل وأطراف النهار .

٤ ـ الموعظة لا ينتفع بها إلا أهل الإيمان وأصحاب القلوب المخبتة لربها ، والنصيحة لا تقع عند كل الناس موضع الرضا والقبول بمجرد كونها مبنية على الحق ، بل يقبلها راسخ الإيمان بالله، المستشعر رقابة الله ـ عز وجل ـ على أعماله فى الدنيا ، والمجازى له بها فى الآخرة .

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ
وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۖ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟
ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ
وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾
٣٨

**معانى الكلمات :**

**يتوفون** : يموتون . **يذرون أزواجاً** : يتركون زوجات لهم . **يتربصن بأنفسهن** : ينتظرن حتى انقضاء عدتهن وهى أربعة أشهر وعشر ليال . **بلغن أجلهن** : بلغن انتهاء العدة . **الجناح** : الإثم المترتب على المعصيّة . **ما لم تمسوهن** : ما لم تجامعوهنّ.

**أو تفرضوا** : تُقدّروا لهن مهراً . **المقتر** : الضيّق العيش . **الذى بيده عقدة النكاح** : هو الزوج .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ـ أن نتبين حكم المتوفى عنها زوجها فى عدتها ، وخطبتها بعد انقضاء العدة والتعريض بالخطبة فى أثنائها .

٢ ـ أن نعلم حكم المطلقة قبل الدخول بها .

٣ ـ أن نعرف أن الإحسان والمعروف فى العشرة عبادة لله ـ تعالى .

**المحتوى التربوى :**

يتواصل السياق برعايته للمرأة التى كانت تلقى العنت والمشقة بعد وفاة زوجها من الأهل وقرابة الزوج والمجتمع كله، وعند العرب كانت إذا مات زوجها دخلت مكانًا رديئًا ، ولبست شر ثياب ، ولم تمس طيباً ولا شيئاً مدة سنة ، ثم تخرج فتقوم بعدة شعائر سخيفة تتفق مع سخف الجاهلية ، من أخذ بعرة وقذفها ومن ركوب دابة : حمارة أو شاة .. إلخ فلما جاء الإسلام خفف عنها هذا العنت ، بل رفعه كله عن كاهلها ، ولم يجمع عليها فقدان الزوج واضطهاد الأهل بعده، وإغلاق السبيل فى وجهها دون حياة شريفة ، وحياة عائلية مطمئنة . جعل عدتها أربعة أشهر وعشر ليال ـ ما لم تكن حاملاً فعدتها عدة الحامل ـ وهى أطول قليلاً من عدة المطلقة . تستبرئ فيها رحمها ، ولا تجرح أهل الزوج فى عواطفهم بخروجها لتوها ، وفى أثناء هذه العدة تلبس ثياباً محتشمة ، ولا تتزين للخطاب .

فأما بعد هذه العدة فلا سبيل لأحد عليها ، سواء من أهلها أو من أهل الزوج ، ولها مطلق حريتها فيما تتخذه لنفسها من سلوك شريف فى حدود المعروف من سنة الله وتشريعه ، فلها أن تأخذ زينتها المباحة للمسلمات ، ولها أن تتلقى خطبة الخطاب ، ولها أن تزوج نفسها ممن ترتضى ، لا تقف فى سبيلها عادة بالية ، ولا كبرياء زائف . وليس عليها من رقيب إلا الله .

**ويقول صاحب الظلال** : هذا شأن المرأة ، ثم يلتفت السياق إلى الرجال الراغبين فيها فى فترة العدة فيوجههم توجيهاً قائماً على أدب النفس ، وأدب الاجتماع ، ورعاية المشاعر والعواطف مع رعاية الحاجات والمصالح ، فالمرأة ما تزال معلقة بذكرى لم تمت ، وبمشاعر أسرة الميت ، ومرتبطة كذلك بما قد يكون فى رحمها من حمل لم يتبين ، أو حمل تبين والعدة معلقة بوضعه ، وكل هذه الاعتبارات تمنع الحديث عن حياة زوجية جديدة ؛ لأن الحديث لم يحن موعده ، ولأنه يجرح مشاعر ، ويخدش ذكريات .

ومع رعاية هذه الاعتبارات فقد أبيح التعريض ـ لا التصريح ـ بخطبة النساء ، أبيحت الإشارة البعيدة التى تلمح منها المرأة أن هذا الرجل يريدها زوجة بعد انقضاء عدتها ، كذلك أبيحت الرغبة المكنونة التى لا يصرح بها لا تصريحًا ولا تلميحًا ، لأن الله يعلم أن هذه الرغبة لا سلطان لإرادة البشر عليها ؛ وقد أباحها الله لأنها تتعلق بميل فطرى حلال أصله ، مباح فى ذاته ، والإسلام يلحظ ألا يحطم الميول الفطرية إنما يهذبها ، ومن ثم ينهى فقط عما يخالف نظافة الشعور وطهارة الضمير ، فلا جناح أن تعرضوا بالخطبة أو تكنوا فى أنفسكم الرغبة . والمحظور هو المواعدة سراً على الزواج قبل انقضاء العدة ، ففى هذا مجانبة لأدب النفس ، ومخالسة لذكرى الزوج ، وقلة استحياء من الله الذى جعل العدة فاصلًا بين عهدين من الحياة ، إلا أن تقولوا قولا لا نكر فيه ولا فحش ولا مخالفة لحدود الله التى بينها فى هذا الموقف الدقيق ، ولا تعزموا عقدة النكاح حتى تنقضى عدتها بأن يبلغ التربص المكتوب عليها غايته ، والله لا يخفى عليه شىء مما فى أنفسكم وتصرفاتكم فى العزم على ما لا يجوز ، فاحذروا أن تعزموا على ما حرم عليكم ، واعلموا أن الله لا يعاجل فى العقوبة ، ويتوب على من تاب ، ويعفو عن كثيرٍ ، فهو غفور حليم .

ثم يجىء حكمُ المطلقة قبل الدخول ، ولم يكن قد فُرض لها مهر معلوم ، والمهر فريضة ، فالواجب فى هذه الحالة على الزوج المطلق أن يمتعها ـ أى أن يمنحها عطية حسبما يستطيع ـ ولهذا العمل قيمته النفسية بجانب كونه نوعاً من التعويض ، إن انفصام العقدة من قبل ابتدائها ينشئ جفوة مُمضة فى نفس المرأة ، ويجعل الفراق طعنة عداء وخصومة ، ولكن التمتع يذهب بهذا الجو المكفهر ، وينسم فيه نسمات من الود والمعذرة ؛ ويخلع على الطلاق جو الأسف والأسى ، فهى محاولة فاشلة إذن وليست ضربة مسددة ! ولهذا يوصى أن يكون المتاع بالمعروف استبقاء

للمودة الإنسانية ، واحتفاظاً بالذكرى الكريمة ، وفى الوقت نفسه لا يكلف الزوج ما لا يطيق ، فعلى الغنى بقدر غناه، وعلى الفقير فى حدود ما يستطيع .

والحالة الثانية : أن يكون قد فرض مهرًا معلومًا ، وفى هذه الحالة يجب نصف المهر المعلوم . هذا هو القانون ، ولكن القرآن يدع الأمر بعد ذلك للسماحة والفضل واليسر ، فللزوجة ـ ولوليها إن كانت صغيرة ـ أن تعفو وتترك ما يفرضه القانون ، والتنازل فى هذه الحالة هو تنازل الإنسان الراضى القادر العفوّ السمح ، الذى يعفو عن مال رجل قد انفصمت منه عروته ، ومع هذا فإن القرآن يظل يلاحق هذه القلوب ، كى تصفو وتخلو من كل شائبة .

يلاحقها باستجاشة شعور التقوى ، ويلاحقها باستجاشة شعور السماحة والفضل ، ويلاحقها باستجاشة شعور مراقبة الله ؛ ليسود الحلم والتفضل جو هذه العلاقة ناجحة كانت أم خائبة ؛ ولتبقى القلوب نقية خالصة صافية موصولة بالله فى كل حال .

وما زال يتكرر التأكيد على وجوب الالتزام بالتقوى والإحسان فيما يتعلق بأحكام الزواج والطلاق ، الأمر الذى يدل على أن أى حكم شرعى لا يمكن أن يتم تنفيذه بصورته الحقيقية المطلوبة، ما دام أفراد المجتمع يُعامل بعضهم بعضاً معاملة قانونية بحتة لا روح فيها ولا عاطفة، بل يجب أن تسود فيما بينهما روح التصرف الجميل ؛ لأن سوء التصرف والتحايل والتلاعب فى تطبيق حدود الله ، عاقبته الوخيمة إنما تعود على أصحاب هذا التصرف لا محالة .

لأن كل الأمور مردها إلى الله ـ عز وجل ، حيث لا يغنى هنا تلاعب الألفاظ ، ولا تحايل على من لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ الدعوة إلى إبقاء المودة والفضل والإحسان بين الأسرتين أسرة المطلقة ، وأسرة الزوج المطلق ، حتى لا يكون الطلاق سببًا فى العداوات والتقاطع .

٢ ـ وجوب مراقبة الله ـ تعالى ـ فى السر والعلن واتقاء الأسباب المفضية بالعبد إلى فعل محرم.

٣ ـ لم تنل المرأة حقوقها ولم يرفع شأنها إلا فى ظلال الإسلام ، فلتعتز الأسرة المسلمة بذلك ولتفتخر بإسلامها وتلتزم بتعاليمه .

٤ ـ شمولية الإسلام أحكامه وتشريعاته ، فهو دين شامل ينتظم شؤون الحياة جميعًا ولا يتم إسلام مسلم إلا إذا فهمه وطبقه وفق هذا الشمول فى الزواج والطلاق وكل مناحى الحياة .

٥ ـ الالتزام بأحكام الشرع فى الزواج والطلاق يحفظ الوشائج والروابط بين المجتمع وينشر الفضل والسماحة بدلًا من الإحن والضغائن .

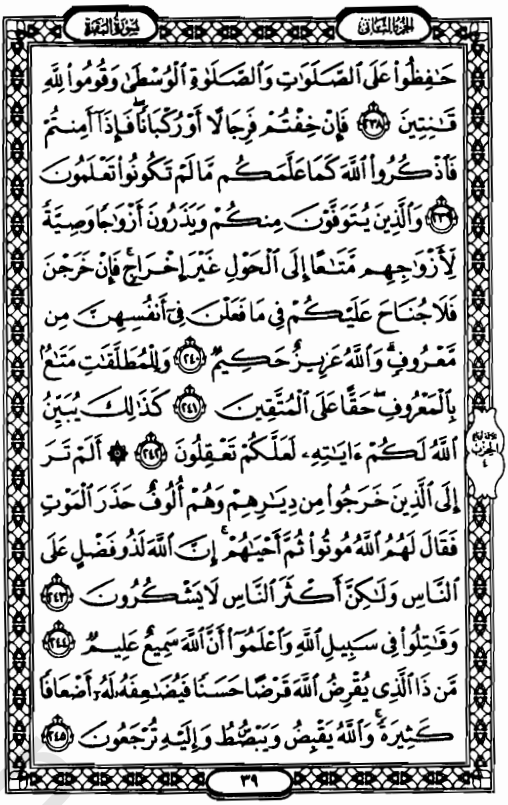
حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ
قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ
فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ
﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً
لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن
مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ
بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ
إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾
مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾
٣٩

**معانى الكلمات :**

**الصلاة الوسطى**: صلاة العصر أو الصبح.

**قانتين** : خاشعين ساكنين . **فرجالاً** : مُشاةً على أرجلكم أو ركباناً على الدواب وغيرها مما يركب . **الحول** : العام . **ألوف** : جمع ألف « جمع كثرة » . **يقرض الله** : يقتطع شيئاً من ماله وينفقه فى الجهاد وإعداد المجاهدين . **يقبض** : يضيق ، **ويبسط** : يوسع .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتبين مدى الأهمية البالغة التى ينظر الله بها إلى الصلاة .

٢ ـ أن نعلم أن مهمة الجماعة المسلمة القيام على شريعة الله وحراستها من خروج أى فرد عليها .

٣ ـ أن نعرف أن الجماعة المسلمة وارثة العقيدة الإيمانية ، وهى أيضاً وارثة التجارب.

**المحتوى التربوى :**

تتجلى فى هذه الآيات لفتة جديرة بالتأمل وهى الحديث عن الصلاة ـ أكبر عبادات الإسلام ـ ولم ينته بعد من هذه الأحكام المتعلقة بالأسرة فيما يخص الزواج والطلاق ، وما أحسن ما علق به صاحب الظلال على هذه اللفتة قائلًا : « ... يدس الحديث عن الصلاة فى هذا الجو ، فيوحى بأن الطاعة لله فى كل هذا عبادة كعبادة الصلاة ، ومن جنسها ، وهو إيحاء لطيف من إيحاءات القرآن ، وهو يتسق مع التصور الإسلامى لغاية الوجود الإنسانى فى قوله ـ تعالى : ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ . واعتبار العبادة غير مقصورة على الشعائر ، بل شاملة لكل نشاط ، الاتجاه فيه إلى الله ، والغاية منه طاعة الله

وورود هاتين الآيتين فى شأن الصلاة بعد آيات فى الطلاق لمقاصد ،منها :

**أولاً** : جاءت هذه الآيات فى حيز الأمر بالدخول فى الإسلام كله ، وإذا سار السياق فى أحكام حياتية كثيرة فقد ناسب التذكير بالصلاة فى هذا المقام ؛ ليعلم أن الصلاة هى الابتداء ، وهى الوسط ، وهى الانتهاء ، وأنها ضرورية ، ومحلها فى الإسلام لا يصح أن ينسى .

**ثانياً** : إنه بلا معرفة بالله لا يدخل الإنسان فى الإسلام كله ، وبلا صلاة لا تكون هناك معرفة بالله ، ولا يمكن الإنسان الدخول فى الإسلام كله ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ فلا دخول فى الإسلام كله إلا بصلاة، ومن ثَمَّ ذكرت الصلاة فى هذا السياق .

**ثالثاً** : إن مجىء الأمر بالصلاة بين أحكام الطلاق وغيرها من شؤون النساء يشعر أن هذه الأحكام تحتاج إلى صلاة فى كل حال ، فى السلم والحرب ، حتى تقوم . وأن المسلم الذى لا يقيم الصلاة فى كل حال ، لا يقيم أحكام الله الأخرى .

**رابعاً** : مجىء هاتين الآيتين هنا توطئة لما بعد آيات الطلاق ، بما قبل آيات الطلاق والنكاح، فبعض الأسئلة التى ذكرت فى الآيات السابقة على آيات النكاح ذكرت فريضة القتال ، وما بعد آيات الطلاق كلام عن القتال . وفى هاتين الآيتين أمر بالصلاة وإقامتها حتى فى القتال ، وهكذا الإسلام ؛ كل متكامل . يتغذى كل جزء منه من الآخر ، ويخدم كل جزء منه الآخر ، وقيامه جميعاً مرتبط بعدم نسيان جزء منه . ولا إسلام إلا بالصلاة » .

**يقول صاحب الظلال** : « وهذا الأمر عجيب حقاً ، وهو يكشف عن مدى الأهمية البالغة التى ينظر الله بها إلى الصلاة ، ويوحى بها لقلوب المسلمين . إنها عدة فى الخوف والشدة ، فلا تترك فى ساعة الخوف البالغ ، وهى العدة ، ومن ثَمَّ يؤديها المحارب فى الميدان ، والسيف فى يده ، والسيف على رأسه ، يؤديها فهى سلاح للمؤمن كالسيف الذى فى يده ، وهى جنة له كالدرع التى تقيه . يؤديها فيتصل بربه أحوج ما يكون للاتصال به ، وأقرب ما يكون إليه والمخافة من حوله .

إن هذا الدين عجيب ، إنه منهج العبادة ، العبادة فى شتى صورها والصلاة عنوانها ، وعن طريق العبادة يصل الإنسان إلى أرفع الدرجات ، وعن طريق العبادة يثبته فى الشدة ، ويهذبه فى الرخاء ، وعن طريق العبادة يدخل فى السلم كافة ويفيض عليه السلام والاطمئنان ، ومن ثم هذه العناية بالصلاة والسيوف فى الأيدى وفى الرقاب !

ويعود السياق للحديث مرة أخرى عن أحكام الأسرة فيقرر حق المتوفى عنها زوجها فى وصية منه تسمح لها بالبقاء فى بيته والعيش من ماله ، مدة حول كامل ، لا تخرج ولا تتزوج إن رأت من مشاعرها أو من الملابسات المحيطة بها ما يدعوها إلى البقاء ، وذلك مع حريتها فى أن تخرج بعد أربعة أشهر وعشر ليال كالذى قررته آية سابقة . فالعدة فريضة لها ، والبقاء حولًا حق لها ، وأوكل أمر تنفيذ هذا التشريع لجماعة تقوم على شريعته وتحرسها من خروج أى فرد عليها ، ولفت القلوب إلى قوته ـ عز وجل ـ وحكمته فيما يفرض وما يوجه ، وعقب بآية بالغة أن البيان فى هذه الآيات لو تعقله الناس ، وتدبروا هذا المنهج الإلهى لكان لهم معه شأن الطاعة والاستسلام والرضا والقبول ، والسلم الفائض فى الأرواح والعقول .

وينتقل السياق ليعرض تجربتين من تجارب الأمم ، يضمهما إلى ذخيرة هذه الأمة من التجارب ؛ لتكون لها زاداً وعبرة فى طريقها إلى الله ، بوصفها وارثة العقيدة الإيمانية ، ووارثة التجارب فى هذا الحقل الخصيب . والتجربة الأولى لا يذكر القرآن أصحابها ، فهى تجربة جماعة : ﴿ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ ، فلم ينفعهم الخروج والفرار والحذر ، وأدركهم قدر الله الذى خرجوا حذراً منه، فقال لهم الله : ﴿ مُوتُواْ ﴾ ﴿ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾ لم ينفعهم الجهد فى اتقاء الموت ، ولم يبذلوا جهداً فى استرجاع الحياة . وإنما هو قدر الله فى الحالتين .

وفى ظل هذه التجربة يتجه إلى الذين آمنوا يحرضهم على القتال ، وعلى الإنفاق فى سبيل الله ، واهب الحياة ، وواهب المال ، والقادر على قبض الحياة وقبض المال .

وإيراد القصة هنا ومغزاها هو تصحيح التصور عن الموت والحياة ، وأسبابهما الظاهرة ، وحقيقتهما المضمرة ؛ ورد الأمر فيهما إلى القدرة المدبرة ، والاطمئنان إلى قدر الله فيهما والمضى فى حمل التكاليف والواجبات دون هلع ولا جزع، فالمقدر كائن ، والموت والحياة بيد الله فى نهاية المطاف .

وإذا كان الموت والحياة بيد الله ، والحياة لا تذهب بالقتال إذا قدر الله لها البقاء ، فكذلك المال لا يذهب بالإنفاق. إنما هو قرض حسن لله ، مضمون عنده ، يضاعفه أضعافًا كثيرة يضاعفه فى الدنيا مالاً وبركة وسعادة وراحة ؛ ويضاعفه فى الآخرة نعيماً ومتاعاً ، ورضا وقربًا من الله ، وإذن فلا فزع من الموت ، ولا خوف من الفقر ، ولا محيد عن الرجعة إلى الله . وإذن فليجاهد المؤمنون فى سبيل الله ، وليقدموا الأرواح والأموال ، وليستيقنوا أن أنفاسهم معدودة ، وأن أرزاقهم مقدرة ، وأنه من الخير لهم أن يعيشوا الحياة قوية طليقة شجاعة كريمة . ومردهم بعد ذلك إلى الله.

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ عن طريق العبادة يصل المسلم إلى أرفع الدرجات ، والصلاة زاد للثبات فى الشدة ، وزاد للتهذيب فى الرخاء ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ .

٢ ـ العبادة ليست مقصورة على الشعائر ، بل شاملة لكل نشاط ، الاتجاه فيه إلى الله ، والغاية فيه رضاه .

٣ ـ الحياة لا تذهب بالقتال إذا قدر الله لها البقاء ، والإنفاق لا يذهب المال ، بل ينميه ، وإنفاقه فى مصارفه الشرعية قربى إلى الله .

٤ ـ الأنفاس معدودة ، والأرزاق مقدرة ، فمن الخير أن نعيش الحياة قوية كريمة ، إذن فلا نامت أعين الجبناء .

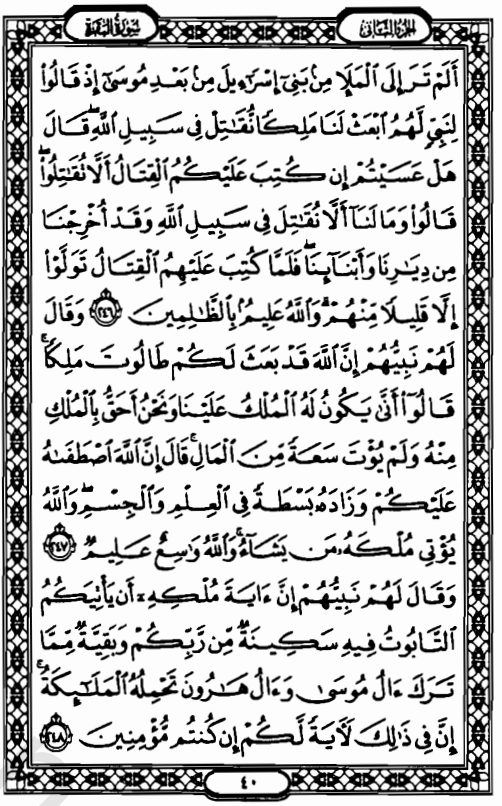


**معانى الكلمات :**

**الملأ** : أهل الحل والعقد وأشراف الناس .

**اصطفاه** : فضله عليكم واختاره لكم .

**زاده بسطة** : زاده سعة وامتدادًا وفضيلة .

**أن يأتيكم التابوت** : هو صندوق التوراة فيه بقية من آثار موسى وآل هارون .

**سكينة** : طمأنينة القلب وهدوء النفس .

**آية ملكه** : علامة ملكه .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ـ أن نعلم أهمية التربية الإيمانية والتدريب الجيد فى مسيرة الدعوة .

٢ ـ أن نتعرف على أهمية وجود القيادة الصالحة الحازمة المؤمنة والالتفاف حولها .

٣ ـ أن نتعرف على سمات بنى إسرائيل من نقض العهد ، والنكث بالدعوة ، والتفلت من الطاعة ، وتفرق الكلمة .

**المحتوى التربوى :**

تتحدث الآيات عن قصة وتجربة جديدة لبنى إسرائيل من بعد موسى ـ عليه السلام ـ حيث استولى أعداؤهم على صندوق التوراة الذى كان نعمة من نعم الله عليهم ، وكان شأنه عجيبًا ، فحينما يشتبكون مع أعدائهم فى قتال يحملونه بين أيديهم ، ويقدمونه فى صفوفهم ، فينشر فى قلوبهم سكينة واطمئناناً ،ويبعث فى أعدائهم الرعب والفزع، لما فيه من سر عجيب ومزايا خصه الله بها.

فاجتمعوا إلى نبى لهم ، وطلبوا إليه أن يعين لهم ملكا يقاتلون تحت إمرته ﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ **ويقول صاحب الظلال** : وهذا التحديد منهم لطبيعة القتال وأنه فى ﴿ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يشى بانتفاضة العقيدة فى قلوبهم ، ويقظة الإيمان فى نفوسهم ، وشعورهم بأنهم أهل دين وعقيدة وحق ، وأن أعداءهم على ضلالة وكفر وباطل ؛ ووضوح الطريق أمامهم للجهاد فى سبيل الله .

وهذا الوضوح وهذا الحسم هو نصف الطريق إلى النصر ، فلابد للمؤمن أن يتضح فى حسه أنه على الحق ، وأن عدوه على الباطل ؛ ولابد أن يتجرد فى حسه الهدف ـ فى سبيل الله ـ فلا يغشيه الغبش الذى لا يدرى معه إلى أين يسير .

﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ ، وهنا نطلع على سمة خاصة من سمات بنى إسرائيل فى نقض العهد ، والنكث بالوعد ، والتفلت من الطاعة ، والنكوص عن التكليف ، وتفرق الكلمة ، والتولى عن الحق البين . ولكن هذه كذلك سمة كل جماعة لا تنضج تربيتها الإيمانية ؛ فهى سمة بشرية عامة لا تغير منها إلا التربية الإيمانية العالية الطويلة الأمد العميقة التأثير ـ من ثَمَّ ـ سمة ينبغى للقيادة أن تكون منها على حذر ، وأن تحسب حسابها فى الطريق الوعر ، كى لا تفاجأ بها ، فيتعاظمها الأمر !

ويقول الشيخ رشيد رضا : ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ ذلك أن الأمم إذا قهرها العدو ونكل بها يفسد بأسها ، ويغلب عليها الجبن والمهانة ، فإذا أراد الله إحياءها بعد موتها ينفخ روح الشجاعة والإقدام فى خيارها ، وهم الأقلون ، فيعملون ما لا يعمل الأكثرون .

وتتوالى الآيات توضح سلوك بنى إسرائيل بين اللجاجة والتعنت ، فلما تم التعيين نزولاً عند رغبتهم فى أن يكون لهم ملك وكان التعيين بناءً على الخصائص المناسبة للحال . فهم يحتاجون إلى ملك يجتمع له العلم بالشريعة ، وفن القتال ، والقوة الجسدية كى يقوم بأعباء القيادة ، وكان طالوت ذلك الرجل ، ولكنهم اعترضوا تعنتًا ، وكان الأولى بهم التسليم والطاعة لو كانوا مؤمنين حقاً . وسبب اعتراضهم أنهم يتصورون أن الملك لا يستحقه أحد إلا بنسب أو مال ، فبين لهم أن هذا اصطفاء الله واختياره ، وتلك مشيئته ، وهو واسع الفضل ، يختص برحمته من يشاء ، عليم بمن يستحق الملك ، ممن لا يستحقه .

**ويقول صاحب الظلال** : وهى أمور من شأنها أن تصحح التصور المغشوش ، وأن تجلو عنه الغبش ، ولكن طبيعة بنى إسرائيل ـ ونبيها يعرفها ـ لا تصلح لها هذه الحقائق العالية وحدها وهم مقبلون على معركة ، ولابد لهم من خارقة ظاهرة تهز قلوبهم ، وتردها إلى الثقة واليقين . وهذه الخارقة هى مجىء التابوت ، تحمله الملائكة ، كآية تزيد طمأنينتهم ، ليزدادوا إيمانًا بنبيهم ، وليطمئنوا إلى إمرة طالوت ، وفى التابوت ما يتباركون به وهو من بقية آثار موسى وآل هارون . ومجىء هذه المعجزة فى هذه الحال لا تبقى شكا لمؤمن أن الله هو الذى اصطفى طالوت وأن نبيهم صادق ، وأن طالوت جدير بما وضعه الله فيه ، ولم يبق لهم إلا خوض المعركة والطاعة التامة لطالوت بعد تدعيم هذه الثقة وترسيخ هذا اليقين .

قلت : إن أقضية الله ـ سبحانه وتعالى ـ مبنية على أساس من السعة والعلم ، ولذا فإن العبد المحبب إلى الله هو الذى ينظر إلى الأمور بروح سمحة ، وعقل منفتح ، وإذا اتخذ موقفاً من

إحدى القضايا فإنما يكون بناءً على الحقائق المجردة وحدها ، وليس بناءً على التعصبات الشخصية ، بيد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وثق جدارة «طالوت» بتولى الإمارة ؛ من خلال الإتيان بالتابوت لتدعيم الثقة واليقين .

وفسَّر النسفى البقية الموجودة فى التابوت بأنها رضاض الألواح ، وعصا موسى وثيابه ، وشىء من التوراة ، وعمامة هارون عليهما السلام ، وكان موسى ﷺ إذا قاتل قدَّمه ، فكانت تسكن نفوس بنى إسرائيل ، ولا يفرون . وقال ابن عباس : ( جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض ، حتى وضعته بين يدى طالوت والناس ينظرون ) ، ولعل هذه الآية تناسب شخصية بنى إسرائيل المتعنتة واللجاجة فى الحق ـ دائمًا ـ رغم انبلاجه .

ولم يزل بنو إسرائيل ـ منذ أن خرجوا من أرض مصر ـ يتوارثون بينهم تابوتًا مقدسًا ، محتويًا على رضاض ألواح التوراة وغيرها من المتبركات،ويحسبونه رمزاً للظفر والانتصار على أعدائهم، وكان الفلسطينيون قد أخذوا هذا التابوت منهم ، وذهبوا به معهم ، غير أنهم ما كانوا يضعونه فى بلدة ما حتى تنتشر فيها صنوف من الأمراض الوبائية ، مما جعلهم يتشاءمون من وجود التابوت عندهم ، فما لبثوا أن وضعوه على عربة يجرها ثوران ، وما برح الثوران يسيران بالعربة فى الاتجاه الذى سيقا له ؛ حتى أفضى بهما المساق حيث القرى اليهودية الآهلة ، وفى رجوع التابوت إليكم علامة أن الله قد ملك طالوت عليكم إن كنتم مصدقين بالله واليوم الآخر ، والرسل .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ـ دلت الآيات على أنه لا يحمى حمى الإسلام والمسلمين إلا الجهاد والقتال ، وأن الجهاد والقتال يحتاجان إلى إمرة ، وطاعة ، وانضباط ، وإيمان ، وافتقار إلى الله . كما دلت الآيات على أن الهجوم هو طريق النصر .

٢ ـ من شروط الولاية الكفاءة وأهم خصائصها العلم ، وسلامة العقل والبدن .

٣ـ الجهاد الشرعى يشترط له الإمام المبايع بيعة شرعية .

٤ ـ من الحكم فى مشروعية الجهاد ، دفع أهل الكفر والظلم بأهل الإيمان والعدل ، لتنتظم الحياة ، وينعم الكون بالسلام .

٥ ـ إذا أراد الله إسعاد أمة جعل ملكها مقوياً لما فيها من الاستعداد للخير ؛ حتى يغلب خيرها على شرها ، فتكون سعيدة ، وإذا أراد إهلاك أمة جعل ملكها مقويًا لدواعى الشر فيها؛ حتى يغلب شرها على خيرها فتكون شقية ذليلة ، فتعدو عليها أمة قوية ، فلا تزال تنقصها من أطرافها ، وتناجزها الحرب ، حتى تزيل سلطانها من الأرض ، وذلك بمشيئة الله ، وفق سننه فى مقتضى الاجتماع .

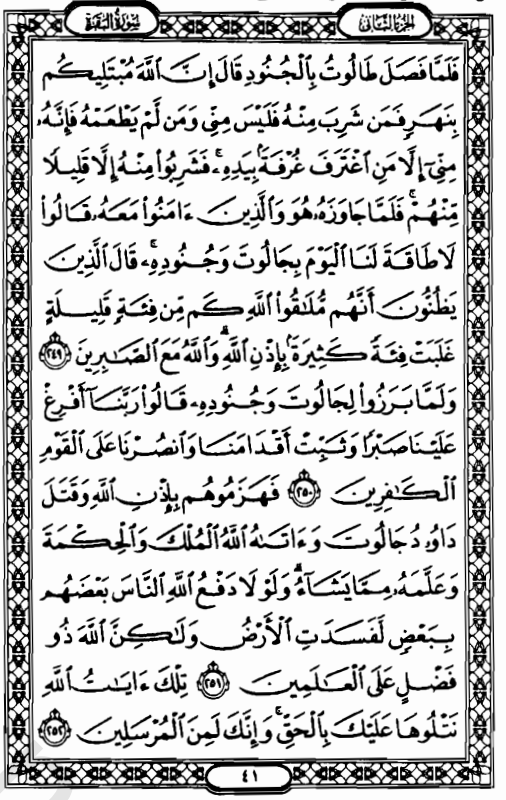

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم
بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ
مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ قَالُوا
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ الَّذِينَ
يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ اللَّهِۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ
عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ
وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
فَضْلٍ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ اللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾
٤١

**معانى الكلمات :**

**فصل طالوت** : انفصل من الديار وخرج يريد العدو . **مبتليكم بنهر** : مختبركم بنهر جار لعله هو نهر الأردن الآن . **ومن لم يطعمه**: لم يشرب منه . **غرفة**: بالفتح المرة ، وبالضم الاسم من الاغتراف . **جاوزه** : جاوز طالوت النهر . **يظنون** : يعتقدون ( وهم الأخيار ) . **أفرغ علينا صبراً**: أفض علينا صبرًا ، يعمنا فى جمعنا وفى نفوسنا . **الحكمة** : النبوة .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نؤمن أن التعامل مع وعد الله الواقع الظاهر للقلوب أصدق من التعامل مع الواقع الصغير الظاهر للعيون .

٢ ـ أن نعلم أهمية الممارسة العملية ، فالنية الصالحة وحدها لا تكفى .

٣ ـ أن نتعرف على أهمية المدافعة فى إقرار الحق فى الأرض .

**المحتوى التربوى :**

وتستأنف الآيات القصة بإعداد طالوت جيشه ممن لم يتولوا عن فريضة الجهاد ، ولم ينكصوا عن عهدهم مع نبيهم من أول الطريق ، ويتعرض الجيش لاختبار الإرادة ، حيث ابتلاهم الله بنهر مع شدة عطش ، ليبلو القائد إرادة جيشه فأباح لهم أن يغترف منهم من يريد غرفة بيده ، تبل الظمأ ، وحرم عليهم طعمه أى الرى الكامل منه : ﴿ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِّنْهُمْ ﴾ .

**ويقول صاحب الظلال** : هنا يتجلى لنا مصداق حكمة الله فى اصطفاء هذا الرجل ، إنه مقدم على معركة ؛ ومعه جيش من أمة مغلوبة ، عرفت الهزيمة والذل فى تاريخها مرة بعد مرة ، وهو يواجه جيش أمة غالبة ، فلابد إذن من قوة كامنة فى ضمير الجيش تقف به أمام القوة الظاهرة الغالبة . هذه القوة الكامنة لا تكون إلا فى الإرادة . الإرادة التى تضبط الشهوات والنزوات ، وتصمد للحرمان والمشاق ، وتستعلى على الضرورات والحاجات ، وتؤثر الطاعة وتحتمل تكاليفها ، فتجتاز الابتلاء بعد الابتلاء .

فلا بد للقائد المختار إذن أن يبلو إرادة جيشه ، وصموده وصبره : صموده أولاً للرغبات والشهوات ، وصبره ثانياً على الحرمات والمتاعب، واختار التجربة وهم كما تقول الروايات

obeikandl.com

عطاش ؛ ليعلم من يصبر معه ممن ينقلب على عقبيه ، ويؤثر العافية ، وصحت فراسته ﴿ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ ﴾ .

شربوا وارتووا ! وانفصلوا عنه بمجرد استسلامهم ونكوصهم ؛ انفصلوا لأنهم لا يصلحون للمهمة الملقاة على عاتقه وعاتقهم ، وكان من الخير ومن الحزم أن ينفصلوا عن الجيش الزاحف؛ لأنهم بذرة ضعف وخذلان وهزيمة . والجيوش ليست بالعدد الضخم ، ولكن بالقلب الصامد، والإرادة الحازمة ، والإيمان الثابت المستقيم على الطريق . وهكذا غربلت التجربة جيش طالوت وصاروا قلة . وهم يعلمون قوة عدوهم وكثرته بقيادة جالوت ، إنهم مؤمنون لم ينكصوا عن عهدهم مع نبيهم ، ولكنهم هنا أمام الواقع ، ولا يصمد له إلا من اكتمل إيمانه ، واتصل قلبه بالله ؛ وهذه الفئة القليلة كما يقول **صاحب الظلال** ـ رحمه الله : « أصبحت لهم موازين جديدة يستمدونها من واقع إيمانهم ، غير الموازين التى يستمدها الناس من واقع حالهم ! وهنا برزت الفئة المؤمنة . الفئة القليلة المختارة ، ذات الموازين الربانية : فهم يعتقدون تمام الاعتقاد أن نهاية الحياة الدنيا وخاتمة المطاف ليست الدنيا ، ولكن مقابلة الله ـ عز وجل ، وكذلك يعتقدون أن الفئة المؤمنة القليلة تغلب الفئة الكثيرة الباغية بإذن الله ، وهم يكلون النصر لله ، ويعللونه بعلته الحقيقية « وهى الصبر » ، فيدلون بهذا كله على أنهم المختارون من الله لمعركة الحق الفاصلة بين الحق والباطل . ولما واجه حزب الإيمان ، وهم قليل من أصحاب طالوت لعدوهم أصحاب جالوت ، وهم عدد كثير ، قالوا : ربنا أنزل واصبب علينا صبرًا على القتال من عندك ، وثبت أقدامنا فى لقاء العدو ، وجنبنا الفرار ، وأعنا على القوم الكافرين واهزمهم ، فأهل الإيمان أدبهم فى المعركة ؛ الافتقار إلى الله ، ودعاؤه بما يقتضيه الحال من التثبيت . وكانت النتيجة التى ترقبوها واستيقنوها : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ ويقول **صاحب الظلال** : «ويؤكد النص هذه الحقيقة » بإذن الله ، ليعلمها المؤمنون أو ليزدادوا بها علمًا . وليتضح التصور الكامل لحقيقة ما يجرى فى هذا الكون ، ولطبيعة القوة التى تجريه .. إن المؤمنين ستار القدرة ؛ يفعل الله بهم ما يريد ، وينفذ بهم ما يختار بإذنه ، ليس لهم من الأمر شىء ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛ ولكن الله يختارهم لتنفيذ مشيئته ، فيكون منهم ما يريده بإذنه ، وهى حقيقة خليقة بأن تملأ قلب المؤمن بالسلام والطمأنينة واليقين .

وتنتهى خاتمة هذه القصة ، ويعلن النصر الأخير للعقيدة الواثقة لا للقوة المادية ، وللإرادة المستعلية لا للكثرة العددية ، حينئذ يعلن عن الغاية العليا من اصطراع تلك القوى ، إنها ليست المغانم والأسلاب ، وليست الأمجاد والهالات ، إنما هو الصلاح فى الأرض ، وإنما هو التمكين للخير بالكفاح مع الشر : ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .

ويعبر **صاحب الظلال** : عن هذه الآية العظيمة لسنة التدافع قائلًا : وهنا تتوارى الأشخاص والأحداث ؛ لتبرز من خلال النص القصير حكمة الله العليا فى الأرض من اصطراع القوى وتنافس الطاقات وانطلاق السعى فى تيار الحياة المتدفق الصاخب الموار ، وهنا تتكشف على مد

البصر ساحة الحياة المترامية الأطراف تموج بالناس،فى تدافع وتسابق وزحام إلى الغايات، ومن ورائها جميعًا تلك اليد الحكيمة المدبرة تمسك بالخيوط جميعًا ، وتقود الموكب المتزاحم المتصارع المتسابق ، إلى الخير والصلاح والنماء ، فى نهاية المطاف .

لقد كادت الحياة كلها تأسن وتتعفن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ، ولولا أن فى طبيعة الناس التى فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم النظرية القريبة ؛ لتنطلق الطاقات كلها تتزاحم وتتغالب وتتدافع ، فتنفض عنها الكسل والخمول ، وتستجيش ما فيها من مكنونات مذخورة ، وتظل أبداً يقظة عاملة ، مستنبطة لذخائر الأرض مستخدمة قواها وأسرارها الدفينة ، وفى النهاية يكون الصلاح والخير والنماء ، يكون بقيام الجماعة الخيرة المهتدية المتجردة ، تعرف الحق الذى بينه الله لها وتعرف طريقها إليه واضحًا ، وتعرف أنها مكلفة بدفع الباطل وإقرار الحق فى الأرض . وتعرف أن لا نجاة لها من عذاب الله إلا أن تنهض بهذا الدور النبيل ؛ وإلا أن تحتمل فى سبيله ما تحتمل فى الأرض طاعة لله وابتغاء لرضاه .

ومن هنا كانت الفئة القليلة المؤمنة الواثقة بالله تغلب فى النهاية وتنتصر ؛ ذلك أنها تمثل إرادة الله العليا فى دفع الفساد عن الأرض ، وتمكين الصلاح فى الحياة إنها تنتصر ؛ لأنها تمثل غاية عليا تستحق الانتصار .

وتأتى الإشارة إلى الآيات التى مرت من إماتة الألوف ، وإحيائهم ، ومجيء التابوت تحملُه الملائكة ، وانتصار القلة المؤمنة المستضعفة على الكثرة الكافرة ، هذه الآيات يقصها الله على رسوله بالحق ، أى : بالواقع الذى كان عليه الأمر المطابق لما حدث ، وفى ذلك إشعار أن ما بأيدى أهل الكتاب مخلوط ، وفى الآية كذلك خطاب لرسول الله ﷺ فى تأكيد رسالته وتقريرها ، كيف ومثل هذه الآيات تشهد على رسالته حيث يخبر بها من غير أن يقرأ كتابا أو يسمع من أهل الكتاب .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :**

١ ـ النصر للعقيدة الواثقة بنصر الله ، لا للقوة المادية ، وللإرادة المستعلية لا للكثرة العددية .

٢ ـ الثبات والصبر وشجاعة القائد وحكمته، مع الإيمان بالله والثقة فى نصره يحقق النصر على الأعداء ، حتى ولو كان هؤلاء المؤمنون قلة ضعيفة العدد والسلاح ، وكان أعداؤهم كثرة فى عددهم وفى أسلحتهم .

٣ ـ الجهاد لإعلاء كلمة الله ضرورة لحماية العقيدة ، وردع العدوان ، ودفع الظلم ، وعمارة الأرض ، وتحقيق الأمن والسلام للبشرية؛حتى لا يطمع الظالمون،ولا ينشرون الفساد فى البلاد.

٤ ـ الابتلاء خط أصيل لأصحاب الدعوات لتمحيص الإرادة ، واختبار الإيمان ، والثبات والصبر على الطاعة طريق الاصطفاء من الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأوليائه .

٥ ـ أصحاب الدعوات مكلفون من الله بدفع الباطل ، وإقرار الحق فى الأرض .

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

**معانى الكلمات :**

**فضلنا بعضهم على بعض** : بالخصائص والمعجزات ، وسوى بينهم فى الرسالة . **البينات** : المعجزات . **أيدناه** : قويناه .

**روح القدس** : جبريل . **خُلة** : صداقة ومودة . **شفاعة** : وسيلة لجلب منفعة ، أو دفع شر . **القيوم** : الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظهم . **سنة** : نعاس وغفوة . **ولا يؤوده** : ولا يشق عليه . **حفظهما** : حفظ السموات والأرض . **العلى**: المستعلى على خلقه بقدرته وجبروته. **الرشد** : الهدى والإيمان . **الغى** : الكفر والضلالة . **الطاغوت** : كل ما عُبد من دون الله ورضى بذلك . **العروة الوثقى** : الإيمان الحق . **لا انفصام لها** : لا زوال ولا انقطاع لها .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على مقامات الرسل عليهم الصلاة والسلام .

٢ ـ أن نعلم أهمية الإنفاق ، وأنه عصب الجهاد .

٣ ـ أن نتعرف على قواعد التصور الإيمانى لصفات الله وعلاقة الخلق به تعالى .

**المحتوى التربوى :**

أجملت هذه الآيات قصة الرسل والرسالات ـ وأفردت جماعة الرسل وميزتها من بين الناس، فهى تقرر أن الله فضل بعض الرسل على بعض ؛ وتذكر بعض أمارات التفضيل ومظاهره ، ثم تشير إلى اختلاف الذين جاؤوا من بعدهم من الأجيال المتعاقبة ـ من بعد ما جاءتهم البينات ـ وإلى اقتتالهم بسبب هذا الاختلاف ، كما تقرر أن بعضهم آمن وبعضهم كفر ، وأن الله قد قدر أن يقع بينهم هذا القتال لسنة التدافع ؛ دفع الكفر بالإيمان ، ودفع الشر بالخير .

**ويقول صاحبُ الظلال** : « والتفضيل هنا قد يتعلق بالمحيط المقدر للرسول ، والذى تشمله دعوته ونشاطه ، كأن يكون رسول قبيلة ، أو رسول أمة ، أو رسول جيل ، أو رسول الأمم كافة فى جميع الأجيال ، كذلك يتعلق بالمزايا التى يوهبها لشخصه أو أمته ، كما يتعلق بطبيعة الرسالة ذاتها ، ومدى شمولها لجوانب الحياة الإنسانية والكونية .

وحين ننظر إلى مقامات الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ من أية ناحية نجد محمداً ﷺ ـ فى القمة العليا ، وسواء نظرنا إلى الأمر من ناحية شمول الرسالة وكليتها ، أو من ناحية محيطها وامتدادها ، فإن النتيجة لا تتغير كما يقول **صاحب الظلال** ـ رحمه الله : إن الإسلام هو أكمل صورة لحقيقة الوحدة ـ وهى أضخم الحقائق على الإطلاق ـ وحدة الخالق الذى ليس كمثله شىء ووحدة الإرادة ، التى يصدر عنها الوجود كله بكلمة : ﴿كُن﴾ ووحدة الوجود الصادر عن تلك الإرادة ووحدة الناموس الذى يحكم هذا الوجود ، ووحدة الحياة من الخلية الساذجة إلى الإنسان الناطق ، ووحدة الدين الصادر من الله الواحد إلى البشرية الواحدة ، ووحدة جماعة الرسل المبلغة لهذه الدعوة . ووحدة الأمة المؤمنة التى لبت هذه الدعوة ، ووحدة النشاط البشرى المتجه إلى الله وإعطائه كله اسم « العبادة » ووحدة الدنيا والآخرة وهما دارا العمل والجزاء ، ووحدة المنهج الذى شرعه الله للناس فلا يُقبل منهم سواه ، ووحدة المصدر الذى يتلقون عنه تصوراتهم كلها ومنهجهم فى الحياة .

فقد اقتتل أتباع « تلك الرسل » . ولم تغن وحدة جماعة الرسل فى طبيعتهم ، ووحدة الرسالة التى جاؤوا بها كلهم ، لم تغن هذه الوحدة عن اختلاف أتباع الرسل حتى ليقتتلون من خلاف ، وكما يقول صاحب الظلال ـ رحمه الله : إن هذا الاقتتال لم يقع مخالفاً لمشيئة الله ، فما يمكن أن يقع فى هذا الكون ما يخالف مشيئته ـ سبحانه ـ فمن مشيئته أن يكون هذا الكائن البشرى كما هو بتكوينه هذا واستعداداته للهدى والضلال ، وأن يكون موكلًا إلى نفسه فى اختيار طريقه إلى الهدى أو إلى الضلال ، ومن ثم فكل ما ينشأ من هذا التكوين وإفرازاته واتجاهاته داخل فى إطار المشيئة ؛ وواقع وفق هذه المشيئة . ولكنه شاء ، شاء ليدفع الكفر بالإيمان ؛ وليقر فى الأرض حقيقة العقيدة الصحيحة الواحدة التى جاء بها الرسل جميعاً ، فانحرف عنها المنحرفون ، وقد علم الله أن الضلال لا يقف سلبياً جامداً ، إنما هو ذو طبيعة شريرة ، فلابد أن يعتدى ، ولابد أن يحاول إضلال المهتدين ، ولابد أن يريد العوج ويحارب الاستقامة فلا بد من قتاله لتستقيم الأمور. ومن ثم يعقب السياق على ذكر الاختلاف والاقتتال بنداء ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ ودعوتهم إلى الإنفاق مما رزقهم الله ـ فالإنفاق صنو الجهاد وعصب الجهاد، والدعوة للجهاد غايتها دفع الكفر. ودفع الظلم المتمثل فى هذا الكفر ، وهى غاية سامية كما يقول صاحب الظلال : لأن الذين يحاربون حقيقة الإيمان أن تستقر فى القلوب ، ويحاربون منهج الإيمان أن يستقر فى الحياة ويحاربون شريعة الإيمان أن تستقر فى المجتمع ، إنما هم أعدى أعداء البشرية وأظلم الظالمين لها . ومن واجب البشرية ـ لو رشدت ـ أن تطاردهم حتى يصبحوا عاجزين عن هذا الظلم الذى يزاولونه ، وأن ترصد لحربهم كل ما تملك من الأنفس والأموال ، وهذا هو واجب الجماعة المسلمة التى يندبها إليه ربها ، ويدعوها من أجله بصفتها تلك ؛ ويناديها ذلك النداء الموحى العميق . وبمناسبة الاختلاف بعد الرسل والاقتتال ، والكفر بعد مجىء البينات والإيمان ، تجىء آية الكرسى ؛ لتتضمن قواعد التصور الإيمانى ، وتذكر من صفات الله ـ سبحانه ـ ما يُقرر معنى الوحدانية فى أدق مجالاته ، وأوضح سماته ، فلا يكون الإنسان عبدًا إلا لله ، ولا يتجه بالعبادة إلا

لله ، ولا يلتزم بطاعة إلا طاعة الله ، وما يأمره الله به من الطاعات وعن هذا التصور تنشأ قاعدة : الحاكمية لله وحده . فيكون الله وحده هو المشرعُ للعباد ، ويجيء تشريع البشر مستمدًا من شريعة الله ، وينشئ تصوراً آخر يستقر فى ضمير المسلم وحياته ووجوده أن الله ـ سبحانه ـ قائم على كل شىء ، وأن كل شىء من حوله مرتبط وقائم فى وجوده على إرادة الله وتدبيره ، فالله هو الذى يصرف أمره ، ويستمد منه قيمه وموازينه ، ويراقبه وهو يستخدم هذه القيم والموازين .

ثم تقررُ الآيات حقيقة أخرى هى أن الله المالك المطلق لكل شىء ، فيستقر فى ضمير المسلم أن كل ما فى يده عارية لأمد محدود ، ثم يستردها صاحبها الذى أعطاها له فى الأجل المرسوم ، وهذا كفيلٌ بأن يسكب فى النفس القناعة والرضا بما يحصل من الرزق ، والسماحة والجود بالموجود ؛ وأن يفيض على القلب الطمأنينة والقرار فى الوجدان والحرمان سواء ؛ فلا تذهب النفس حسرات على فائت أو ضائع ؛ ولا يتحرق القلب سعارًا على المرموق المطلوب !

وتقرر كذلك وقوف العبيد فى حضرة الألوهية موقف العبودية ، فى خشوع وخضوع ، لا يجرؤ على الشفاعة عنده أحد ، إلا بعد أن يؤذن له ، فيخضع للإذن ويشفع فى حدوده ، وهم يتفاضلون فيما بينهم فى ميزان الله ، ولكنهم يقفون عند الحد الذى لا يتجاوزه عبد .

وتختتم الآيات بحقيقة العلاقة بين العبد والرب ، ورحمة الرب للعبد ، والقربى والمدد والود بعلمه المطلق بكل شىء وبحفظه السماء والأرض ، وتفرده بالعلو والعظمة ليستقر العبد فى مقام العبودية لله العلى العظيم .

وكأنه من خلال آية الكرسى قامت الحجة على كل إنسان بهذا الدين ، فلا تكرهوا أحدًا على الدخول فى دين الإسلام ، فإنه بين واضح ، فلا إجبار على الدين الحق ، وهو دين الإسلام ، فليس الإكراه على دين الله من دين الله ، وقد تميز الهدى من الضلال والإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة ، فمن يكفر بالشيطان وهو وراء كل تجاوز للحد ، ويكفر بكل شر عليه البشر من شرك بالله أو احتكام لغير الله ، أو استنصار بغير الله ، ويؤمن بالله فقد استمسك من الدين بأمتن عروة وأوثقها ، والله سميعٌ لأقوال عباده عليمٌ بنياتهم ، وخفيات أعمالهم .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ ضرورة الإيمان بجميع الرسل ومعجزاتهم .

٢ ـ ذم الاختلاف فى الدين ؛ لأن الخلاف مصدر شقاء وعذاب .

٣ ـ أهمية الإنفاق على المحتاجين ، وفى جميع أعمال البر ، وبخاصة الجهاد لإعلاء كلمة الله .

٤ ـ الله متصفٌ بكل صفات الكمال ، ومنزه عن كل صفات النقص ، فهو الحق الباقى ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، وهو المدبر للكون ، العليم بكل شىء ، مالك الملك ، فلا خضوع إلا لله ، ولا طاعة إلا لله ، ولا خوف إلا من الله .

٥ ـ سماحة الإسلام ، فلا إكراه فى الدين ، وحرية الاعتقاد مكفولة بنص كتاب الله .

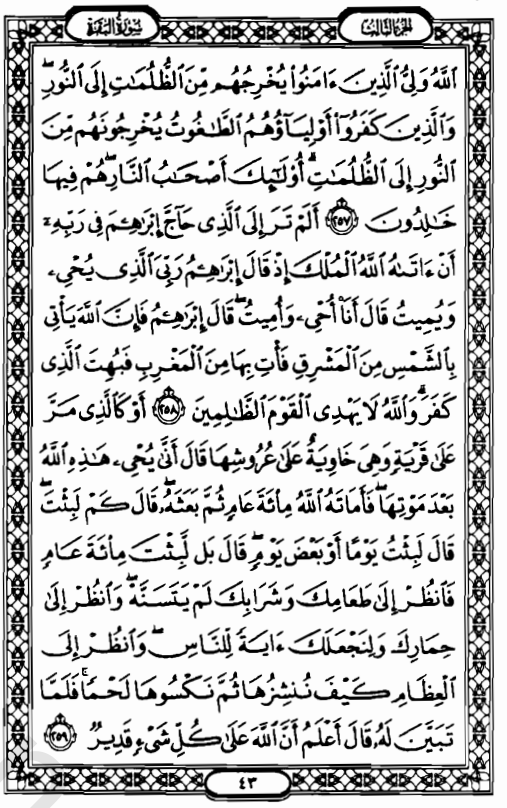

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي
بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ
عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ
بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ
قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ
حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى
الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا
تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾



**معنى الكلمات :**

**ولى الذين آمنوا** : معينهم بحفظه ونصره وتوفيقه . **الذى حاج إبراهيم** : هو نمرود بن كنعان ، وحاج أى : جادل . **أن أتاه الله الملك**: أبطره وأطغاه إيتاء الملك له . **بهت:** فغلب وتحير بطلت حجته . **الذى مرَّ**: قيل: هو عزير ، وقيل : رجل من بنى إسرائيل . **على قرية**: قيل إن (بيت المقدس) . **خاوية** : ليس فيها أحد . **لم يتسنه** : لم يتغير مع مرور السنين عليه . **ننشزها** : نرفعها من الأرض ونعيد تركيبها كما كانت .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ـ أن نؤمن بأن بالحق واحد لا يتعدد ، والضلال ألوان وأنماط .

٢ـ أن نعلم التصور الإسلامى لسر الحياة والموت ، وحقيقة كل منهما .

٣ـ أن نتعرف على قصة إبراهيم ﷺ والملك ، وقصة الذى مر على القرية الخاوية وما فيها من أحداث وعبر .

**المحتوى التربوى :**

يخبر ـ تعالى ـ أنه يهدى من اتبع رضوانه سبل السلام ، فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب والشهوة إلى نور الحق الواضح الجلى المبين ، وأن الكافرين إنما وليهم الشيطان ، ويزين لهم ماهم فيه ، ويخرجهم ويحيد بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك ، فجزاؤهم على ذلك : الخلود الأبدى فى النار .

ثم يستأنف السياق إنشاء التصور الصحيح لحقائق هذا الوجود فى ضمير المسلم وفى إدراكه . فيناقش سر الحياة والموت ، ويعرض لقصة الملك الذى حاج إبراهيم فى ربه ، والذى كان منكراً لوحدانية الله فى الألوهية والربوبية ، ولتصريفه للكون وتدبيره لما يجرى فيه وحده .

فيقول تعالى فى السياق مخاطبًا نبى الله إبراهيم عليه السلام : ألم تر إلى الذى يجادل إبراهيم فى وجود ربه، وربوبيته، وذلك أنه أنكر أن يكون ثم إله غيره ، وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ، والمعاندة الشديدة إلا تجبره ، وطول مدته فى الملك ، وكان طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذى يدعو إليه ، فقال إبراهيم : إنما الدليل على وجوده وربوبيته ، ظاهرة الإحياء

والإماتة ، وقد استدل إبراهيم بهذه الظاهرة على وجود ربه وربوبيته ، لأنها أقرب الظواهر البدهية على وجود ربنا ـ عز وجل ، فعند ذلك قال المحاج : أنا أحيى وأميت ، وذلك أنه أوتى برجلين استحقا القتل ، فأمر بقتل أحدهما ، والعفو عن الآخر ، وليس هذا جوابا .

ولما ادعى هذه المكابرة قال إبراهيم عليه السلام : فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق ، فإن كنت إلها كما ادعيت فأت بها من المغرب ؟ فأخرس ولم يقدر على المكابرة ، وتلك سنة الله ـ تعالى ـ أنه لا يلهم الظالمين حجة ولا برهانا .

**ويقول صاحب الظلال** : عن الحكمة من الإتيان لقصة الجدال بين إبراهيم عليه السلام والنمروذ : « ويمضى هذا الجدل الذى عرضه الله على نبيه ﷺ وعلى الجماعة المسلمة مثلًا للضلال والعناد ؛ وتجربة يتزود بها أصحاب الدعوة الجدد فى مواجهة المنكرين ؛ وفى ترويض النفوس على تعنت المنكرين !

والشأن فى مسألة الاعتقاد هو الشأن فى كل أمر حيوى تتوقف عليه حياة الكائن البشرى ، فالكائن الحى يبحث عن الطعام والشراب والهواء ـ كما يبحث عن التناسل والتكاثر ـ بحثًا فطريًا، ولا يترك الأمر فى هذه الحيويات حتى يكمل التفكير وينضج ، أو حتى ينمو العلم ويغزر، وإلا تعرضت حياة الكائن الحى إلى الدمار والبوار ، والإيمان حيوى للإنسان حيوية الطعام والشراب والهواء سواء بسواء ، ومن ثم يكله الله فيه إلى تلاقى الفطرة بآياته المبثوثة فى صفحات الكون كله فى الأنفس والآفاق .

**ويقول صاحب الأساس** : إن عدم ذكر القرآن الكريم لتفصيلات هذه الشؤون تدرك أن، العبرة المرادة من النص لا تحتاج إلى مثلها ، وهذا الكلام ينطبق على الآيات التالية وغيرها من أمثالها ، فالله ـ عز وجل ـ الذى جعل كتابه معجزًا جعله بذلك حجة على كل شىء ، إن من رحمة الله بهذه الأمة أن جعل الحجة على صدق كتابه قائمة فى نفس كتابه ، فلا ينبغى لأحد يفسرُ كتاب الله ألا يحتاط فى شأن التفسير فيجعل للذين فى قلوبهم مرض مدخلاً يلجون منه للاعتراض على المسلمين .

إن كثيرين من المسلمين ولعوا فى البحث عن المبهمات ؛ حتى أصبح الكلام عنها مقصودًا ، والسؤال عنها عادة ، مع أن كثيراً مما أبهمه القرآن إنما أبهم ؛ لأن الفائدة فيما فصّل ، فتركت الاستفادة من الأصل ، وصار الناس يبحثون عما لا فائدة فيه ، إن العبرة فى القصة الآتية عن الرجل الذى أحياه الله بعدما أماته هى فى معرفة قدرة الله على البعث ؛ لتأكيد الإيمان باليوم الآخر ، فإذا غفل القلب عن هذا ، وبحث عن اسم الرجل ، ولون حماره ، فإنه يكون قد ترك ما من أجله خوطب إلى ما ليس مكلفًا به .

وفى الآيات تعجبٌ من أن يجادل ويمارى إنسان فى ربوبية الله ، وبيان واضح لانقطاع حجته، أما دلائل الفطرة فى صفحة الكون المشهود ، وكذلك العجب من إنسان يستبعد قدرة الله على تقليب الأحوال ، فيحيى قرية خربة خاوية ، ليجعلها عامرة ، وجاء البرهان عملياً لقطع هذا

الاستبعاد ، فأماته الله مائة عام ثم أحياه ؛ ليرى أن ما استبعده قد حدث ، فتيقن من خلال المشاهدة والتجربة من قدرة الله فى تغيير الأشياء والأمور من حال إلى حال ، وهذا الذى شاهده صاحب القصة نشاهده من خلال التاريخ وسنة التداول فى الأمم ، وأحيانا على خلاف توقع البشر ضمن سنن الله ،والكون صفحة مليئة بطلاقة القدرة فى التغيير والتدويل .

**ويقول صاحب الظلال** : « إن الذى يفسر لنا هذه الظاهرة ـ إحياء القرية ـ هو طلاقة المشيئة، طلاقتها من التقييد بما نحسبه نحن قانونًا كليًا لازمًا ملزمًا لا سبيل إلى مخالفته أو الاستثناء منه ! وحسابنا هذا خطأ بالقياس إلى المشيئة المطلقة : خطأ منشؤه أننا نفرض تقديراتنا نحن ومقرراتنا العقلية أو « العلمية !» على الله ـ سبحانه ! وهو خطأ يتمثل فى أخطاء كثيرة :

**أولاً** : ما لنا نحن نحاكم القدرة المطلقة إلى قانون نحن قائلوه ؟ قانون مستمد من تجاربنا المحدودة الوسائل ، ومن تفسيرنا لهذه التجارب ونحن محدودو الإدراك ؟

**ثانياً** : هبه كان قانوناً من قانون الكون أدركناه ، فمن الذى قال لنا : إنه قانون نهائى كلى مطلق ، وأن ليس وراء قانون سواه ؟

**ثالثاً** : هبه كان قانوناً نهائيًا مطلقًا ، فالمشيئة تنشئ القانون ولكنها ليست مقيدة به ، إنما هو الاختيار فى كل حال .

وهذه التجربة ، حريٌ بها أن تضاف إلى رصيد أصحاب الدعوة الجدد ، وإلى رصيد التصور الإيمانى الصحيح ، لترسيخها حقيقة الموت والحياة وردهما إلى الله ، وكذلك بيان طلاقة المشيئة فى وضوح تام،والتى يعنى القرآن عناية فائقة بترسيخها فى ضمائر المؤمنين به،لتتعلق بالله مباشرة، من بعد أخذها بالأسباب الظاهرة ، والمقدمات المرئية والمألوفة ، فالله فعال لما يريد ، وهكذا قال الرجل الذى عاين التجربة وشاهدها : ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا** :

١ ـ إذا كان الله ولى الذين آمنوا ، أفلا ينبغى أن يبذل هؤلاء المؤمنون أموالهم وحياتهم فى سبيله ـ جل جلاله ـ وإذا كان ربنا كذلك ، أفلا ينبغى أن ندخل فى الإسلام كله ، ونقيم شرائعه كلها .

٢ ـ النعم تبطر صاحبها إذا حُرم ولاية الله ـ تعالى .

٣ ـ إذا ظلم العبد وولى الظلم حتى أصبح وصفاً له يُحرم هداية الله ـ تعالى .

٤ ـ علمنا بطلاقة المشيئة لله ، وقدرته على كل شىء يوجب التعلق بالله مباشرة بعد الأخذ بالأسباب الظاهرة فالله على شىء قدير .

٥ ـ الإيمان حيوى للإنسان حيوية الطعام والشراب والهواء سواءً بسواء .

٦ ـ يجب أن نشكر المنعم على نعمه التى لا تعد ولا تُحصى ، ولا نجعلها وسيلة للبطر والكبر والتمرد .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

**معانى الكلمات :**

**بلى** : بلى أنا مؤمن . **ليطمئن قلبى** : ليزداد إيماناً فيصل إلى الطمأنينة . **فصرهن** : أملهن واضممهن إليك ، وقطعهن أجزاء . **سعياً** : مشياً سريعاً وطيراناً . **منًّا** : عدّاً للإحسان وإظهاراً له . **أذى** : تفاخرًا بالإنفاق ، أو ضيقًا منه ، أو إيذاء المُحسنَ إليه. **رئاء الناس**: حباً فى السمعة والشهرة. **صفوان** : حجر كبير أملس (ناعم) . **وابل** : مطر شديد كبير قطراته .**صلدًا** : أملس ، لا شىء عليه من التراب .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ـ أن نعلم غريزة الإنسان فى حب معرفة المجهول والتطلع إليه وعلينا استثمار هذه الغريزة فى طريق البناء .

٢ـ أن نتعرف على دستور الصدقة ، وآدابها النفسية والاجتماعية .

٣ـ أن نتبين حقيقة الطبيعة البشرية تجاه دعوة الإيمان وتكاليفها .

**المحتوى التربوى :**

تتحدث الآيات عن تجربة إبراهيم ـ أقرب الأنبياء إلى أصحاب هذا القرآن ، ويقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ عن سؤال إبراهيم عليه السلام : رب أرنى كيف تحيى الموتى ؟ « إنه التشوف إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية . حين يجىء هذا التشوف من إبراهيم الأواه ، الحليم ، المؤمن ، الراضى ، الخاشع ، العابد ، القريب ، الخليل ، حين يجىء هذا التشوف فإنه يكشف عما يختلج أحيانًا من التشوف والتطلع لرؤية أسرار الصنعة الإلهية فى قلوب أقرب المقربين !

إنه تشوف لا يتعلق بوجود الإيمان ووثباته وكماله واستقراره ؛ وليس طلباً للبرهان أو تقويه للإيمان . إنما هو أمر آخر ، له مذاق آخر ، إنه أمر الشوق الروحى ، إلى ملابسة السر الإلهى فى أثناء وقوعه العملى فأراد أن يرى يد القدرة ، وهى تعمل ليحصل على مذاق هذه الملابسة فيستروح بها،ويتنفس فى جوها ، ويعيش معها ، وهى أمر آخر غير الإيمان الذى ليس بعده إيمان.

وينتقل السياق فى ترابطه المعهود بين العقيدة والإيمان والعمل ، ليتعرض لإقرار قواعد النظام الاقتصادى الاجتماعى الذى يريد الإسلام أن ينشئ عليه المجتمع المسلم ؛ لينظم شؤونه الحياتية ، إنه نظام التكافل والتعاون المتمثل فى الزكاة المفروضة والصدقات المتروكة للتطوع ،

ويقوض دعائم النظام الربوى الذى كان سائداً فى الجاهلية ، فيتحدث عن آداب الصدقة ، ويلعن الربا ، فتتكلم الآيات عن تكليف البذل والإنفاق ، ودستور الصدقة والتكافل .

**ويقول صاحب الظلال** : « والإنفاق فى سبيل الله هو صفو الجهاد الذى فرضه الله على الأمة المسلمة ، وهو يكلفها النهوض بأمانة الدعوة إليه ، وحماية المؤمنين به ، ودفع الشر والفساد والطغيان ، وتجريده من القوة التى يسطو بها على المؤمنين ، ويفسد بها فى الأرض ، ويصد بها عن سبيل الله ، ويحرم البشرية ذلك الخير العظيم الذى يحمله إليها نظام الإسلام ، والذى يُعد حرمانها منه جريمة فوق كل جريمة ، واعتداء أشد من الاعتداء على الأرواح والأموال » .

**ويقول صاحب الأساس** : ويمدح تبارك وتعالى الذين ينفقون أموالهم فى سبيله ثم لا يتبعون ما أنفقوا فى الخير والصدقات منّا على من أعطوه ، ولا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروها ، فمن فعل منهم ذلك فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، وهذه العبارة تستعمل فى القرآن عادة فى معرض مكافأة أولياء الله، فهذا السلوك يصل بصاحبه لمقام الولاية» .

ويبين الله عز وجل أن القول المعروف ، كالكلمة الطيبة للمسلم ، وأن العفو عن أخيك ، إذا ظلمك ظلماً قولياً ، أو فعلياً ، خير فى ميزان الله ، من الصدقة المتبوعة بالأذى ، ووصف ذاته سبحانه بأنه غنى عن عباده ، فلم يأمرهم بالإنفاق افتقاراً ، فهو يخلف على من أنفق من خزائنه الملأى ، وأنه حليم يحلم عنهم ويغفر ، ويتجاوز عن عباده إن شاء . ويأتى النهى للمؤمنين ألا يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى ، كما يفعل ذلك المرائى الذى لا يؤمن بالله ، واليوم الآخر ، ويظهر أنه يريد وجه الله ، وإنما قصد مدح الناس له ، أو شهرته بالصفات الجميلة ، ليُشكر بين الناس أو يقال : إنه كريم ونحو ذلك مع قطع نظره عن معاملة الله، وابتغاء مرضاته ، ثم ضرب الله مثلا لذلك المرائى ومشابهته فى بطلان الصدقة ، بذاك الذى يتبع نفقته منّا أو أذى ، فمثله كمثل صخر أملس عليه تراب ، فأصاب الصخر مطر شديد ، فترك المطر الشديد هذا الصخر أملس يابساً لا شىء عليه من ذلك التراب ، بل قد ذهب كله ، أى وكذلك أعمال المرائين وأمثالهم ، تذهب وتضمحل عند الله ، وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب ، ولكنهم لا يجدون ثواب شىء مما أنفقوه عند الله ، ثم يبين الله عز وجل أن من شأنه ألا يهدى الكافر ما دام مختاراً لطريق الكفر ، ومصمما عليه . ولابد من إدراك طبيعة القرآن ووظيفته من هذه الحقائق السالفة كما يقول **صاحب الظلال** : « فهو كائن حى متحرك ، فهو فى عمل دائب ، وفى حركة دائبة ، إنه فى ميدان المعركة وفى ميدان الحياة » ويقول : « ونحن أحوج ما نكون إلى الإحساس بالقرآن على هذا النحو ؛ وإلى رؤيته كائنا حياً متحركاً دافعاً . فقد بعد العهد بيننا وبين الحركة الإسلامية والحياة الإسلامية والواقع الإسلامى ؛ وانفصل القرآن فى حسنا عن واقعه التاريخى الحى ؛ ولم يعد يمثل فى حسنا تلك الحياة التى وقعت يومًا ما على الأرض ، فى تاريخ الجماعة المسلمة ؛ ولم نعد نذكر أنه كان فى أثناء تلك المعركة المستمرة هو « الأمر اليومى » للمسلم المجند ؛ وهو التوجيه الذى يتلقاه للعمل والتنفيذ ، مات القرآن فى حسنا ، أو نام ، ولم تعد له تلك الصورة الحقيقية التى كانت له عند نزوله فى حس المسلمين ، ودرجنا على أن نتلقاه إمّا ترتيلًا منغمًا نطرب له ، أو نتأثر

التأثر الوجدانى الغامض السارب وإما أن نقرأه أورادًا أقصى ما تصنع فى حس المؤمنين الصادقين منا أن تنشئ فى القلب حالة من الوجد أو الراحة أو الطمأنينة المبهمة المجملة ، والقرآن ينشئ هذا كله ، ولكن المطلوب ـ إلى جانب هذا كله ـ أن ينشئ فى المسلم وعياً وحياة . نعم المطلوب أن ينشئ حالة وعى يتحرك معها القرآن حركة الحياة التى جاء لينشئها ، المطلوب أن يراه المسلم فى ميدان المعركة التى خاضها ، والتى لا يزال مستعدًا ، لأن يخوضها فى حياة الأمة المسلمة ، المطلوب أن يتوجه إليه المسلم ، ليسمع منه ماذا ينبغى أن يعمل ـ كما كان المسلم الأول يفعل ؛ وليدرك حقيقة التوجيهات القرآنية ، فيما يحيط به اليوم من أحداث ومشكلات وملابسات شتى فى الحياة ؛ وليرى تاريخ الجماعة المسلمة ممثلًا فى القرآن ، متحركًا فى كلماته وتوجيهاته ؛ فيحس حينئذ أن التاريخ ليس غريبًا عنه ، فهو تاريخه ، وواقعه اليوم هو امتداد لهذا التاريخ ، وما يصادفه اليوم من أحداث هو ثمرة لما صادف أسلافه ، مما كان القرآن يوجههم إلى التصرف فيه تصرفًا معينًا . ومن ثم يُحس أن هذا القرآن قرآنه هو كذلك . قرآنه الذى يستشيره فيما يعرض له من أحداث وملابسات ؛ وأنه هو دستور تصوره وتفكيره وحياته وتحركاته الآن وبعد الآن بلا انقطاع . كذلك هناك حقيقة أخرى بسيطة كثيراً ما نغفل عنها وننساها : وهى أن الناس هم الناس ؛ والدعوة هى الدعوة؛ والمعركة هى المعركة ، إنها أولاً وقبل كل شىء معركة مع الضعف والنقص والشح والحرص فى داخل النفس ، ثم هى معركة مع الشر والباطل والضلال والطغيان فى واقع الحياة ، والمعركة لابد من خوضها ، ولابد للقائمين على الجماعة المسلمة فى الأرض من مواجهتها بطرفيها ، كما واجهها القرآن أول مرة ، وواجهها رسول الله ﷺ ولابد من الأخطاء والعثرات . ولابد من ظهور الضعف والنقص فى مراحل الطريق ؛ ولابد من المضى أيضاً فى علاج الضعف والنقص كلما أظهرتها الأحداث والتجارب ، ولابد من توجيه القلوب إلى الله بالأساليب التى اتبعها القرآن فى التوجيه ، وهنا نرجع إلى رؤية القرآن يعمل ويتحرك فى حياتنا .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ الإيمان يزيد وينقص ، حتى يصل لدرجة الطمأنينة ، واطمئنان القلب لقدرة الله من أعلى درجات الإيمان . والتدبر فى آيات الله إحدى وسائل زيادة الإيمان

٢ ـ المال نعمة الله على الناس ، وشكرها إنفاقها فى سبيل الله .

٣ ـ القيمة الحقيقية للمال أن يؤدى خدمة اجتماعية ، وذلك بإنفاقه فى وجوه الخير وتداوله بين الناس لتيسير مصالحهم ، وفك عانيهم ، وقضاء حاجاتهم .

٤ ـ للإنفاق آدابه وسلوكياته ، يجب الحرص عليها ، فلا نذل به الناس ، ولا نتبعه بالمن أو الأذى ، ولا ننفقه تفاخراً ولا رياءً ولا حُباً للشهرة .

٥ ـ القرآن كتاب دعوة وحركة وإيمان جاء لينشئ الحياة وبه تسير فيما يعرض لها من أحداث ومشكلات وملابسات شتى فى الحياة .

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾
٤٥

**معانى الكلمات :**

**ابتغاء مرضاة الله** : طلباً لرضوان الله .

**تثبيتاً من أنفسهم** : تصديقاً ويقينا بحسن الثواب على هذا الإنفاق .

**جنة** : حديقة . **ربوة** : مكان مرتفع .

**طل**: مطر خفيف . **إعصار**: ريح عاصف .

**ولا تيمموا الخبيث** : ولا تقصدوا الردىء من المال والحرام . **أن تغمضوا فيه** : لا تأخذوه إلا بالتساهل وغض البصر عما فيه من الرداءة . **يعدكم الفقر**:يخوفكم بالفقر .

**الفحشاء** : المقصود : البخل ، ومنع الزكاة والصدقة .

**أولو الألباب** : أصحاب العقول .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على ثواب المنفقين المخلصين لله تعالى .

٢ ـ أن نعلم كيف تُمحق آثار الصدقة المصحوبة بالمن وقت حاجة صاحبها إليها .

٣ ـ أن نعرف أنواع الصدقة وأن الجيد الطيب عطاء المؤمنين .

**المحتوى التربوى :**

تتحدث الآيات عن الذين ينفقون أموالهم ؛ طلبًا لرضوان الله ولتثبيت أنفسهم ، وتمكينها فى منازل الإيمان والإحسان حتى تكون مطمئنة فى بذلها ، لا ينازعها فيه زلزال البخل ، ولا اضطراب الحرص لإيثارها حب الخير عن أمر الله على حب المال عن هوى النفس ووسوسة الشيطان ، وإنما يكون هذا التثبيت بتعويد النفس على البذل ، حيث يفيد البذل حتى يصير الجود لها طبعًا وخلقاً .

**ويقول صاحب الأساس** : ضرب الله مثلاً للمؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله عنهم فى ذلك ، ومن أجل أن يُثبِّتوا أنفسهم على طريق الإيمان بالله واليوم الآخر ، بفعل ما يقربهم إلى الله ، فمثل هؤلاء ، كمثل بستان فى مكان مرتفع من الأرض ، أصابها مطر شديد ، فآتت ثمرتها ضعفين بالنسبة لغيرها من الجنان ، فإن لم يصبها مطر شديد ، أصابها رذاذ ، وهو اللين من المطر ،

فشأن هذه الجنة ، أنها لا تمحل أبداً لأنها إن لم يصبها المطر الشديد ، فالرذاذ . وأيًا ما كان فهو كفايتها .

وكذلك عمل المؤمن ، لا يبور أبداً . بل يتقبله الله ، ويكثره ، وينمّيه ، لكل عامل بحسبه . ثم يبين الله عز وجل بأن الله لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء .

فى صحيح مسلم عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم : المنان بما أعطى ، والمسبل إزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » .

ويأمر الله عباده المؤمنين بالإنفاق من أطيب المال ، وأجوده وأنفسه ، ونهاهم عن التصدق برذالة المال ، ودنيئه ، وخبيثه ، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وذلك أن الإنسان نفسه لو أُعْطى دنيء . المال لم يأخذه ، إلا إذا تغاضى فيه ، وتساهل . فالله أغنى عنه منكم فلا تجعلوا لله ما تكرهون ، ثم أمرهم الله عز وجل بأن يعلموا بأن الله غنى عن جميع خلقه وجميع خلقه فقراء إليه. وهو واسع الفضل ، لا ينفد ما لديه ، فمن تصدق بصدقة من كسب طيب ، فليعلم أن الله غنى ، واسع العطاء ، كريم ، وسيجزيه بها ، ويضاعفها له أضعافًا كثيرة ، وأن يعلموا أنه الحميد . أى : المحمود فى جميع أعماله ، وأقواله ، وشرعه ، وقدره ، لا إله إلا هو ، ولا ربّ سواه .

**ويقول صاحب الظلال** : « ولما كان الكف عن الإنفاق ، أو التقدم بالردىء الخبيث ، إنما ينشأ عن دوافع السوء ، تزعزع اليقين فيما عند الله ، وعن الخوف من الإملاق الذى لا يساور نفسًا تتصل بالله ، وتعتمد عليه ، وتدرك أن مرد ما عندها إليه ، كشف الله للذين آمنوا عن هذه الدوافع لتبدو لهم عارية ، وليعرفوا من أين تنبت النفوس ؛ وما الذى يثيرها فى القلوب .. إنه الشيطان .. » .

فالشيطان يخوف بالفقر ، ويثير فى النفس الحرص والشح والكذب والتكالب ، وكذلك يأمر بالفحشاء ، وحين يعد الشيطان بالفقر ، ويأمر باقتراف المعاصى المجاوز للحد ، يَعِد الله عباده المغفرة والعطاء ويقدم المغفرة ، ويؤخر الفضل.. فالفضل زيادة فوق المغفرة . وهو يشمل كذلك عطاء الرزق فى هذه الأرض ، جزاء البذل فى سبيل الله والإنفاق .

ويختتم الله هذا الدستور الذى بدأه بالحض والتأليف ، لا بالفرض والتكليف استجاشة منه للمشاعر والانفعالات الحية فى الكيان الإنسانى كله ، فيجذل له العطاء ؛ لأنه واسع عليم يعطى عن سعة ، ويعلم ما يوسوس فى الصدور ، وما يهجس فى الضمير ، والله لا يعطى المال وحده ، ولا يعطى المغفرة وحدها . إنما يعطى « الحكمة » وهى توخى القصد والاعتدال ، وإدراك العلل والغايات ، ووضع الأمور فى نصابها فى تبصر ورويّة وإدراك .

فلا يفحش ولا يتعدى الحدود ؛ فلقد آتاه الله الحكمة ، فلا يضل فى تقدير الأمور ؛ وأوتى البصيرة المستنيرة التى تهديه للصالح الصائب من الأعمال ؛ ذلك منة من الله لأولى الألباب والعقول التى تتنبه ولا تغفل ، وتعتبر ، فلا تلج فى الضلال ، وينتفع ، فلا يعيش لاهيًا غافلًا .

**ويتحدث صاحبُ الظلال** : عن هذه الحكمة التى يؤتيها الله من يشاء من عباده بأنها معقودة بمشيئة الله سبحانه ، وهذه هى القاعدة الأساسية فى التصور الإسلامى : رد كل شىء إلى المشيئة المطلقة المختارة ، وفى الوقت ذاته يقرر القرآن حقيقة أخرى : أن من أراد الهداية وسعى لها سعيها وجاهد فيها ، فإن الله لا يحرمه منها ، بل يعينه عليها ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ؛ ليطمئن كل من يتجه إلى هدى الله أن مشيئة الله ستقسم له الهدى وتؤتيه الحكمة ، وتمنحه ذلك الخير الكثير .

وهنا حقيقة أخرى نلم بها فى ختام الآيات : إن أمام الإنسان طريقين اثنين لا ثالث لهما طريق الله . وطريق الشيطان . أن يستمع إلى وعد الله أو أن يستمع إلى وعد الشيطان . ومن لا يسير فى طريق الله ويسمع وعده فهو سائر فى طريق الشيطان ومتبع وعده .. ليس هنالك إلا منهج واحد هو الحق ، المنهج الذى شرعه الله ، وما عداه فهو للشيطان ، ومن الشيطان .

هذه حقيقة يؤكدها القرآن كى لا تبقى حجة لمن يريد أن ينحرف عن منهج الله ثم يدعى الهدى والصواب فى أى باب ، ليست هناك شبهة ولا غشاوة ، الله أو الشيطان ، ولمن شاء أن يختار وليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ استحسان ضرب الأمثال تقريبًا للمعانى إلى الأذهان لينتفع بها .

٢ ـ وجوب التفكر فى آيات الله ، لا سيما تلك التى تحمل بيان العقائد والأحكام والآداب والأخلاق

٣ ـ مضاعفة أجر الصدقة الخالية من المن والأذى ومراءاة الناس .

٤ ـ إن ممارسة العمل من أجل رضا الله سبحانه وتعالى يعنى إيثار الغيب على المشهود ، أو تفضيل الآجل البعيد على العاجل القريب .

٥ ـ من أراد الهداية ، وسعى لها سعيها ، وجاهد فيها فإن الله لا يحرمه منها ، بل يعينه عليها .

٦ ـ عمل المؤمن لا يبور أبداً ، بل يتقبله الله ويكثره ، وينميه ، لكل عامل بحسبه .

٧ ـ يجب أن يحرص المسلم على تحرى الكسب الحلال ، وإخراج حق الله فيه ، وإنفاقه فى مصارفه الشرعية ، دون إسراف أو تقتير .

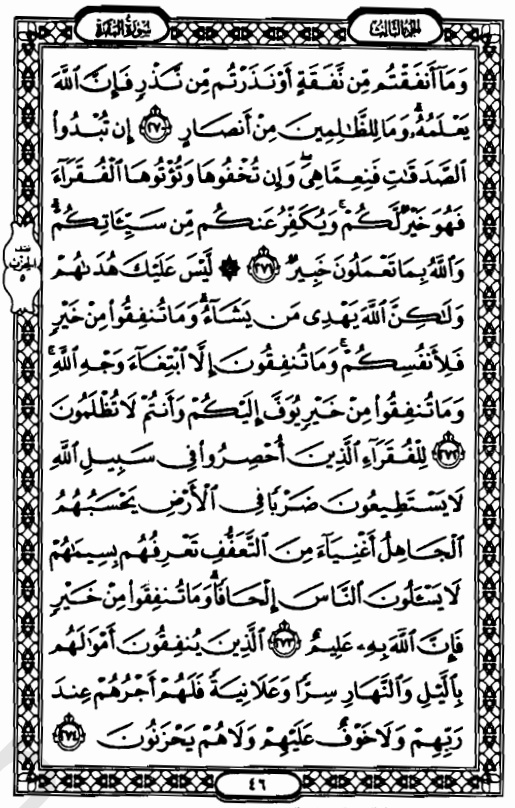
وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟
ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ
﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ
ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ
لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

**معانى الكلمات :**

**من نفقة** : يقصد قليلة أو كثيرة من الجيد أو الردىء . **نذرتم من نذر** : النذر : التزام المؤمن بما لم يلزمه به الشارع . **تبدوا** : تظهروا .

**فنعما هى** : حَسنُ هذا الشىء الذى تفعلونه .

**تخفوها** : تقدموها سراً وفى الخفاء .

**أحصروا** : حبسهم الجهاد عن التصرف وكسب الأموال.

**ضرباً**: ذهاباً وسيراً للتكسب ، وطلب الرزق.

**يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ**:يظنهم الذى لا يعرف حالهم.

**التعفف**: ترك سؤال الناس ، والكف عنه .

**تعرفهم بسيماهُم** : تعرفهم بحالتهم وهيئتهم الدالة على الفقر والحاجة وأثر الجهد والتواضع.

**إلحافاً** : إلحاحاً فى السؤال وتكراراً له ؛ لأنه عندهم عفة وكرامة .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم حاجة النفس البشرية إلى التحريك المستمر لتستعلى على حرصها وتنطلق من شحها .

٢ ـ أن نعرف أن الضلال والهدى بيد الله تعالى ، وإفساح الصدر من صاحب الدعوة لعناد الضالين أمر ضرورى.

٣ ـ أن نعلم أن مصارف الصدقة ينبغى أن تتوخى صاحب الحاجة بعد البحث الدقيق .

**المحتوى التربوى :**

أرشدنا عز وجل فى هذه الآيات إلى أنه يُجازى على كل صدقة وكل التزام لصدقة وبر لأن علمه محيط بكل عمل وكل قصد ؛ لنتذكر ذلك ، فنختار لأنفسنا أفضل ما نحب أن يعلمه عنا ، فهو يعلم قليلها وكثيرها ، سرها وعلانيتها ، ما كان منها فى حق ، وما كان منها فى شر ، ما كان عن إخلاص ، وما كان رئاء الناس ،ما أُتبع منها بالمن والأذى ،وما لم يتبع بشىء منهما .

**ويقول صاحب الظلال** : « وشعور المؤمن بأن عين الله ـ سبحانه ـ على نيته وضميره ، وعلى حركته وعمله ، يثير فى حسه مشاعر حية ومتنوعة ، شعور التقوى والتحرج أن يهجس فى

خاطره هاجس رياء أو تظاهر ، أو شح أو بخل ، أو خوف من الفقر أو الغبن ، ويشعر بالاطمئنان على الجزاء والثقة بالوفاء ، والرضا والراحة بما وفى لله ، وقام وشكر نعمته عليه بهذا الإنفاق مما أعطاه . فأما الذى لا يقوم بحق النعمة ؛ والذى لا يؤدى الحق لله ولعباده ؛ والذى يمنع الخير بعد ما أعطاه الله إياه ، فهو ظالم للعهد ، وظالم للناس ولنفسه . فالوفاء عدل وقسط ، والمنع ظلم وزور ، والناس فى هذا البيان صنفان ، مقسط قائم بعهد الله معه إن أعطاه النعمة وفى وشكر . وظالم ناكث لعهد الله ، لم يعط الحق ولم يشكر ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ .

وإخفاء الصدقة حين تكون تطوعاً أولى وأحب إلى الله ؛ وأجدر أن تبرأ من شوائب التظاهر والرياء ، فأما حين تكون أداء للفريضة فإن إظهارها فيه معنى الطاعة ، وفشو هذا المعنى وإظهاره خير .

وتبدو لنا بعض الملاحظات التربوية من السياق ، فنلحظ طول التوجيه إلى الإنفاق ؛ وتنوع أساليب الترغيب والترهيب بصدده ، ومبعث ذلك أمران ، كما **يقول صاحب الظلال** :

**أولاً**: بصر الإسلام بطبيعة النفس البشرية وما يخالجها من الشح بالمال، وحاجتها إلى التحريك المستمر للاستجاشة الدائبة التى تستعلى على هذا الحرص وتنطلق من هذا الشح ، وترتفع إلى المستوى الكريم الذى يريده الله للناس .

**الثانى** : ما كان يواجهه القرآن من هذه الطبيعة فى البيئة العربية التى اشتهرت شهرة عامة بالسخاء والكرم .. ولكنه كان سخاء وكرماً يقصد به الذكر والصيت وثناء الناس!

ولم يكن أمراً ميسوراً أن يعلمهم الإسلام أن يتصدقوا دون انتظار لهذا كله ، متجردين من هذا كله ، فكان الأمر فى حاجة إلى التربية الطويلة ، والجهد الكبير ، والهتاف المستمر بالتسامى والتجرد والإخلاص ! وقد كان .

ويقرر القرآن جملة حقائق كبيرة ، ذات أثر عميق فى إقامة التصور الإسلامى على قواعده ، مفادها أن أمر القلوب وهداها وضلالها ليس من شأن أحد من خلق الله ـ ولو كان هو رسول الله ﷺ ـ إنه من أمر الله وحده ، فهذه القلوب من صنعه ؛ ولا يحكمها سواه ، ولا يصرفها سواه ، ولا سلطان لأحد عليها إلا الله . وما على الرسول إلا البلاغ . فأما الهدى فهو بيد الله ، يعطيه من يشاء ، ممن يعلم ـ سبحانه ـ أنه يستحق الهدى ، ويسعى إليه ، وإخراج هذا الأمر من اختصاص البشر يقرر الحقيقة التى لابد أن تستقر فى حس المسلم ليتوجه فى طلب الهدى إلى الله وحده ، وليتلقى دلائل الهدى من الله وحده ، ثم هى تفسح فى احتمال صاحب الدعوة لعناد الضالين ، فلا يضيق صدره بهم وهو يدعوهم ؛ ويعطف عليهم ، ويرتقب إذن الله لقلوبهم فى الهدى ، وتوفيقهم إليه بمعرفته حين يريد .

ولفتة أخرى سامية وضيئة يرفع الإسلام قلوب المسلمين إليها ، ويروضهم عليهم : إن الإسلام لا يقر مبدأ الحرية الدينية وحده ؛ ولا ينهى عن الإكراه فى الدين فحسب . إنما يقرر ما هو أبعد من ذلك كله . يقرر السماحة الإنسانية المستمدة من توجيه الله ـ سبحانه ـ يقر حق المحتجين جميعاً أن ينالوا العون والمساعدة ـ ماداموا فى غير حالة حرب مع المسلمين ـ دون نظر إلى عقيدتهم . ويقرر أن ثواب المعطين محفوظ عند الله على كل حال ، ما دام الإنفاق ابتغاء وجه الله . وهى وثبة بالبشرية لا ينهض بها إلا الإسلام ، ولا يعرفها على حقيقتها إلا أهل الإسلام .

ثم يخص بالذكر مصرفاً من مصارف الصدقة ؛ ويعرض صورة عفة كريمة نبيلة ، لطائفة من المؤمنين . صورة تستجيش المشاعر ، وتحرك القلوب لإدراك نفوس أبية بالمدد فلا تهون ، وبالإسعاف فلا تُضام ، وهى تأنف السؤال وتأبى الإلحاف . وهم الفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله بالجهاد ، فمنعهم من التصرف فى طلب المعاش . وسبب احتباسهم، إما انقطاع للعلم، أو عدم حيلة ، أو تفرغ لأمر من أمور المسلمين ويحسبهم الجاهل بحالهم ، مستغنين من أجل تعففهم عن المسألة ، والنص عام ، ينطبق على المهاجرين وسواهم فى جميع الأزمان .

وهكذا فإن الإسلام لا يقيم حياة أهله على العطاء ، فإن نظامه كله يقوم أولاً على تيسير العمل والرزق لكل قادر ؛ وعلى حسن توزيع الثروة بين أهله بإقامة هذا التوزيع على الحق والعدل بين الجهد والجزاء ، ولكن هنالك حالات تتخلف لأسباب استثنائية ، وهذه هى التى يعالجها بالصدقة، مرة فى صورة الفريضة وهى الزكاة ، ومرة فى صورة تطوع ، وهى الصدقة يؤديها القادرون للمحتاجين رأسًا . مع مراعاة الآداب التى سبق بيانها . وبضمانة تعفف الآخذين .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ وجوب الإخلاص فى الصدقات ، وإخفاؤها حين تكون تطوعًا أولى وأحب إلى الله .

٢ ـ ثواب الصدقة عائد على المتصدق لا على المتصدق عليه ؛ فلذا لا يضر إن كان كافراً .

٣ ـ أمر القلوب وهداها وضلالها بيد الله عز وجل فلا سلطان لأحد عليها ، فعلى الدعاة إلى الله الصبر وسعة الصدر تجاه المعاندين والضالين ، فإنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء .

٤ ـ جواز إظهار الصدقة عند سلامتها من الرياء .

٥ ـ الترغيب فى الصدقات ولو قلت ، فالصدقة تطفئ غضب الرب ، والتحذير من الرياء فيها وإخراجها من ردىء الأموال .

٦ ـ التعفف مع شدة الفاقة أفضل من الإلحاح فى الطلب من غير الله ، أما الله عز وجل فإنه يحب الملحين فى دعائه .

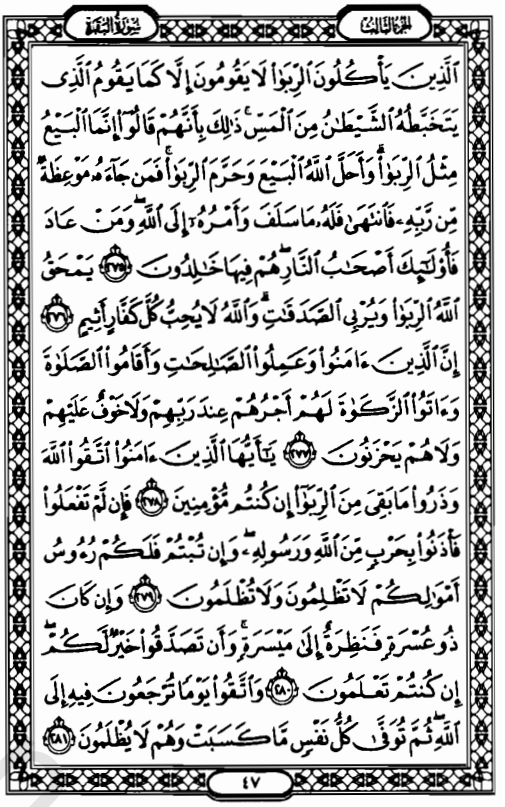

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى
يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ
مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ
ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ
وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ
فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ
أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى
ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾



**معانى الكلمات :**

**الربا** : أن يؤدى المدين أكثر من المال الذى استدانه . **يتخبطه الشيطان**:يصرعه ويضربه فى الأرض . **المس** : الجنون والخبل . **يمحق الله الربا** : يهلك المال الذى يدخل فى الربا وينقصه ويذهب بركته .

**يربى الصدقات**: يزيد الله المال الذى أخرجت منه الصدقات **أثيم** : فاجر يتمادى فى المعاصى .

**ذروا** : اتركوا . **فأذنوا بحرب** : أيقنوا بحرب ( وهذا وعيد لمن لم يترك الربا )

**ذو عسرة**: ضيق الحال من عدم المال .

**فنظرة** : فإمهال . **إلى ميسرة** : حتى يستطيع أداء ما عليه ( السعة) . **توفى** : تجازى .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على حرمة الربا ومقت الإسلام للنظام الربوى .

٢ ـ أن نعلم ملامح المنهج التربوى للقرآن فى تحريم الربا .

٣ ـ أن نبين وعد الله لمن يترك الربا ووعيده لمن لا ينتهى .

**المحتوى التربوى :**

تحدثت الآيات السابقة عن الصدقات التى هى نزول عن المال بلا عوض ولا رد ، وهذه الآيات تتحدث عن الربا الذى هو شح ، وقذارة ودنس ، وأثرة وفردية ، واسترداد للدين ومعه زيادة حرام مقتطعة من جهد المدين أو من لحمه ، من جهده إن كان قد عمل بالمال الذى استدانه فربح نتيجة لعمله هو وكده ، ومن لحمه إن كان لم يربح أو خسر ، أو كان قد أخذ المال للنفقة منه على نفسه وأهله ولم يستربحه شيئاً .

ويخبر تعالى كيف أن أكَلَة الربا لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلى بعثهم ونشورهم ، إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له ، ذلك التخبط المعروف المنكر ، وإنما جُوزوا بذلك لاعتراضهم على أحكام الله فى شرعه ؛ إذ اعترضوا على الله فى تحريمه الربا ، من أنه ـ فى

obeikandl.com

زعمهم ـ شبيه بالبيع ، وهذا اعتراض منهم على شرع الله مع علمهم بتفريق الله بين هذا وهذا ؟ ! إذ هذا محرم أفظع تحريم وهذا مباح ، والله هو العليم الحكيم الذى لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وهو العالم بحقائق الأمور ، ومصالحها ، وما ينفع عباده فيبيحه لهم ، وما يضرهم فينهاهم عنه .

ثم بين الله عز وجل أنه من بلغه نهى الله عن الربا فانتهى ، فله ما كان أكل من الربا قبل التحريم ، ومن فعل الربا بعد بلوغه نهى الله عنه فقد استوجب العقوبة ، وقامت عليه الحجة ، واستحق الخلود فى النار ، والله سبحانه يذهب الربا ؛ إما بالكلية من يد صاحبه أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به ، بل يعدمه فى الدنيا ، ويعاقبه عليه يوم القيامة ، بينما هو جل جلاله يبارك وينمى ويكثر الصدقات بأن يضاعف لأصحابها أجورهم ، وإنما ذكر بركة الصدقة يوم القيامة ، ولم يذكر تنمية الأموال المزكاة فى الدنيا ـ مع أنه كائن ـ تبيانا لقصد أصحابها ، وإشعاراً بأن الدنيا هينة وأن الآخرة هى الهدف ، والله عز وجل لا يحب كل كفور القلب أثيم القول والفعل ، ثم يثنى الله تعالى على المؤمنين بربهم المطيعين أمره ، المؤدين شكره ، المحسنين إلى خلقه ، المقيمين الصلاة ، والمؤدين الزكاة ، وهؤلاء لهم الكرامة ، وهم يوم القيامة من التبعات آمنون ، لا خوف عليهم ولا يحزنون .

ويطرح صاحب **الظلال** عدة حقائق بصدد كراهية الإسلام للنظام الربوى،نلخصها فيما يلى :

ـ لا إسلام مع قيام نظام ربوى فى مكان ، وكل ما يمكن أن يقوله أصحاب الفتاوى من رجال الدين أو غيرهم سوى هذا دجل وخداع .

ـ النظام الربوى بلاء على الإنسانية ـ لا فى إيمانها وأخلاقها وتصورها للحياة فحسب ـ بل كذلك فى صميم حياتها الاقتصادية والعملية ، وأنه أبشع نظام يمحق سعادة البشرية محقاً .

ـ التعامل الربوى لا يمكن إلا أن يفسد ضمير الفرد وخلقه ، وشعوره تجاه أخيه فى الجماعة ؛ وإلا أن يفسد حياة الجماعة البشرية وتضامنها بما يبثه من روح الشره ، والطمع ، والأثرة، والمخاتلة والمقامرة بصفة عامة .

ـ الإسلام نظام متكامل . فهو حين يحرم الربا يقيم نظمه كلها على أساس الاستغناء عن الحاجة إليه؛وينظم جوانب الحياة الاجتماعية بحيث تنتفى منها الحاجة إلى هذا النوع من التعامل، بدون مساس بالنمو الاقتصادى والاجتماعى والإنسانى المطرد .

ـ لمن يريد أن يكون مسلماً ، هناك استحالة اعتقادية فى أن يحرم الله أمراً لا تقوم الحياة البشرية ولا تتقدم بدونه!وأن يكون هناك أمر خبيث،ويكون فى الوقت ذاته حتميًا لقيام الحياة وتقدمها .

ـ القول باستحالة قيام الاقتصاد العالمى اليوم وغداً على أساس غير الأساس الربوى . خرافة، وأكذوبة ضخمة يستخدمها أصحاب المصلحة فى بقاء هذا النظام الخبيث ، وينادى الله تعالى

عباده المؤمنين آمر إياهم بتقواه تعالى ، وذلك بطاعته وترك معصيته ، وبالتخلى عما بقى عند بعضهم من المعاملات الربوية مذكرًا إياهم بإيمانهم ؛ إذ من شأن المؤمن الاستجابة لنداء ربه ، وفعل ما يأمره به وترك ما ينهاه عنه ، ثم هدد المتباطئين عن ترك الربا بحروب قاسية ضروس من الله ورسوله ، أما من تاب فله رأس ماله فقط ، لا يظلم بأخذ زيادة ، ولا يُظلم بأن ينقص من رأس ماله .

ثم يأمر تعالى بالصبر على المعسر الذى لا يجد وفاءً ، وشىء آخر وهو خير لكم أن تتصدقوا بالتنازل عن ديونكم كلها ، ووعد على الوضع عنه الخير والثواب الجزيل ، ويعظ الله عباده ويذكرهم زوال الدنيا ، وفناء ما فيها من الأموال وغيرها ، والمصير إلى الآخرة والرجوع إليه تعالى ، ومحاسبته تعالى خلقه على ما عملوا ، ومجازاته إياهم بما كسبوا من خير وشر ، ويحذرهم عقوبته .

**يقول صاحب الظلال** : والبشرية مدعوة للتوبة عن هذه الخطيئة الجاهلية . التى لا تتعلق بزمان دون زمان ، ولا نظام دون نظام ؛ لأنها انحراف عن شريعة الله ومنهجه متى كان وحيث كان ، فهى خطيئة تنشئ آثارها فى مشاعر الأفراد وأخلاقهم ، وفى تصورهم للحياة ، وكذلك فى حياة الجماعة وارتباطاتها العامة وفى حياة البشرية كلها ، وفى نموها الاقتصادى ذاته ، والتقوى هى الحارس القابع فى أعماق الضمير ، والذى يكفل فاعلية هذه التوبة عن خطيئة الربا ، يقيمها الإسلام هناك فى قلب المؤمن وتملك عليه منافذ الحس ، ويصدر عنها السلوك ، إنه الإسلام ، النظام القويم والوحيد الذى يعصم البشرية من هذه الحرب المعلنة من الله ورسوله ،على المرابين فى كل زمان ومكان .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :**

١ ـ إن لم نحول حياتنا عن النظام الربوى المقيت ، فهى الحرب المعلنة من الله ورسوله بلا هوادة ولا إمهال ولا تأخير .

٢ ـ لا إيمان بغير طاعة وانقياد واتباع لما أمر الله به .

٣ ـ لا تحريم بغير نص ، ولا حكم بغير تشريع ، والتشريع ينفذ وينشئ آثاره بعد صدوره ، فأما الذى سلف فأمره إلى الله لا إلى أحكام القانون .

٤ ـ روى الطبرانى عن أبى أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يظله الله يوم لا ظل إلا ظله ، فليسر على معسر ، أو ليضع عنه » وقال : « من أراد أن تستجاب دعوته ، وأن تكشف كربته ، فليفرج عن مُعْسِرٍ » رواه أحمد .

**معانى الكلمات :**

**تداينتم** : داين بعضكم بعضاً .

**أجل مسمى**: وقت محدد . **ولا يأب كاتب** : ولا يمتنع كاتب . **لا يبخس منه** : لا ينقص منه . **سفيهاً** : ناقص العقل ، يبذر المال ولا يحسن التصرف فيه. **وليه**:القائم على أمره أو وصيه .

**لا تسأموا**:لا تملوا ولا تضجروا . **أقسط** : أعدل . **أقوم للشهادة** : أكثر مساعدة على إثباتها وأدائها .

**أدنى ألا ترتابوا** : أقرب إلى عدم الشك والارتياب .

**حاضرة** : غير مؤجلة . **فسوق** : خروج عن طاعة الله .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نتعرف على الأحكام الخاصة بالدَّين والتجارة .

٢ ـ أن نعلم حرص الإسلام على ضمان حقوق الناس فى معاملاتهم .

٣ ـ أن نعرف حكمة الإجراءات المطلوبة ، وضرورة اقتناع المتعاملين بضرورة هذا التشريع .

**المحتوى التربوى :**

تأتى هذه الآيات لتختم الأحكام الخاصة بالدَّين والتجارة والرهن تكملة للأحكام السابقة فى درسى الصدقة والربا ، وبعد استبعاد الله للربا ومحقه يعرض القرض الحسن بلا ربا ولا فائدة، والمعاملات التجارية الحاضرة المبرأة من الربا كبديل إسلامىّ للنظام الربوىّ المقيت . وآية الدين هى أطول آية فى كتاب الله عز وجل . وفيها إشارة لعباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها ؛ ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها .

وأمر لهذا الكاتب أن يكتب بالعدل . والقسط ، والحق ، ولا يجور فى كتابته على أحد ، ولا يكتب إلا ما اتفقوا عليه من غير زيادة ولا نقصان . ثم أمر من يعرف الكتابة ألا يمتنع من

الكتابة إذا سئل أن يكتب للناس ، إذا لم يترتب على ذلك ضرر يصيبه . فكما علمه الله ما لم يعلم ، فليتصدق على غيره ممن لا يحسن الكتابة .

ثم أعطى حق الإملاء على الكاتب للمدين ، وأمر المدين أن يذكر ما في ذمته من الدين كاملاً فلا ينقص منه شيئاً وليتق الله فى ذلك . وفى الحالات التى يكون فيها المدين محجوراً عليه ، أو صغيراً ، أو مجنوناً أو عيّاً ، فقد أعطى حق الإملاء لوليه بالعدل والقسط ، ثم أمر بالإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثيق .

وأمر أن يكون الشهود إما رجلين ، أو رجلاً وامرأتين . وأقيمت المرأتان مقام الرجل لاحتمال نسيان إحداهما فتحتاج إلى أخرى من جنسها ، تذكّرها ، ثم أمر الشهود أن يكونوا عدولاً ، وأمر المسلمين بتلبية الدعوة للشهادة ؛ لأنها فريضة وليست تطوعًا ، فهى وسيلة لإقامة العدل وإحقاق الحق ، والله هو الذى يفرضها كى يلبيها الشهداء عن طواعية تلبية وجدانية ، بدون تضرر أو تلكؤ . وبدون تفضل كذلك على المتعاقدين أو على أحدهما ، إذا كانت الدعوة من كليهما أو من أحدهما .

ونهانا عن السآمة والملل فى ذلك . ثم بين الحكمة من الأمر بالكتابة والإشهاد ، ثم نهى الكاتب والشاهد أن يضرا أحدًا . ثم بيّن تعالى أنه إن وقعنا فى مخالفة ما أمرنا به ، أو نهينا عنه ، فإنه فسق كائن بنا ، ولازم لنا ، لا نحيد عنه ، ثم أمر بتقواه ، وذلك بالخوف منه ، ومراقبته واتباع أمره واستجاش ضمائر المؤمنين للأمانة والوفاء بدافع من تقوى الله ، فهذا هو الضمان الأخير لتنفيذ التشريع كله ، ولرد الأموال والرهائن إلى أصحابها ، والمحافظة الكاملة عليها .

**ويقول صاحب الظلال ـ معلقًا على آية الدين بقوله :**

وإن الإنسان ليقف فى عجب وفى إعجاب أمام التعبير التشريعى فى القرآن ، تتجلى الدقة العجيبة فى الصياغة القانونية حتى ما يبدّل لفظ بلفظ ، ولا تقدم فقرة عن موضعها أو تؤخر . وحيث لا تغطى هذه الدقة المطلقة فى الصياغة القانونية على جمال التعبير وطلاوته .

وحيث يربط التشريع بالوجدان الدينى ربطًا لطيف المدخل عميق الإيحاء قوى التأثير ، دون الإخلال بترابط النص من ناحية الدلالة القانونية . وحيث يلحظ كل المؤثرات المحتملة فى كل من موقف طرفى التعاقد وموقف الشهود والكتاب ، فينفى هذه المؤثرات كلها ويحتاط لكل احتمال من احتمالاتها . وحيث لا ينتقل من نقطة إلى نقطة إلا وقد استوفى النقطة التشريعية ، بحيث لا يعود إليها إلا حيث يقع ارتباط لا بينها وبين نقطة جديدة يقتضى الإشارة إلى الرابطة بينهما .

إن الإعجاز فى صياغة آيات التشريع هنا لهو الإعجاز فى صياغة الإيحاء والتوجيه . بل هو أوضح وأقوى ؛ لأن الغرض دقيق يحرفه لفظ واحد ، ولا ينوب فيه لفظ عن لفظ ، ولولا الإعجاز ما حقق الدقة التشريعية المطلقة ، والجمال الفنى المطلق على هذا النحو الفريد .

ذلك كله فوق سبق التشريع الإسلامى بهذه المبادئ للتشريع المدنى والتجارى بحوالى عشرة قرون ، كما يعترف الفقهاء المُحدْثون .

ويقول صاحب المنار معلقاً على قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ : « أى اتقوا الله فى جميع ما أمركم به ونهاكم عنه ، وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم ، وحفظ أموالكم ، وتقوية رابطتكم ، فإنكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك ، وهو سبحانه العليم بكل شىء فإذا شرع شيئًا ، فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفاسد وجلب المصالح ، لمن اتبع شرعه ، وكرر لفظ الجلالة لكمال التذكير وقوة التأثير .

وإذا علمت أن التقوى عمل يتوقف على العلم وأن هذا العلم لابد أن يؤخذ بالتعليم والتلقى وأن العمل بالعلم من أسباب المزيد فيه ، وخروجه من مضيق الإبهام والإجمال إلى فضاء الجلاء والتفصيل فهمت المراد بالفرقان فى قوله تعالى : ﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ ، وعلمت أن أدعياء التصوف الجاهلين لا حظ لهم من ذلك العلم الأول ، ولا من هذه التقوى التى هى أثرة ؛ ولا من هذا العلم الأخير الذى هو أثر العلم والتقوى جميعاً . فبينهم وبين العلم اللدنى بون شاسع .

ـ العلم الذى يؤخذ بالتلقى والتقوى بالعمل به .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ وجوب كتابة الديون سواءُ كانت بيعاً ، أو شراء ، أو سلفاً ، أو قرضاً هذا ما قرره ابن جرير ، ورد القول بالإرشاد والندب .

٢ ـ رعاية النعمة بشكرها لقوله تعالى للكاتب : ﴿ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾ فليكتب إذ علمه الكتابة وحرم غيره منها .

٣ ـ وجوب العدل والإنصاف فى كل شىء ، لاسيما فى كتابة الديون المستحقة المؤجلة .

٤ ـ الشهادة فريضة وليست تطوعاً ، فهى وسيلة لإقامة العدل وإحقاق الحق ، والله هو الذى يفرضها كى يلبيها الشهداء عن طواعية بدون تضرر أو تلكؤ وبدون تفضل كذلك على المتعاقدين أو على إحداهما .

٥ ـ العلم الذى هو أصل التقوى ، وسببها لا يكون إلا بالتعلم ، كما ورد فى الحديث : «العلم بالتعلم» .

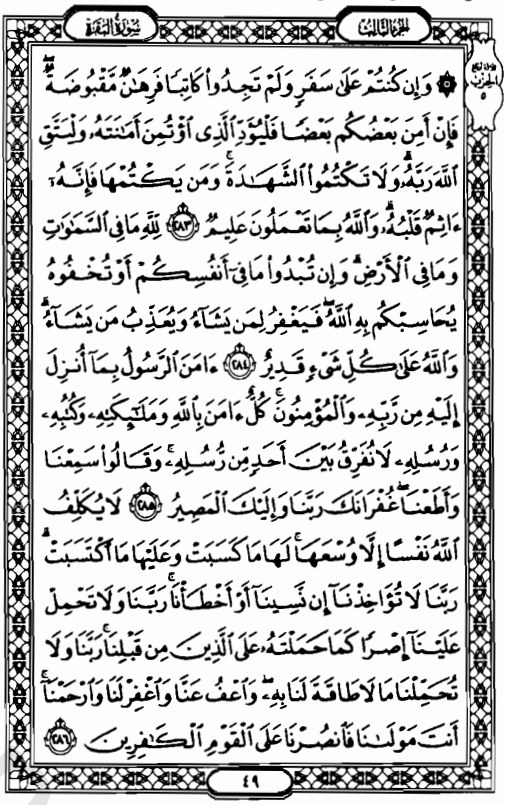
وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

**معانى الكلمات :**

**رهان** : جمع رهن وهو الشىء المرتهن حتى يسدد الدين . **تبدوا** : تظهروا .

**آمن** : صدق واعتقد .

**المصير** : المرجع . **سمعنا** : سَماعُ فهم واستجابة وطاعة . **وسعها** : طاقتها وما تقدر عليه .

**لا تؤاخذنا** : لا تعاقبنا . **إصراً** : حملاً ثقيلاً والمراد التكاليف الشاقة .

**ما لا طاقة لنا به** : ما لا قدرة لنا على القيام به .

**واعف عنا** : سامحنا واصفح عن ذنوبنا .

**ارحمنا** : تفضل علينا برحمتك الواسعة .

**أنت مولانا** : أنت إلهنا ، ونحن عبيدك .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم أن المدين مؤتمن على الدين ، والدائن مؤتمن على الرهن ، وكلاهما مدعو لأداء الأمانة .

٢ ـ أن نعرف الإيمان الشامل الذى جاء به هذا الدين .

٣ ـ أن نعلم أن قوام الأمر فى حس المؤمن عمل بكل ما فى الوسع ،وشعور مع ذلك بالتقصير والعجز ، ورجاء ـ بعد ذلك ـ فى الله لا ينقطع ، وتطلع إلى العفو والمغفرة والسماح .

**المحتوى التربوى :**

فى هذه الآيات يعود المشرع إلى تكملة فى أحكام الدين ، آخرها فى النص ؛ لأنها ذات ظروف خاصه كما **يقول صاحب الظلال** : «فلم يذكرها هناك فى النص العام ، ذلك حين يكون الدائن والمدين على سفر ، فلا يجدان كاتبًا ، فتيسيرًا للتعامل ، مع ضمان الوفاء ، رخص الشارع فى التعاقد الشفوى بلا كتابة مع تسليم رهن مقبوض للدائن ، ضامن للدين .

والمدين مؤتمن على الدين ، والدائن مؤتمن على الرهن ؛ وكلاهما مدعو لأداء ما اؤتمن عليه باسم تقوى الله ربه ، والرب هو الراعى والمربى والسيد والحاكم والقاضى .

**فائدة** : فى بعض الآراء أن هذه الآية نسخت آية الكتابة فى حالة الائتمان .

والراجح أن الكتابة واجبة فى الدين إلا فى حالة السفر . والائتمان خاص بهذه الحالة والدائن والمدين كلاهما ـ فى هذه الحالة ـ مؤتمن .

وفى ظل هذه الاستجاشة إلى التقوى ، يتم الحديث عن الشهادة ـ عن التقاضى فى هذه المرة لا عند التعاقد ؛ لأنها أمانة فى عنق الشاهد وقلبه ! ويتكئ التعبير هنا على القلب فينسب إليه الإثم . تنسيقًا بين الإضمار للإثم ، والكتمان للشهادة . فكلاهما عمل يتم فى أعماق القلب ، ويعقب عليه بتهديد واضح . فليس هناك شىء خاف على الله ، وهو يجزى عليه ، بمقتضى علمه الذى يكشف الإثم الكامن فى القلوب !

ويستمر السياق فى هذه التربية الإيمانية باستجاشة القلب للخوف من مالك السموات والأرض وما فيهما ، العليم بمكنونات الضمائر خفيت أم ظهرت ، المجازى عليها ؛ المتصرف فى مصائر العباد بما يشاء من الرحمة والعذاب ، القدير على كل شىء تتعلق به مشيئته بلا تعقيب !

ويربط السياق بين التشريعات للحياة وخالق الحياة ، بذلك الرباط الوثيق ، المؤلف من الخوف والرجاء فى مالك الأرض والسماء : فيضيف إلى ضمانات التشريع القانونية ضمانات القلب الوجدانية ، وهى الضمان الوثيق المميز لشرائع الإسلام فى قلوب المسلمين فى المجتمع المسلم ، وهى والتشريع فى الإسلام متكاملان ، فالإسلام ـ الذى يصنع القلوب التى يشرع لها ؛ ويصنع المجتمع الذى يقنن له ، صنعة إلهية متناسقة . تربيةٌ وتشريعٌ وتقوى وسلطان ، ومنهج للإنسان من صنع خالق الإنسان .

وترسم الآيات فى نهايتها صورة واضحة المعالم للمؤمنين كما يقول صاحب الأساس : « بهذه الآية وصف الله المؤمنين هذا الوصف الجامع كما رأينا . فهم مصدقون ، سامعون ، مطيعون ، شاعرون بالتقصير ، طالبون للمغفرة ، مشفقون من المصير . لقد أحاطت هذه الآيات بصفات المؤمنين إحاطة كاملة ، شاملة . وذكر ابن جرير أنه لما نزلت على رسول الله ﷺ هذه الآية ، قال جبريل : إن الله قد أحسن الثناء عليك ، وعلى أمتك . فسل تعطه » .

ورسمت الآيات صورة المؤمنين الذين تمثلت فيهم حقيقة الإيمان فعلاً ؛ كما يقول صاحب الظلال : « إنه الإيمان الشامل الذى جاء به هذا الدين . الإيمان الذى يليق بهذه الأمة الوارثة لدين الله ، القائمة على دعوته إلى يوم القيامة ، الضاربة الجذور فى أعماق الزمان السائرة فى موكب الدعوة ، وموكب الرسول وموكب الإيمان الممتد فى شعاب التاريخ البشرى ، الإيمان الذى يتمثل البشرية كلها منذ نشأتها إلى نهايتها صفين اثنين : صف المؤمنين وصف الكافرين . حزب الله وحزب الشيطان . فليس هناك صف ثالث على مدار الزمان .

وهكذا تتلقى الأمة المسلمة تراث الرساله كله ؛ وتقوم على دين الله فى الأرض ، وهى الوارثة له كله ؛ ويشعر المسلمون ـ من ثم ـ بضخامة دورهم فى هذه الأرض إلى يوم القيامة .

فهم الحراس على أعز رصيد عرفته البشرية فى تاريخها الطويل . وهم المختارون لحمل راية الله ـ وراية الله وحدها ـ فى الأرض ، يواجهون بها رايات الجاهلية المختلفة الشارات ، من قومية ووطنية وجنسية وعنصرية وصهيونية وصليبية واستعمارية وإلحادية ، إلى آخر شارات الجاهلية التى يرفعها الجاهليون فى الأرض ، على اختلاف الأسماء والمصطلحات واختلاف الزمان والمكان .

ولهذا الإيمان أثر يتجلى فى السمع والطاعة ، السمع لكل ما جاءهم من عند الله ، والطاعة بكل ما أمر به الله ، فهو إفراد الله بالسيادة ، والتلقى منه فى كل أمر ، فلا إسلام بلا طاعة لأمر الله ، وإنفاذ لنهجه فى الحياة . ولا إيمان حيث يُعرض الناس عن أمر الله فى الكبيرة والصغيرة من شؤون حياتهم ؛ أو حيث لا ينفذون شريعته ؛ فالإيمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل .

ومع السمع والطاعة ، يكون الشعور بالتقصير بالعجز عن توفية آلاء الله حق شكرها ؛ وفرائض الله حق أدائها ، والالتجاء إلى رحمة الله لتتدارك تقصيرهم وعجزهم بسماحتها .

ويعقب ذلك طلب الغفران ، واليقين بأن المصير إلى الله فى الدنيا والآخرة ؛ ويستشعر المؤمن رحمة ربه ، وعدله فى التكاليف التى يفرضها عليه فى خلافته للأرض وفى ابتلائه وجزائه على عمله فى نهاية المطاف فينطلق من قلبه دعاء خافق واجف يصور حاله مع ربه ، وإدراكه لضعفه وعجزه ، وحاجته إلى رحمته وعفوه ومدده وعونه ، ثم الاعتراف بالضعف والتوجس من ذلك التقصير . الذى لا يمحو آثاره إلا فضل الله العفو الغفور ، وهذا هو الضمان الحقيقى لاجتياز الامتحان ، ونيل الرضوان ؛ فالعبد مقصر مهما يحاول من الوفاء ، ومن رحمة الله أن يعامله بالعفو والمرحمة والغفران .

وأخيرًا يلصق المؤمنون ظهورهم إلى ركن الله ، وهم يهمون بالجهاد فى سبيله ، لإحقاق الحق الذى أراده ، وتمكين دينه فى الأرض ومنهجه ، « أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين » .

إنه الختام الذى يلخص العقيدة . ويلخص تصور المؤمنين ، وحالهم مع ربهم فى كل حين .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ يجب على كل مسلم تحقيق الإيمان بالله ورسله جميعاً ، وبملائكته ، وبجميع كتبه ، وكذلك الإيمان باليوم الآخر ، وما فيه من ثواب وعقاب .

٢ ـ سلوك المؤمنين مع أوامر الله ونواهيه السمع والطاعة من غير اعتراض أو شك .

٣ ـ الدعاء مخ العبادة ، ومن أفضله أن ندعو بما ورد فى القرآن وبما دعا به الرسول ﷺ .

٤ ـ حال المؤمن مع ربه الدعاء والتضرع ، والاعتراف بالضعف والذلة ، والخوف من الذنب ، ورجاء الفضل منه عز وجل لاجتياز الامتحان ، ونيل الرضوان .